الجوبة

- مواجهات: العاصي بن فهيد - أحمد الهلالي.
- عبدالله الصيخان شاعر الإنسان والوجدان.
- مذكرات ثريا التركي وسارة الحمود قراءة مقارنة.
- الشاعر العراقي حميد سعيد وجماليات اللغة.
- عام الإبل في السعودية تراث يتجدد.

دراسات - نصوص - مواجهات - نوافذ

منتدى الأمير عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية (الدورة ١٨)
المحميات في المملكة العربية السعودية

منتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع (الدورة ١٧)
صحة المرأة النفسية وجودة الحياة

لائحة برنامج نشر الدراسات والإبداعات الأدبية والفكرية ودعم البحوث والرسائل العلمية في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

١- نشر الدراسات والإبداعات الأدبية والفكرية

يهتم بالدراسات، والإبداعات الأدبية، ويهدف إلى إخراج أعمال متميزة، وتشجيع حركة الإبداع الأدبي والإنتاج الفكري وإثرائها بكل ما هو أصيل ومميز.

ويشمل النشر أعمال التأليف والترجمة والتحقيق والتحرير.

مجالات النشر:

أ - الدراسات التي تتناول منطقة الجوف ومحافظة الغاط في أي مجال من المجالات.

ب- الإبداعات الأدبية والفكرية بأجناسها المختلفة (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

ج - الدراسات الأخرى غير المتعلقة بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط (وفقاً لما هو مبيّن في البند «٨» من شروط النشر).

شروطه:

١- أن تتسم الدراسات والبحوث بالموضوعية والأصالة والعمق، وأن تكون موثقة طبقاً للمنهجية العلمية.

٢- أن تُكتب المادة بلغة سليمة.

٣- أن يُرفق أصل العمل إذا كان مترجماً، وأن يتم الحصول على موافقة صاحب الحق.

٤- أن تُقدّم المادة مطبوعة باستخدام الحاسوب على ورق (A4) ويرفق بها قرص ممغنط.

٥- أن تكون الصور الفوتوغرافية واللوحات والأشكال التوضيحية المرفقة بالمادة جيدة ومناسبة للنشر.

٦- إذا كان العمل إبداعاً أدبياً فيجب أن يتّسم بالتميّز الفني وأن يكون مكتوباً بلغة عربية فصيحة.

٧- أن يكون حجم المادة - وفقاً للشكل الذي ستصدر فيه - على النحو الآتي:

- الكتب: لا تقل عن مئة صفحة بالمقاس المذكور.
- البحوث التي تنشر ضمن مجلات محكمة يصدرها المركز: تخضع لقواعد النشر في تلك المجلات.
- الكتيبات: لا تزيد على مئة صفحة (تحتوي الصفحة على «٢٥٠» كلمة تقريباً).

٨- فيما يتعلق بالبند (ب) من مجالات النشر، فيشمل الأعمال المقدمة من أبناء وبنات منطقة الجوف، إضافة إلى المقيمين فيها لمدة لا تقل عن عام، أما ما يتعلق بالبند (ج) فيشترط أن يكون الكاتب من أبناء أو بنات المنطقة فقط.

٩- يمنح المركز صاحب العمل الفكري نسخاً مجانية من العمل بعد إصداره، إضافة إلى مكافأة مالية مناسبة.

١٠-تخضع المواد المقدمة للتحكيم.

٢- دعم البحوث والرسائل العلمية

يهتم بدعم مشاريع البحوث والرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط، ويهدف إلى تشجيع الباحثين على طرق أبواب علمية بحثية جديدة في معالجاتها وأفكارها.

(أ) الشروط العامة:

١- يشمل الدعم المالي البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية المقدمة إلى الجامعات والمراكز البحثية والعلمية، كما يشمل البحوث الفردية، وتلك المرتبطة بمؤسسات غير أكاديمية.

٢- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة متعلقًا بمنطقة الجوف ومحافظة الغاط.

٣- يجب أن يكون موضوع البحث أو الرسالة جديدًا في فكرته ومعالجته.

٤- ألا يتقدم الباحث أو الدارس بمشروع بحث قد فرغ منه.

٥- يقدم الباحث طلبًا للدعم مرفقًا به خطة البحث.

٦- تخضع مقترحات المشاريع إلى تحكيم علمي.

٧- للمركز حق تحديد السقف الأدنى والأعلى للتمويل.

٨- لا يحق للباحث بعد الموافقة على التمويل إجراء تعديلات جذرية تؤدي إلى تغيير وجهة الموضوع إلا بعد الرجوع للمركز.

٩-يقدم الباحث نسخة من السيرة الذاتية.

(ب) الشروط الخاصة بالبحوث:

١- يلتزم الباحث بكل ما جاء في الشروط العامة (البند «أ»).

٢- يشمل المقترح ما يلي:

- توصيف مشروع البحث، ويشمل موضوع البحث وأهدافه، خطة العمل ومراحله، والمدة المطلوبة لإنجاز العمل.
- ميزانية تفصيلية متوافقة مع متطلبات المشروع، تشمل الأجهزة والمستلزمات المطلوبة، مصاريف السفر والتنقل والسكن والإعاشة، المشاركين في البحث من طلاب ومساعدين وفنيين، مصاريف إدخال البيانات ومعالجة المعلومات والطباعة.
- تحديد ما إذا كان البحث مدعومًا كذلك من جهة أخرى.

(ج) الشروط الخاصة بالرسائل العلمية:

إضافة لكل ما ورد في الشروط الخاصة بالبحوث (البند «ب») يلتزم الباحث بما يلي:

١- أن يكون موضوع الرسالة وخطتها قد أقرّا من الجهة الأكاديمية، ويرفق ما يثبت ذلك.

٢- أن يُقدّم توصية من المشرف على الرسالة عن مدى ملاءمة خطة العمل.

الجوف ٤٢٤٢١ ص.ب ٤٥٨ هاتف: ٠١٤ ٦٢٤٥٩٩٢ فاكس: ٠١٤ ٦٢٤٧٧٨٠
الغاط ١١٩١٤ ص.ب ٦٣ هاتف: ٠١٦٤٤٢٢٤٩٧ فاكس: ٠١٦٤٤٢١٣٠٧
الرياض ١١٦١٤ ص.ب ٩٤٧٨١ هاتف: ٤٩٩٩٩٤٦ ٠١١ جوال: ٠٥٥٣٣٠٨٨٥٣
info@alsudairy.org.sa
www.alsudairy.org.sa

الجوبة

ملف ثقافي ربع سنوي يصدر عن

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

هيئة النشر ودعم الأبحاث

د. عبدالواحد بن خالد الحميد	رئيسًا
أ. د. خليل بن إبراهيم المعيقل	عضوًا
أ. د. مشاعل بنت عبدالمحسن السديري	عضوًا
د. علي دبكل العنزي	عضوًا
محمد بن أحمد الراشد	عضوًا

أسرة التحرير

إبراهيم بن موسى الحميد	المشرف العام
محمود الرمحي	محررًا
محمد صوانة	محررًا

الإخراج الفني: خالد الدعاس

المراسلات: هاتف: ٦٢٦٣٤٥٥ (١٤) (٩٦٦+)

ص. ب ٤٥٨ سكاكا الجوف - المملكة العربية السعودية

www.alsudairy.org.sa | aljoubahmag@alsudairy.org.sa

ردمد ISSN 1319 - 2566

سعر النسخة ١٣ ريالًا - تطلب من فروع

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

الاشتراك السنوي للأفراد ٦٠ ريالًا والمؤسسات ٨٠ ريالًا

مجلس إدارة مؤسسة عبدالرحمن السديري

فيصل بن عبدالرحمن بن أحمد السديري	رئيسًا
زياد بن عبدالرحمن السديري	العضو المنتدب
عبدالعزيز بن عبدالرحمن السديري	عضوًا
عبدالواحد بن خالد الحميد	عضوًا
خليل بن إبراهيم المعيقل	عضوًا
مشاعل بنت عبدالمحسن السديري	عضوًا
سلمان بن عبدالمحسن السديري	عضوًا
أحمد بن سلطان بن عبدالرحمن السديري	عضوًا
طارق بن زياد بن عبدالرحمن السديري	عضوًا
سلطان بن فيصل بن عبدالرحمن السديري	عضوًا
محمد بن سلمان بن عبدالرحمن السديري	عضوًا

قواعد النشر:

١- أن تكون المادة أصيلة.

٢- لم يسبق نشرها ورقيًا أو رقميًا.

٣- تراعي الجدية والموضوعية.

٤- تخضع المواد للمراجعة والتحكيم قبل نشرها.

٥- ترتيب المواد في العدد يخضع لاعتبارات فنية.

٦- ترحب الجوبة بإسهامات المبدعين والباحثين والكتّاب، على أن تكون المادة باللغة العربية.

«الجوبة» من الأسماء التي كانت تُطلق على منطقة الجوف سابقًا.

المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة والناشر.

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

يُعنى المركز بالثقافة من خلال مكتباته العامة في الجوف والغاط، ويقيم المناشط المنبرية الثقافية، ويتبنّى برنامجًا للنشر ودعم الأبحاث والدراسات، يخدم الباحثين والمؤلفين، وتصدر عنه مجلة (أدوماتو) المتخصصة بآثار الوطن العربي، ومجلة (الجوبة) الثقافية، ويضم المركز كلًا من: (دار العلوم) بمدينة سكاكا، و(دار الرحمانية) بمحافظة الغاط، وفي كل منهما قسم للرجال وآخر للنساء. ويتم تمويل المركز من مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

Alsudairy1385 0553308853

العدد ٨٦ - شتاء ١٤٤٦هـ (٢٠٢٥م)

المحتويات

الافتتاحية ٤
الدورة الثامنة عشرة لمنتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري بعنوان: المحميات في المملكة العربية السعودية ٦
الدورة السابعة عشرة لمنتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع بعنوان: صحة المرأة النفسية وجودة الحياة..... ٢٠
الصحةُ النفسيةُ للمرأة في منتدى منيرة الملحم في محافظة الغاط - د. هياء السمهري..... ٣٦
دراسات ونقل: «عبدالله الصيخان» شاعرُ الإنسان والوجدان - ملاك الخالدي ٣٩
مذكرات ثريّا التركي وسارة الحمود قراءة مقارنة - الخنساء الموسى ٤١
جماليات اللغة اليومية والاتكاءُ على السرد في نصّ لحميد سعيد - د. سلطان الزغول ٤٨
الرمزية واللفظية في أدب الطيب صالح دراسة نقدية - محمد صلاح أبو عمر..... ٥٣
«ممراتُ السنونو» للشاعر العاصي بن فهيد.. القصيدة تتجاوز كلماتها - شريف الشافعي..... ٥٦
البحثُ عن وداد.. طرائقٌ من التجريب - محمود قنديل ٦٠
مواجهات: حوار مع الشاعر العاصي بن فهيد - إبراهيم الحميد ٦٤
حوار مع أحمد بن عيسى الهلالي - عمر بوقاسم ٧٠
ترجمة: طموحُ القصَّة القصيرة - ستيفن ميلهاوزر، ترجمة: خلف سرحان القرشي ٧٧
نصوص: عصبونات - صباح حمزة فارسي ٨٠
ندوبٌ - رجاء عبدالحكيم..... ٨٢
لا تغرق - سمر الزعبي ٨٤
أشياءٌ ستحدُث في الماضي! - هشام بن الشاوي..... ٨٦
حرمانٌ - عبدالكريم النملة ٩٠
مُستطلعًا صباحي..! - عمر بوقاسم ٩٢
بين ليلَين - نوره عبيري..... ٩٤
في مسقط رأسي - تركية العمري..... ٩٥
دعني أراك - منصور جبر ٩٦
القَلَب - محسن علي السهيمي ٩٧
العاشق الأخير - رشاد رداد ٩٨
قصائد - شفيق العبادي ١٠٠
شهادات: تجربتي الشعريةُ - د. وفاء خنكار ١٠١
نوافذ: تحليلُ الشعر امتدادٌ تاريخيٌّ وتحوّلاتٌ عميقةٌ جان ميشال غفار - ترجمة: د. محمد محمود - د. أحمد اللهيب..... ١٠٥
الجانبُ العاديّ للفئة غير العاديّة - أحمد الجميد ١١٢
أدبُ الذكاء الاصطناعي: هل سيكون شات جي بي تي مؤلف روايتك المُفضلة القادمة؟ - جينيفر بيكر، ترجمة: أميرة الوصيف ١١٤
القراءة في زمن التكنولوجيا: أسئلة وتحديات من العولمة إلى الذكاء الاصطناعي - إبراهيم الكراوي ١١٧
التحديقُ في حقيقة الموت وقراءة في كتاب «عن الأسى والتأسي» - صفية الجفري ١٢٢
عام الإبل في السعودية: تراثٌ يتجدد ورمزٌ يزدهر - منى حسن..... ١٣٠
محمد زايد الألمعي ١٣٧٧ - ١٤٤٥هـ/ ١٩٥٨ - ٢٠٢٣م - محمد عبدالرزاق القشعمي ... ١٣٤
إنجاز دراسة داخلية عن الاحتياجات التنموية لمنطقة الجوف ضمن برنامج دعم الأبحاث بمركز عبدالرحمن السديري - محمد صوانة..... ١٣٨
قراءات ١٤٢
الصفحة الأخيرة: البؤساء: التحليق الحُر - هناء جابر..... ١٤٤

المحميات في المملكة العربية السعودية
في الدورة 18 لمنتدى الأمير عبدالرحمن السديري

صحة المرأة النفسية وجودة الحياة
في الدورة 17 لمنتدى منيرة الملحم لخدمة المجتمع

مذكرات ثريا التركي وسارة الحمود
قراءة مقارنة

حوار مع الشاعر العاصي بن فهيد

لوحة الغلاف: من 2madison Art Gallery.

افتتاحية العدد

■ إبراهيم بن موسى الحميد

انعقدت الدورة الثامنة عشرة لمنتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية تحت عنوان: «واقع المحميات في المملكة ودورها في تعزيز الغطاء النباتي وحماية الكائنات الفطرية»، بمشاركة عدد من المتحدثين البارزين الذين استعرضوا الإنجازات والتحديات المتعلقة بالمحميات الطبيعية في السعودية. تناول المنتدى محاور رئيسة تتعلق بتطوير المحميات، وحماية التنوّع البيولوجي، وتعزيز الاستدامة البيئية.

وقد استعرض الرئيس التنفيذي لهيئة تطوير محمية الملك سلمان بن عبدالعزيز الملكية عبدالله العامر جهود الهيئة؛ بالتوافق مع رؤية المملكة، والاهتمام بالحياة الفطرية والبيئية، والتركيز على الحماية والتشجير؛ موضحًا أنَّ المحمية تركز على توظيف أبناء المجتمعات الواقعة في نطاق المحمية في المشاريع التي تسند إلى القطاع الخاص، مبينًا أنَّ محمية الملك سلمان الملكية تُعدُّ أكبر محمية في المملكة والشرق الأوسط، وثالث أكبر محمية في العالم، وقد تمكنت خلال الثلاثة أعوام الماضية من زراعة مليوني شجرة و٤٠٠ ألف شتلة، ونثر أطنان من البذور، كما أسهمت الهيئة في إطلاق ألفي كائن فطريّ في حرّات الحرّة، والطبيق، والخنفة، خلال العام الماضي، وتحقيق ٢٧ حالة ولادة للكائنات الفطرية.

بدوره، أشار مدير عام المناطق المحمية بالمركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية عبدالله الطلاسات إلى أنَّ المناطق المحمية في المملكة العربية السعودية وصلت إلى أكثر من ١٨٪ من المساحة الإجمالية للمملكة، فيما بلغت الحماية البحرية أكثر من ٦ ٪ من المناطق البحرية المحمية، وأعلن عن اكتشاف مومياءات الفهد الصياد في دلالة على أن المملكة موطن طبيعي لها، وحرص المركز على برامج توطين لهذه الكائنات.

وفي محور الجامعات السعودية، أفاد عضو هيئة التدريس في جامعة الملك سعود أ. د. محمد الشايع أن الجامعات تسهم في كراسي البحث العلمية في تخصصات النباتات والبيئة بما يخدم منظومة العمل في المحميات. ومن جهته، استعرض عضو هيئة التدريس بجامعة جرش الأردنية

أ. د. محمد بريك ملامح التعاون بين المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية في مجال المحميات الطبيعية، وقال إنَّ تجربة الأردن في إنشاء المخيمات تعود إلى عام ١٩٦٦م، عبر إنشاء الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، وتخصيص ١٣ محمية في الأردن تشكل نحو ٤٪ من مساحة الدولة.

وأوضح مدير عام مركز الأمير عبدالرحمن السديري الثقافي سلطان بن فيصل السديري أن المنتدى درج على التركيز على موضوع بارز في كل دورة، وتنظم دوراته السنوية بالتناوب بين الجوف والغاط؛ بهدف التركيز على دور المركز في مناقشة القضايا المهمة على مستوى الوطن.وفي هذا العام يسلط المنتدى الضوء على أهمية حماية البيئة الطبيعية والمحميات كأداة إستراتيجية لتحقيق التنمية المستدامة في المملكة.

***

تستمر الجوبة بالتواصل مع كافة المبدعين ونشر أعمالهم الجديدة لإظهار التزامها الدائم بخدمة الابداع والثقافة الجادة في المملكة والعالم العربي، وفي إطار هذه الرؤية المهمة تحاول مجلة الجوبة فتح صفحاتها دائما للجميع..

وتقدم الجوبة في عددها الجديد دراسات ومقالات تحمل دلالات مهمة في مجالاتها، كما تنشر نصوصًا سردية وشعرية، وترجمات، وشهادة إبداعية، ومقالات، وقراءات معمقة، كما هو التحديق في حقيقة الموت، وقراءة في كتاب الأسى والتأسي، وتجربة القراءة المبكرة للبؤساء، وإشكالية حرية اختيار الكتب، وتحدّي إسقاط الأجيال الشبابية إذا تم تحديد محتوى قرائي لهم!

وفي هذا العدد، تواجه الجوبة شاعرًا مهمًا بقي بعيدًا عن المجتمع الثقافي، وقدّمته أعماله التي نشرها في مصر قبل أن يظهر اسمه، العاصي بن فهيد صاحب «صورة وإناء في المزاد»، و«ممرات السنونو»، و«نوفيلا»، و«البحث عن وداد»، و«هيستيا»، و«شيخ الصعاليك»، أو «أهل الخانكة؛ وتميز بقربه من قضايا المهمّشين والمجتمع البسيط. وعكست أعماله شغفه بسبر أغوار النفس البشرية، وما تحمله من تناقضات الشاعر الذي قدمته المجلة في دراسات لأعماله الإبداعية ودواوينه منذ سنوات خلت، ليكشف في مواجهته المنشورة هنا عن شخصيته وعن حياته الإبداعية ومسيرته طوال سنوات بين المملكة وفرنسا.. كما تنشر الجوبة دراسات في أبرز أعماله، وهي ممرات السنونو الصادر عن دار صفصافة بالقاهرة، الذي ضمَّ ٧٦ قصيدة قصيرة؛ فاتحًا نصوصه على الأزمنة والأمكنة، وحاملًا رؤيته في هذا الفضاء المشحون بالاحتمالات؛ ومقدمًا تجربة خصبة محمّلة بالعمق والمضامين والمفاهيم المغايرة والمدهشة..

كما تنشر الجوبة دراسة في روايته «البحث عن وداد» وهي الرواية التي حملت مساحات من التجديد والتحديث والاحتفاء بالمكان والشوارع، ممتطيًا خطى التجريب بين النثر والشعر..

برعاية أمير منطقة الجوف

18

منتدى الأمير
عبد الرحمن بن أحمد السديري
للدراسات السعودية

الدورة الثامنة عشرة
دار العلوم بمدينة سكاكا بالجوف
مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

المحميات
في المملكة العربية السعودية

■ كتب: محمد صوانة

منتدى الأمير عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية يعقد دورته ١٨ في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي بقاعة دار العلوم بمدينة سكاكا بالجوف.

يناقش دور المحميات في المملكة وتطوير الغطاء النباتي والكائنات الفطرية.

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز أمير منطقة الجوف، عقد منتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية في دورته الثامنة عشرة، في قاعة دار العلوم بالجوف بمدينة سكاكا بعنوان: «المحميات في المملكة العربية السعودية»، وذلك يوم الأربعاء ٢٧ ربيع الآخر ١٤٤٦هـ (٣٠ أكتوبر ٢٠٢٤م)، بحضور عدد من المشاركين والمدعوين من المختصين والأكاديميين والخبراء والمهتمين.

وفي كلمة افتتاح المنتدى ألقى مدير عام مركز عبدالرحمن السديري، سلطان بن فيصل السديري، كلمة أشار فيها إلى الأهمية التي تتمتع بها المحميات الطبيعية في المملكة، وقد جاء اختيار هذا الموضوع لمنتدى الأمير عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية في دورته لهذا العام، رغبة من مركز عبدالرحمن السديري الثقافي في مناقشة الموضوعات المهمة على مستوى الوطن. لذا دعي لمناقشة محاور المنتدى أساتذة أكاديميون من جامعات سعودية وعربية ومسؤولون عاملون في إدارة المحميات في المملكة.

وأكد السديري أن المركز دَرَج منذ

تأسيسه على حضوره بشكل فاعل في الساحة الثقافية، والعمل على مناقشة القضايا المهمة على الساحة الثقافية على مستوى الوطن.

وأشار مدير عام المركز سلطان السديري، إلى التقدير الكبير لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن نواف بن عبدالعزيز على دعمه المتواصل لأنشطة المركز وبرامجه الثقافية، وكذلك لكل المبادرات الثقافية والمجتمعية التي تقام في منطقة الجوف؛ ما كان له أطيب الأثر لدى القائمين على هذه المراكز والمؤسسات الثقافية، وشكّل حافزا للجميع لتقديم المزيد لخدمة وطننا في المجال الثقافي.

عقدت فعاليات المنتدى في جلسة واحدة مطولة، ناقش فيها المتحدثون أربعة محاور تناولت دور المحميات الطبيعية في التغير المناخي، وأهمية إعادة توطين الكائنات المهددة بالانقراض، والأهمية الاقتصادية للمحميات الطبيعية، ودمج المجتمعات المحلية في برامج حماية الطبيعة وخلق فرص عمل ومشاريع منتجة منبثقة عنها، والعمل على تحقيق الأهداف البيئية لرؤية المملكة ٢٠٣٠، والأهمية السياحية للمحميات الطبيعية، والدور الثقافي المطلوب في التعليم والتوعية وتعزيز وظائف البيئات الطبيعية وأدوارها في الثقافة المجتمعية المحلية، والمحور الرابع كان عن تجربة الأردن في مجال المحميات الطبيعية.

أ. سلطان بن فيصل السديري
مدير عام مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

وشارك في مناقشة المحاور كل من أ. عبدالله العامر/ الرئيس التنفيذي لهيئة تطوير محمية الملك سلمان، وأ.د. محمد الشايع/ رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للعلوم الزراعية بجامعة الملك سعود، والأستاذ عبدالله الطلاسات/ مدير عام المناطق المحمية بالمركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية، وأ.د. محمد حسين بريك، عميد كلية العلوم بجامعة جرش/ عضو اللجنة الوطنية للتنوع الأحيائي بالمحميات الطبيعية بالأردن، وأدار ندوة المنتدى أ.د. خليل المعيقل عضو مجلس أمناء المعهد الملكي للفنون التقليدية.

أ. د. خليل المعيقل

ندوة المنتدى
أدار الجلسة: أ. د. خليل المعيقل

افتتح الدكتور خليل المعيقل الندوة فقال: إن المحميات الطبيعية جاءت منسجمة مع أهداف رؤية المملكة ٢٠٣٠، التي أكدت أهمية حماية البيئة الطبيعية في المملكة بما في ذلك البرية والبحرية؛ لذا جاء إنشاء المحميات الملكية وقبلها أنشئت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية، التي تولت إنشاء العديد من المحميات الطبيعية التي توزعت على مساحة أراضي المملكة، للحفاظ على الحياة الفطرية والتأسيس لثقافية المحميات الطبيعية وتطويرها.

المتحدث الأول:
د. عبدالله العامر
الرئيس التنفيذي
لهيئة تطوير محمية الملك سلمان

وقال الدكتور العامر: إن إنشاء المحميات في المملكة بدأ عام ١٤٠٢هـ حينما أُنشئت الهيئة الوطنية للحماية الفطرية، وانتشرت هذه المحميات في مناطق مختلفة من المملكة، وأدت أعمالا جليلة في الحفاظ على البيئة، وبدأت بإحياء الحياة الفطرية وإطلاق العديد من الحيوانات المهددة بالانقراض فيها. وفي عام ١٤١٨هـ، أُطلقت استراتيجية السعودية الخضراء، وكان المستهدف الرئيس منها مكافحة التصحر، ومحاربة مسببات التحوّل البيئي. واستهدفت الاستراتيجية زراعة ١٠ مليارات شجرة في مناطق المملكة. وعندما أنشئت المحميات الملكية عام ١٤١٨هـ، كانت مساحتها ١٣٪ من مساحة المملكة، والمستهدف في عام ٢٠٣٠م الوصول إلى ٣٠٪ من المناطق المحمية، بما فيها المحميات البحرية. وهي تستهدف إعادة الغطاء النباتي لما كان عليه، والسعي للتنمية المجتمعية والاقتصادية للمجتمعات، في المحميات وما حولها.

وفيما يتعلق بالمستهدفات فالحفظ البيئي يعد المستهدف الأول، وقد قامت محمية الملك سلمان، وهي أكبر محميه في المملكة، وفي الشرق الأوسط كذلك، وهي ثالث أكبر محمية في العالم إذ تبلغ مساحتها

د. عبدالله العامر

١٣٠٠٠٠ كيلو متر مربع. وتمت زراعة نحو مليونين و٤٠٠ ألف شتلة في مناطق مختلفة من المحمية، ونثر أطنان من البذور. وتسعى المحمية للشراكة مع المجتمع المحلي؛ فعندما يكون المجتمع المحلي شريكا في إعادة الغطاء النباتي، ويزرع الشتلات، فإن ذلك سيكون محفزا كبيرا، ويشكل فهما ووعيا أكبر؛ ما يدفعهم لمشاركة التجربة بأنفسهم.

وفيما يتعلق بالحياة الفطرية، أطلقت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية بالتعاون مع المركز الوطني للحياة الفطرية أكثر من ٢٠٠٠ كائن في محميات مختلفة، من حرة الحرة، وطبيق، والخُنفة. وشهدنا في العام الماضي ٢٧ حالة ولادة للكائنات الفطرية فيها.

والمستهدف الآخر التنمية الاجتماعية والمجتمعية؛ إذ حرصت الهيئة منذ إنشائها على إشراك المجتمع المحلي في أعمالها، وشاركت مع الجامعات المحلية بإجراء المسوحات، مما يعود على الجامعات بالفائدة تعليميًا واقتصاديًا. وبشأن السياحة البيئية، يتم تنفيذ برامج سياحية وإنشاء منتجعات سياحية، بالشراكة مع القطاع الخاص.

ومن المستهدفات الرئيسة للمحميات الملكية المشاركة والإسهام في تحقيق مستهدفات صاحب السمو الملكي -ولي العهد- التي أطلقها لزراعة ١٠ مليار شجرة؛ فمحمية الملك سلمان تزرع في السنه بمعدل مليون إلى مليون ونصف شجرة. وكل من يزور حرة الحرة، سيجد أنها في كل سنة تختلف عما كانت عليه في السنة التي قبلها، ومن عرف منطقة الصمان وشاهد صورها قبل ثلاث أو أربع سنوات، وكيف صارت الآن بدون أي تدخل مباشر؛ سيرى كيف تغيرت

الفياض الموجودة فيها. ويجب علينا أن نركز على أنواع النباتات والأشجار التي لا تحتاج لكميات كبيرة من المياه، ويمكن أن تعيش على نموذج حصاد الأمطار مع الوقت.

وأود أن أشير إلى أن الهيئة تعاونت مع وزارة التعليم العام لإدخال برامج بيئية ضمن المقررات الدراسية لجميع المراحل، مع تنظيم زيارات للمدارس، وإلقاء محاضرات فيها عن البيئة وكيفية المحافظة عليها، وندخل الطلبة في تجارب حقلية.

كما تعاونت الهيئة مع وزاره الشؤون الإسلامية لتكون العناية بالبيئة الطبيعية والمحميات ضمن خطب الجمعة للتذكير بأهمية المحافظة على البيئة، فالعناية بمخزون المملكة من الثروة البيئية هي مسؤولية الدولة والمجتمع وليس مسؤولية الهيئات الملكية أو المركز الوطني أو وزارة البيئة وحسب.

المتحدث الثاني:
الأستاذ عبدالله الطلاسات

ثم تحدث الأستاذ عبدالله الطلاسات، فقال: لكي نفهم قضية المناطق المحمية دعوني أرجع بكم قليلا إلى التاريخ. لماذا نحن جزء من العالم في منظومة المحافظة على الثروات الطبيعية في العالم كله. ففي عام ١٩٦٢م، تم الاعتراف بأهمية المناطق المحمية، ولكن كل دوله تحمي وفق مفهومها الخاص. وفي عام ١٩٧٢م، بدأت الثورة الصناعية تطغى على البيئة الطبيعية، وبدأ

الأستاذ عبدالله الطلاسات

التركيز على مفهوم المناطق المحمية، ودعم بقاء الكائنات الفطرية واستدامتها. وفي قمة ريو دي جانيرو في البرازيل عام ١٩٩٢م، أجمع المؤتمرون على تعريف واحد للمنطقة المحمية، بأنها منطقه جغرافية محددة، ومعترف بها، تدار وفق آليات قانونية، وتهدف للمحافظة على النظم البيئية، وما يرافقها من خدمات. ومن يومها بدأ الاهتمام بالحماية البيئية، حتى وصل عدد المحميات الطبيعية في العالم أكثر من ٢٥٨٠٠٠ منطقه محميه.

وامتدادًا لما ذكره سعادة الأستاذ عبدالله العامر، كان لا بد أن نصل لحماية ١٧٪ مناطق محمية برية، و١٠٪ مناطق محمية بحرية، وانتهت هذه الأهداف بحلول عام ٢٠٢٠م. وبعد تحقق هذه الأهداف، كان هناك توجه جديد للوصول إلى حماية ٣٠٪؛ ففي عام ٢٠٢١م، أطلق صاحب السمو الملكي، ولي العهد -حفظه الله- مبادرة السعودية الخضراء، ومن أهدافها حماية ٣٠٪ مناطق محمية برية وبحرية، والعمل على التشجير.

لكن! لماذا نحن نسعى للمناطق المحمية؟ فكما ذكر الدكتور خليل المعيقل فالمحميات ليست مساحة وحسب، بل هي أن تحافظ على أهم مواقع التنوع الإحيائي، والنظم المصاحبة لها. وقد حرص المركز الوطني، وقبله الهيئة السعودية للحياة الفطرية على رسم السياسات والاستراتيجيات للوصول إلى ما نسبته حماية ٣٠٪ مناطق محميه بريه؛ ومنذ أن أعلنت رؤية ٢٠٣٠م، كلف المركز الوطني المعني بالحياة الفطرية، بإعداد خريطة طريق للوصول إلى تحقيق هذا الهدف، والحمد لله بالأمس القريب أطلقنا خطة منظومة المناطق المحمية التي ترسم التوجهات، وهذه الخطة تُبين الوضع الحالي، والأهداف، والمبررات، والفجوات.

وأؤكد مره أخرى أن هذه السياسات ترسم وفق رؤية ٢٠٣٠ ولها ثلاث ركائز أساس هي: وطن طموح، واقتصاد مزدهر، ومجتمع حيوي. وبهذه الركائز الثلاث نستطيع إن شاء الله بتكاتفنا معا أن نحقق ذلك.

إن المحميات الملكية، والمحميات الطبيعية تلعب دورًا مهمًّا في تحقيق الاستدامة البيئية والحفاظ على التنوع الإحيائي، وأن من أهم دور من أدوارها حماية التنوع الإحيائي من نبات حيوان وبخاصة الأنواع المهددة بالانقراض.

وقال الأستاذ الطلاسات: ينبغي أن لا نغفل أن المحميات بيئة خصبة للبحث العلمي والتحليلات الوراثية وغير ذلك، فقد اكتشفنا بالأمس القريب ميماويات للفهد الصياد، وهذا الاكتشاف يدل على وجود للفهد لكنه انقرض؛ ودورنا أن نفكر كيف نعيد الأنواع المنقرضة إلى مواطنها في بلادنا، ونحمي المهددة منها بالانقراض؛ للإسهام في تحقيق التوازن ما بين التنمية الاقتصادية والتنمية البيئية. وقد انضمت

المملكة لاتفاقيه التنوع الإحيائي، ما يُلزمنا أن نكون من الدول المتقدمة في الحفاظ على التنوع الإحيائي، والحياة الفطرية بشكل عام، وأن ندعم المشاريع البيئية والإسهام في هذه المنظومة.

وأكد الأستاذ الطلاسات أن المركز الوطني لحمايه الحياة الفطرية لديه برامج متعددة تدعم زيادة فرص المساحات الخضراء للمناطق المحمية، وإعادة إكثار الكائنات المهددة بالانقراض وتوطينها. وفي مجال دعم البرامج المجتمعية، فقد احتفلنا بالأمس القريب مع المجتمع المحلي بيوم القهوة العالمي للبن «الشدوي» الذي تتميز به منطقة الباحة. وأيضا هناك برامج أخرى تهتم بدعم النحالين وبتنظيم الرعي في مختلف المحميات. وكل هذا يعد من أدوات الجذب للمجتمع المحلي.

واليوم نحتفل بتسجيل أول محميتين في القائمة الخضراء التابعة للاتحاد العالمي لصون الطبيعة: محمية الملك سلمان، ومحمية الوعول. هذه المبادرة تهدف لضمان تحسين الإدارة الفاعلة للمناطق المحمية، وتوحيد الركائز الأساس الداعمة للمجتمع المحلي. وستشكل هذه المحميات بيئة جاذبة لخلق فرص وظيفية، وخلق فرص اقتصادية للمجتمعات المحلية المحيطة بها.

وقال الأستاذ الطلاسات: إن الأصل في المحميات بحد ذاتها هي أن تحافظ عليها من خلال حمايتها على طبيعتها، أما المواقع المتدهورة فيتم اعادة تأهيلها باستزراع النباتات الأصيلة الموجودة في المنطقة، لأن عمليه الإدخال قد تسبب قضايا أخرى نحن بغنى عنها. لعل أهم التجارب لدينا هو أشجار برسوبس الذي غزا بعض المناطق لدينا، وتسبب في تدهور وانقراض بعض الأنواع الأصيلة في المنطقة المحمية. نحن حذرون في هذا الجانب، وهناك آلية للتعامل معها، وبالتالي نحن حريصون على أن تكون المنطقة المحمية المستهدفة تحقق هذه المعايير الثلاثة.

وأكد الأستاذ الطلاسات أن المحميات التابعة للمركز تعمل على دعم تنمية الاقتصاد المستدام للمجتمعات المحلية، وأغلب المحميات التابعة للمركز الموظفون فيها من أبناء المنطقة المحيطة بها.

وفيما يتعلق بالسياحة البيئية برزت وظيفة اسمها الإرشاد البيئي، كما ندعم إنتاج منتجات المجتمع المحلي وتسويقها، سواء كانت الزراعية مثل «البن الشدوي» في الباحة، وإنتاج العسل. اليوم عندنا أغلب المحميات تنتج كميات من العسل، وتسمى باسم المحمية بالتعاون مع أهالي المجتمع المحلي أيضا، ولا نغفل أن المحمية هي أداة جذب للفرص غير الوظيفية، كالفرص الاقتصادية؛ فعندما تكون هناك كثافة في أعداد السياح والزوار في المنطقة المحمية، فإن النشاط الاقتصادي ينمو ويزدهر في المنطقة كلها، ونسعى لهذا الدور بالشراكة مع الجمعيات المحلية. ولا نغفل

أن المحميات بيئة خصبة وجاذبة للقطاع الخاص لجذب التمويل الاقتصادي للمجتمع المحلي.

المتحدث الثالث: أ.د. محمد الشايع

قال: إن فكرة المحميات نشأت من صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل الذي قدمها لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان -غفر الله لهما - فقامت هذه البذرة من ذلك التعاهد. بعدها ب ١٣ عاما مُنح صاحب السمو الملكي سمو الأمير سلطان -غفر الله له- في عام ١٤٢٣هـ جائزه البيئة والسلام تقديرًا لجهود المملكة العربية السعودية، وجهوده الشخصية، لأنه كان رئيس مجلس إدارة الهيئة السعودية للحياة الفطرية. فهذا العمل، وهذا الامتداد دعم القائمين في الجامعات، سواء على مستوى البحوث الفردية أو الجماعية في هذا المجال.

لقد شاركت الهيئة السعودية سابقا، والمراكز حاليا والمحميات الملكية في دعم هذا التوجه من خلال دراسة النوعيات، وحصر النباتات والكائنات الفطرية. وهناك الآن جهد مجتمعي، ليس فقط في الجامعات وإدارات المؤسسات الحكومية المعنية، بل المجتمع كله معني بالحماية البيئية. وهذا العمل الجبار والبَنّاء لا يقصد فيه أنها محميات وحسب، وإقامتها والتنظير عليها، اليوم المملكة العربية السعودية بدأت تسجل نجاحات، وبدأت تسجل عددا من المحميات في القوائم الخضراء، وهذا خير دليل على حقيقة انتشار الوعي بين أفراد المجتمع المحلي الداعم، وكذلك انتشار الوعي بين الباحثين والقائمين على هذه البحوث والدراسات العلمية، ولا نغفل أدوار

جميع الأفراد، ابتداء من الأسرة، وانتهاء بالتشريعات والأنظمة.

وفي الجامعات الآن كراسي بحث علمي، ومراكز، وجمعيات متخصصة في المجال البيئي ودراسة المحميات ودراسة أنواع الطيور، والنباتات، ويشرفنا أن يقف على هذا الثغر الرجل الثاني في الدولة، صاحب السمو الملكي، ولي العهد بدعمه لكافة البرامج البيئية سواء في العمل البحثي أو في العمل التنظيمي والتشريعي أو في العمل التنفيذي.

وأشار د. الشايع إلى أن أعمال التعدي على الأشجار البرية التي يتم تدميرها للحصول على الحطب بطرق مخالفة للقانون على مدى السنوات الماضية يوازي ما تم استيراده من خارج المملكة، والأمل معقود من أبناء المجتمع في المملكة أن يبادروا إلى التوقف عن الاعتداء على الثروة الحرجية في أراضي المملكة وصحاريها، حفاظا على استدامتها والانتفاع منها في تنمية الحياة الفطرية البرية.

وعلى سبيل المثال فإن شجرة الطلح تحتاج نحو ١٠٠ سنة ليكبر حجمها، ويأتي شخص بمنشار يقصها ويدمرها في دقيقتين! واستشهد ببيت الشعر الذي يلخص قضية السلوك البشري في هذا المجال:

متى يبلغ البنيان يوم تمامه
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

أ.د. محمد الشايع

ولو أن بانٍ خَلفه هادم كفى
فكيف ببان خلفه ألف هادم؟!

وأكد د. الشايع أن أمامنا مؤسسات وأفراد مسؤولية وطنية لتغيير السلوك وأن نفكر بمصلحة الوطن بعيدا عن أي غايات خاصة مستعجلة تضر بالبيئة المحلية التي تعد كنزا من كنوز الوطن، ولعل هذا المنتدى يخرج اليوم بتوصيات للدعوة إلى المحافظة على المحميات الطبيعية.

لقد مضى حتى الآن ثلاث سنوات على مبادرة السعودية الخضراء، التي أعلن عنها صاحب السمو الملكي، سمو ولي العهد، لزراعة عشر مليارات شجرة، وبحمد الله الخطة تسير بشكل جيد وممنهج، وأرجو أن نشاهد جميعا ونعيش الاحتفاء بتحقيق هذا الهدف الجميل لما له من أثر في تحسين البيئة الطبيعية والحفاظ على تنوع الحياة الفطرية في أراضي المملكة.

وإن الوصول إلى هدف السعودية الخضراء. يعد مسؤولية كل منا ذكورًا وإناثًا، صغارًا وكبارًا، مسؤولين وغير مسؤولين

لنصل إلى هذا المستهدف الوطني؛ لأنه يسهم في تحسين صحة الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض المباركة؛ فالأشجار تمتص المواد الصلبة الملوثة للطبيعة، وتقوم أيضا بامتصاص ثاني أكسيد الكربون، وتعطي الأكسجين بدلا من ذلك.

ودعا الدكتور الشايع إلى التوقف عن الرعي الجائر وقطع الأشجار لوقف استنزاف الطبيعة، وخسارة الأشجار. وقال إن محمية حرة الحرة كان فيها أكثر من ٣٠٠٠ غزال، لكنها انقرضت مع الأسف؛ بسبب نقص الغذاء أو سوء الحماية أو الصيد. ويرتب علينا ذلك مزيدا من الدراسة والتمعن، لمساعدة الأجهزة الحكومية ووطننا الغالي في تحقيق ما يصبو إليه ضمن رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، في الحفاظ على البيئة.

المتحدث الرابع:
أ. د. محمد بريك

بدأ الدكتور محمد بريك بقوله نحن جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط، وفعليا إذا لم يكن هناك تكامل بين الدول، فلن تنجح هذه الجهود لأننا في منطقة جغرافية واحدة، وانسجاما مع الشرق الأوسط الأخضر، استحدثت الجمعية الملكية لحماية الطبيعة في الأردن عددا من المحميات الطبيعية؛ وقد كانت مساحة المحميات الطبيعية ١٧٠٠كم^{٢} من مساحة الأردن، تشكل أقل من ٢٪. أما الآن، ومع إضافة مساحات المحميات الطبيعية الجديدة التي عددها أربع محميات، وصلت نسبة المساحات إلى ٤٪ وربما أكثر، علما أن جزءا كبيرا من مساحة المملكة الأردنية الهاشمية صحراء.

وقال الدكتور بريك إن الأردن وبالتعاون بين الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، ووزارتي البيئة والزراعة، والمركز الوطني للبحوث الزراعية، يعمل على التكامل مع الدول العربية الشقيقة المجاورة، وأهمها المملكة العربية السعودية، بالنظر إلى طول الحدود البرية المشتركة بينهما. ومن أجل الوصول إلى شرق أوسط أخضر، لا بد لجميع الدول القيام بالأنشطة التي من شأنها أن تحافظ على الأصول الوراثية سواء كانت نباتية أو حيوانية، وأفضل حفظ لها في موقعها، يعني في محمية طبيعية داخل الحقل، وأن تبذل كل دولة جهدها في التعاون مع الدول العربية المجاورة لحماية البيئة الطبيعة وإثراء ما تضمه تلك البيئة من حياة فطرية نباتية وحيوانية.

وتحدث الدكتور بريك عن حفظ الأصول الوراثية خارج الموقع، فقال إن المركز الوطني للبحوث الزراعية في الأردن أنشأ بنكا للبذور؛ وهو في مراحله النهائية، وسيبدأ العمل خلال الأشهر القليلة المقبلة إن شاء الله. ومن المؤمل له أن يكون أكبر بنك وراثي للبذور في منطقة الشرق الأوسط، ويهدف لجمع الأصول الوراثية النباتية، وإجراء مسح لكل الأصول الوراثية النباتية المتوافرة في الأراضي الأردنية لحفظها وتنميتها وتكثيرها.

وقال إن مَن يطلع على ما يتعلق

بمستهدف السعودية الخضراء في رؤية ٢٠٣٠ في المملكة العربية السعودية، يدرك أن من وضع هذه الرؤية يهدف إلى الحفاظ على المكتسبات الموجودة حاليا، ويستهدف تطويرها وتنميتها لتحقيق المستهدف الأعلى وهو الوصول إلى السعودية الخضراء، وإن الزائر للمملكة يشاهد البيئة الطبيعية من الطائرة ويرى الكثير من المساحات الخضراء، لكن توسيع تلك المساحات وتطويرها يحتاج إلى إعادة تأهيل النظم البيئية التي جرى تدميرها بفعل الصيد الجائر وغيره من العوامل المؤثرة سلبا عليها، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالتشارك المجتمعي.

وفيما يتعلق باقتصادات المحميات قال د. محمد بريك – إن ما نسبته ٢٥٪ من الدواء في العالم أصله نباتي، ويستخرج من البيئة الطبيعية التي تقدم للإنسان هذه الفوائد التي قد تخفى على الناس العاديين فهي غير محسوسة ماديا، إضافة إلى أن البيئة الطبيعية الغنية بمكوناتها الفطرية تعمل على إعادة تدوير ثاني أكسيد الكربون «CO2» وتحويله إلى أكسجين نتنفسه، إضافة إلى أن الأشجار المزروعة تحمي التربة من الانجراف، وتخفف من ارتفاع درجات الحرارة على سطح الكرة الأرضية، وهناك فوائد عديدة أخرى للتنوع الحيوي وللمحميات الطبيعية.

فهناك منتجات تنتج داخل المحميات الطبيعية من خلال جمعيات المجتمع المحلي مثل الأكياس المصنوعة من الصوف، والصابون المصنوع من زيت الزيتون،

أ.د. محمد بريك

وغيرها الكثير، والزائر للأردن يجد في المطار متجرا، يتبع الجمعية الملكية لحماية الطبيعة تتوافر فيه منتجات تلك المحميات.

وقال د. بريك: إن إحدى المحميات في الأردن لديها مصنع لإنتاج السيراميك، عليها رسومات الأشجار والحيوانات التي تعيش في هذه المحمية، ومحمية أخرى تنتج الصابون، وكثير من المحميات لديها شراكات مع المجتمع المحلي. ومعظم المحميات الطبيعية في الأردن تقدم لزوار الرحلات السياحية غذاء مصنوعا من جمعيات المجتمع المحلي، وهو غذاء المنطقة، وهناك بعض المحميات الطبيعية عددها ثلاث أو أربع محميات طبيعية لديها نزل فندقية للزوار والسائحين، ومنها محمية ضانا، في جنوبي الأردن. وهذه بعض مظاهر التجربة الاقتصادية للمحميات الطبيعية في الأردن، ولا شك فإن هذه المنتجات قابلة للبناء عليها وتطويرها لما يعود بالنفع على المجتمع المحلي والدولة بوجه عام اقتصاديا وتوفير فرص عمل لأبناء المجتمع المحلي.

المداخلات

شهدت الندوة حوارا ومداخلات من بعض الجمهور تناولوا فيها قضايا عديدة تتعلق بالمحميات ووجهوا استفسارات وأسئلة عديدة أجاب عنها المتحدثون في الندوة، ومن أهمها:

الدكتور عبدالله العامر - أنا من كثر الأسئلة نسيت بعضها، لكن كثيرًا من المتداخلين تساءل عن موضوع الرعي. إن محمية الملك سلمان ليست كمحميات «حرة الحرة» و«طبيق» و«الخُنفة». فمحمية الملك سلمان مساحتها نحو ١٣٢ ألف كيلو متر مربع، تمتد من سكاكا بالجوف إلى طريف في منطقة الحدود الشمالية وتبوك في الشمال الغربي وإلى حائل جنوبا، فهي منطقه واسعة جدا، فلو اختزلنا مناطق الحفظ البيئي التي نتحدث عنها وهي المحافظة على الحياة الفطرية من نبات وحيوان مهدد بالانقراض في هذه المناطق الصغيرة، فبقية المناطق كلها مفتوحة، ولكنها لن تكون مفتوحة للرعي الجائر. فخطة تقسيم الأراضي حددت استخدامات الأراضي في كل منطقة، والحفظ الكامل هو المناطق التي ذكرتها، وهذه غير مسموح فيها أي نشاط مهما كان: صناعي أو تجاري أو أي شيء آخر لأن هذه مناطق حفظ كامل. أما بقية المناطق ففيها استخدامات سكنية، وصناعية، وزراعية، وفيها مناطق رعي، سوف تقسم على مدى سنوات معينة، وبعدها تُقفل، وتُفتح مناطق أخرى بدلا منها كي تستعيد غطاءها النباتي، لأنك لو تركت المناطق كلها لانعدم الغطاء النباتي، ولن يكون هناك فرصة لأي أحد، وهذا هو الهدف الأول.

وفيما يخص الحديقة البيئية، ستعمل الدولة على إنشاء مراكز للزوار تحتوي على حدائق لجميع النباتات التي تحتويها المحمية، وعلى عينات من الحياة الفطرية أو الحيوانات الموجودة في المحمية في مناطق مختلفة. وبالنسبة للطيور، تعد منطقة الجوف من أهم مناطق هجرة الطيور، وقد أجريت مسوحات على مدى ثلاث سنوات لهجرة الطيور، واعترفت المنظمة الدولية «إنترناشونال بيرد International Bird»، وحددت داخل محمية الملك سلمان مناطق مهمة لهجرة الطيور، وتحظى بالحماية الدولية، في مناطق «بسيطة» و«طبرجل» و«القريات»، كل هذه المناطق الثلاث، وأما المنطقتين الأخريين المهمة للطيور فهما في حائل، وسيكون ضمن المراكز هذه إن شاء الله أنواع وأعداد محددة من الطيور.

الأستاذ عبدالله الطلاسات - بالنسبة للنحالين، فإن المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية لديه منصة اسمها «منصة فطري»، تقدم أكثر من ٢٧ خدمة، وإحدى هذه الخدمات هي منح رخص للنحالين في المحميات. وفي هذا العام أصدر المركز أكثر من ٧٠ رخصة للنحالين مستهدفة جميع المناطق المحمية التابعة للمركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية.

أما فيما يتعلق بدعم الفعاليات السياحية، فقد حرصنا على أن تكون المحميات بيئة جاذبه للقطاع السياحي والاستثماري؛ لذا نظمت ورش عمل كان آخرها قبل أربعة شهور في محمية «عروق بين المعارض»، تم جمع جميع مقدمي الفعاليات السياحية في

المنطقة المستهدفة، لحضور برنامج توعية بالمقدرات الطبيعية في هذه المنطقة ودعمهم لاستقطاب السياح واستثمار هذا الفعاليات.

وبالنسبة لزراعه الأشجار الطبية فهو مطلب أساس ونعمل عليه، والأصل في المحميات كي نعمل على اختيارها لا بد من أن نأخذ بعين الاعتبار مواقع انتشار البذور في المملكة، فاغلب المحميات تحتوي على نباتات ممثلة وأصيلة في المنطقة، ونحن لا نمانع إذا كان موجودا في المنطقة نفسها، فإذا كان النوع الطبي هذا موجود ويتأقلم ويتعايش مع المنطقة، يتم إعادة تأهيله مرة أخرى، ولكننا حريصون على حماية المحميات الطبيعية من الأنواع الدخيلة على المنطقة كي لا تلحق الضرر بالأنواع الأصيلة الموجودة فيها.

وفيما يتعلق بالصيد، قال الأستاذ الطلاسات هناك برامج مستقبلية للصيد وهناك تعاون مباشر مع نادي الصقور، ويحرص المركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية على تنظيم الصيد في المملكة. ومن خلال «منصة فطري» يمكن إصدار تصاريح ممنهجة بأعداد محددة في مواقع محددة. وهناك برامج مستقبلية نعمل عليها.

أ. د. محمد الشايع: أشار الدكتور محمد الشايع إلى وجود إشكاليه في الأعلاف المصنعة، ومنطقه طبرجل تحديدا تعاني من مشكلة إنتاج البرسيم من أجل سد الفجوة العلفية رغم أن المُقيم الاقتصادي يقول أن فجوة اللحوم الحمراء تزيد ولا تنقص، بمعنى أن كل هذه المشاكل التي نسمعها من المربين، وأن ضيقوا علينا بالمحميات، ولا نرعى وغير ذلك، ففي الجانب الآخر على مستوى التنمية فإن فجوة اللحوم الحمراء آخذة بالزيادة، وفجوة استيراد اللحوم الحمراء واللحوم الطرية الطازجة من الدول الشقيقة تزيد، وهذا دليل على وجود الفجوة، والخلل الموجود عند مربي الماشية.

أ. د. محمد البريك: لدي تعقيب على ثلاث مداخلات. أحد الأخوة سأل عن النباتات الطبية القيصوم والشيح والبابونج. فهنالك دراسات علمية تجري حالياً عن المادة الفعالة في هذه الأعشاب وآلية عملها داخل الجسم.

وثانياً أود أن أعلق على ما تفضلت به الدكتورة الزامل عن الوقود الأحفوري والضغط الذي يمارس على الدول المنتجة للنفط من منظمات البيئة العالمية. دعونا نتذكر أن هذا النفط هو عبارة عن نباتات وحيوانات تحولت إلى نفط. والنقطة الثالثة لها علاقة بالرعي، فأذكر في منتصف التسعينيات في الأردن كان هناك وزير زراعة سمح لمربي الثروة الحيوانية بالدخول إلى غابات البلوط والتي هي فعليا آخر انتشار للبلوط في هذا الجزء من الكرة الأرضية، فواجه معارضة شديدة من داخل الأردن ومن المنظمات البيئية، ومن المدافعين عن الأشجار، وكانت الفكرة أن تدخل الأغنام ترعى قليلا، وقالوا إن هذا الوزير يرغب بتدمير الغابات وغير ذلك؛ لكن نحن كمتخصصين في البيئة نقول إننا مع الرعي، ولكن مع الرعي المقيّد والمدروس بعناية الذي يحافظ على البيئة الطبيعية ويثري إنتاجها ويحمي مكوناتها.

ندوة المنتدى

المحاور:

١) دور المحميات الطبيعية في التغير المناخي، وأهمية إعادة توطين الكائنات المهددة بالانقراض.

٢) الأهمية الاقتصادية للمحميات الطبيعية، ودمج المجتمعات المحلية في برامج حماية الطبيعة وخلق فرص عمل ومشاريع منتجة منبثقة عنها، والعمل على تحقيق الأهداف البيئية لرؤية المملكة ٢٠٣٠.

٣) الأهمية السياحية للمحميات الطبيعية، والدور الثقافي المطلوب في التعليم والتوعية وتعزيز وظائف البيئات الطبيعية وأدوارها في الثقافة المجتمعية المحلية.

٤) تجربة الأردن في مجال المحميات الطبيعية.

المتحدثون:

١- أ. عبدالله العامر/ الرئيس التنفيذي لهيئة تطوير محمية الملك سلمان.

٢- أ.د. محمد الشايع/ رئيس مجلس إدارة الجمعية السعودية للعلوم الزراعية بجامعة الملك سعود

٣- الأستاذ عبدالله الطلاسات/ مدير عام المناطق المحمية بالمركز الوطني لتنمية الحياة الفطرية

٤- أ.د. محمد حسين بريك، عميد كلية العلوم بجامعة جرش/ عضو اللجنة الوطنية للتنوع الأحيائي بالمحميات الطبيعية بالأردن.

٥- أ.د. خليل المعيقل عضو مجلس أمناء المعهد الملكي للفنون التقليدية.

التوصيات

ومن أهم التوصيات التي اقترحها المشاركون بالندوة:

١. تطبيق معايير الاستدامة: اعتماد معايير الاستدامة في تصميم المباني والعمليات الصناعية.

٢. استخدام الطاقة المتجددة: الاستثمار في مصادر الطاقة المتجددة مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

٣. معالجة المياه: تطوير أنظمة معالجة المياه وإعادة استخدامها.

٤. دعم البحث والتطوير: الاستثمار في البحث والتطوير لتطوير تقنيات صديقة للبيئة.

٥. الشراكة المجتمعية: التعاون مع المنظمات غير الحكومية والجهات الحكومية لتنفيذ مشاريع بيئية.

٦. زراعة الأشجار: المساهمة في زيادة الرقعة الخضراء.

٧. زراعة الأشجار في الحدائق والمنازل.

٨. التوعية البيئية: نشر الوعي البيئي بين أفراد المجتمع.

٩. التشجيع المجتمعات المحلية على اتباع ممارسات بيئية مستدامة.

١٠. دعم المجتمع المحلي وإشراكه في صناعة القرار في المحميات.

منتدى منيرة الملحم
لخدمة المجتمع

منتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع

(الدورة السابعة عشرة)

صحة المرأة النفسية وجودة الحياة

Women's Mental Health and Quality of Life

■ كتب: جهاد أبو مهنا

عقد منتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع منتداه السنوي في دورته السابعة عشرة بعنوان: صحة المرأة النفسية وجودة الحياة وذلك يوم الأربعاء ١٨/٠٥/١٤٤٦هـ (٢٠ نوفمبر ٢٠٢٤م)، والذي يقيمه مركز عبدالرحمن السديري الثقافي سنويًا في دار الرحمانية بالغاط، وشارك فيه نخبة من المتخصصات في مجال الندوة.

سلط المنتدى الضوء على صحة المرأة النفسية كموضوع رئيس بهدف تحسين الوعي، وتقديم الدعم والمعرفة اللازمَين لتعزيز صحة النساء النفسية والمجتمع بوجه عام، بالنظر لعلاقة ذلك بجودة الحياة؛ فالصحة النفسية للمرأة تعد عنصرًا أساسًا لضمان جودة الحياة وتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات.

افتتح المنتدى بكلمة لرئيسة هيئة المنتدى، مساعدة المدير العام لمركز عبدالرحمن السديري الثقافي أ. د. مشاعل بنت عبدالمحسن السديري، فرحبت بالحضور على مشاركتهم في المنتدى لإيصال رسالته المرجوّة وتحقيق أهدافه.

وقالت د. السديري إن الاهتمام بالصحة النفسية، لا يعود بالفائدة على المرأة وحسب، بل ولجميع من حولها في المجتمع؛ فعندما تتمتع المرأة بصحة نفسية سليمة فإنَّ عطاءَها يتعاظم وتنعكس آثارُه الإيجابية على أسرتها وعلى المجتمع من حولها؛ وهو ما نسعى إليه ونرجو تحقيقه ودوامه، بإذن اللّٰه؛ لذا ارتأت هيئة منتدى منيرة الملحم

لخدمة المجتمع في هذا العام اختيار هذا الموضوع ليكون محور دورته السابعة عشرة.

وأشارت د. مشاعل إلى أن مركز عبدالرحمن السديري الثقافي حرص منذ تأسيسه على يد معالي الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري، رحمه الله، قبل نحو ستين عاما على أن يكون للمرأة قسطٌ وافرٌ من الاهتمام، وأن تكون حاضِرة ومشارِكة في الحراك الثقافي الذي يقوده المركز؛ تخطيطا وتنفيذا وتفاعلا، جنبا إلى جنب مع الرجل؛ فأسس مكتبة نسائية بالجوف، تعد أول مكتبة عامة للنساء على مستوى المملكة، تتولَّى البرامج الثقافية الخاصة باهتمامات المرأة والأسرة والطفل. فكانت نظرته، رحمه الله، للمرأة منذ الأساس شريكة للرجل في التنمية الثقافية والمجتمعية، وهيأ لها الإمكانات التي تعينها على القيام بدورها الثقافي والمجتمعي. واستمر المركز على نهج معالي الأمير عبدالرحمن السديري في الاهتمام باحتياجات المرأة التي تؤدي لجودة حياة أفضل لها ولأسرتها؛ ولهذا جاء المنتدى في دورته لهذا العام للتركيز على الصحة النفسية للمرأة.

وأضافت إن مؤسِّسة مكتبة منيرة بنت محمد الملحم، رحمها الله، حرصت على أن تكون دائما سندًا ومعينًا للمرأة والفتاة؛ فكانت تبادر إلى تحفيزها على القيام بدورها في الإسهام في النهضة الثقافية، وتضعُ بصمتها على البرامج والأنشطة

رئيسة هيئة المنتدى ومساعدة المدير العام
لمركز عبدالرحمن السديري الثقافي
أ. د. مشاعل بنت عبدالمحسن السديري

الخاصة بالمرأة والفتاة والطفل، لكونها تعرف احتياجاتهم وتطلعاتهم؛ وكيف لا، وهي المربية التي أنارت طريق أبنائها وبناتها وأحفادها، وكانت قدوة لهم ومدرسة في الحكمة، كما كانت سندا للأمير عبدالرحمن السديري في اهتمامه بأحوال المجتمع.

وأشارت الدكتورة مشاعل إلى أنه خلال الموسم الثقافي للعام الماضي، نفّذت الأقسام النسائية في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي نحو ٢٩٢ نشاطًا ثقافيًا توزعت بين الجوف والغاط، استفاد منها أكثر من ٤٢٥٠٠ مستفيدًا من داخل المملكة وخارجها؛ شملت المنتديات، والدورات التعليمية والتدريبية، وورش العمل، والمسابقات، وملتقيات القراءة، والمحاضرات العامة، شارك فيها خبراء ومتخصصون في مجالاتها.

وأعلنت السديري عن توقيع مذكرة تفاهم في مجال التثقيف والتوعية بالصحة النفسية بين مركز عبدالرحمن السديري

الثقافي والمركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية لتنفيذ برامج توعية وتثقيف لنشر المعرفة حول الصحة النفسية في الجوف والغاط، وكذلك الإعلان عن إطلاق مبادرتين في مجال الصحة النفسية وتعزيز التنمية الاجتماعية لدعم مخرجات المنتدى، وهما:

١. **مبادرة الصحة النفسية «حياة متوازنة»**، وتتضمن تنفيذ سلسلة من المحاضرات التي تهدف إلى تقديم الدعم والمعرفة، ونشر التوعية في مجال الصحة النفسية.

٢. **مبادرة «أُسرة متلاحمة»**، وتتضمن تنفيذ سلسلة من اللقاءات، التي تهدف إلى تحقيق تلاحم الأسرة وجعلها أقل عُرضه للاضطرابات النفسية.

وأضافت السديري أنّ مركز عبدالرحمن السديري الثقافي احتفى هذا العام بحصول دار الرحمانية في محافظة الغاط على جائزة ميثاق الملك سلمان العمراني، بنسختها الأولى عن مسار المشاريع المبنية، وذلك في الحفل الذي أقامته هيئة فنون العمارة والتصميم برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- يوم ١١ أغسطس ٢٠٢٤م في مدينة الرياض؛ وكان المركز قد حصل في العام الماضي على جائزة المؤسسات الثقافية غير الربحية التي تنظمها وزارة الثقافة برعاية كريمة من سمو ولي العهد -حفظه الله- ضمن مبادرة الجوائز الثقافية الوطنية.

وقالت إن فوز المركز بهاتين الجائزتين يُعَدُّ شهادةً نعتز بها، وهي تأكيد على الدور الذي يؤديه المركز في مجاليّ الثقافة والتراث.

واختتمت السديري بشكر ضيوف المنتدى، والمشاركات في ندوة المنتدى من الباحثات والأكاديميات والخبيرات في شؤون الأسرة، وكذلك هيئة منتدى منيرة الملحم، د. عبدالعزيز الدخيل ود. لانا بن سعيد ود. خلود العبدالكريم ود. سناء العتيبي على ما قدموه من رؤًى ومقترحات وجهود تصبُّ في إثراء موضوع المنتدى وأهدافه ، وكذلك عضوات المجلس الثقافي، والفريق التطوعي وفريق العمل.

كما شكرت المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية ممثلا بمديره العام د. عبدالحميد بن عبدالله الحبيب على تعاونهم وإسهامهم الفعال في إثراء فعاليات المنتدى.

كلمة مدير عام المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية

وفي كلمة قدمها مدير عام المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية د. عبدالحميد بن عبدالله الحبيب قال إنه سعيد بالحراك المجتمعي الذي يقوم به مركز عبدالرحمن السديري الثقافي من خلال منتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع بعنوان: صحة المرأة النفسية وجودة الحياة بمشاركة نخبة من المتحدثات المتميزات، وأكد أن المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية يسعى إلى دعم هذا الحراك والتفاعل معه بشكل إيجابي، لتحقيق الأهداف المشتركة.

محاور الندوة:

- العلاقة التفاعلية بين صحة المرأة النفسية وجودة الحياة.
- حقائق عن الاضطرابات والأمراض النفسية لدى المرأة.
- الصحة النفسية للمرأة في بيئة العمل.
- المصادر المجتمعية لطلب المساعدة.

المتحدثات:

د. هيا سعود زيدان.
د. براء مازي.
د. منى آل مشيط.
د. أسماء توفيق القصيّر.
د. هند الحربي.
د. ياسمين التويجري.

أهداف الندوة:

- رفع مستوى الوعي بالصحة النفسية وتحسين الممارسات الصحية وتعزيز قدرات المرأة والمجتمع للوصول إلى جودة حياة أفضل.
- تعزيز التوعية الموجهة للمرأة والتركيز على أهمية الصحة النفسية وانعكاساتها على جودة الحياة.
- تسليط الضوء على الجهود المبذولة والأدوار التي تقوم بها الجهات ذات العلاقة مثل: اللجنة الوطنية لتعزيز الصحة النفسية.
- فتح قنوات اتصال لتقديم خدمات الرعاية الصحية النفسية بين المراكز المتخصصة ومؤسسات المجتمع المدني.
- تعزيز المعرفة والممارسات الصحية للرعاية النفسية للمرأة في جميع مراحلها العمرية.
- اقتراح الحلول المناسبة لمواجهة التحديات التي تسهم في تعزيز الصحة النفسية للمرأة.

من الجلسة الأولى

الجلسة الأولى: الصحة النفسية للمرأة وجودة الحياة

المتحدثات:

- **د. هيا سعود زيدان** (مدير عام إدارة لجان الأسرة مجلس شؤون الأسرة).
- **د. براء مازي** (استشارية الطب النفسي، أستاذ مساعد بجامعة الفيصل - مديرة برنامج زمالة الطب النفسي بالتجمع الصحي الثاني).
- **أدارت الجلسة: د. منى آل مشيط** (عضو مجلس الشورى السعودي - عضو اللجنة الصحية).

د. منى آل مشيط

افتتحت د. منى آل مشيط الندوة، فأبدت سعادتها بالمشاركة في منتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع؛ فهو واحدٌ من المنتديات التي كانت تستشهد بها في الندوات البرلمانية التي كانت تناقش موضوعات دعم المرأة؛ وأضافت أن انعقاد هذه الدورة يأتي تأكيدًا على الدور المستمر لمنتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع في طرح قضايا حيوية تُسهم في بناء مجتمع متماسك وداعم للمرأة، ويعكس اهتمام المنتدى بقضايا الصحة النفسية، وتوفير بيئة داعمة تساعد النساء على النمو الشخصي والمهني وتزويدهن بالأدوات اللازمة لمواجهة التحديات المختلفة.

وأشارت د. منى إلى أن مركز عبدالرحمن السديري الثقافي تميز في دوراته السابقة بطرح العديد من الموضوعات والقضايا الحيوية التي تهم المجتمع بصفة عامة، والأسرة بصفة خاصة، واليوم تحظى المرأة بهذا اللقاء المتميز لمناقشة موضوع صحة المرأة النفسية.

وأكدت أن جودة حياة المرأة تتأثر بالعوامل النفسية بشكل كبير؛ إذ إن التمتع بصحة نفسية جيدة يسهم في تحسين قدرتها على التواصل والتفاعل الإيجابي مع الآخرين، ويدعم قدرتها على تحقيق أهدافها الشخصية والمهنية. ولذلك، يجب أن نولي مزيدا من الاهتمام لقضايا الصحة النفسية للمرأة، والعمل على نشر الوعي حول أهمية الحفاظ على الصحة النفسية في المجتمعات، وتشجيع النساء على طلب الدعم اللازم عند الحاجة.

وقدمت د. آل مشيط المتحدثات في الجلسة الأولى ثم بدأت الحوار مع المشاركين، ووجهت أسئلة تساعد على تقديم معلومات تثري النقاش.

د. هيا سعود زيدان
(مدير عام إدارة لجان الأسرة مجلس شؤون الأسرة)

المحور الأول: العلاقة التفاعلية بين صحة المرأة النفسية وجودة الحياة

تحدثت د. هيا زيدان عن العلاقة التفاعلية بين صحة المرأة النفسية وجودة الحياة، وأثرها على المجتمع، إذ إن صحة المرأة النفسية تعد أساس الرفاه، ليس لها وحسب، وإنما للمجتمع بأكمله؛ لما لها من أثر بالغ على ديناميكيات الأسرة، والعلاقة بين الزوجين وبين الأم وأطفالها، وتأثيره على الإنتاج الاقتصادي، والاستقرار المجتمعي، وجودة الحياة؛ لذلك من الضروري الحديث حولها ومعرفة العوامل المؤثرة فيها، وطرق تعزيز الصحة النفسية للمرأة، وإيجاد أنظمة الدعم المناسبة في المجتمع. وقد عرفت مفهوم جودة الحياة بالنسبة للنساء بأنها الاستقرار والطمأنينة والسعادة.

د. هيا زيدان

وتناولت د. هيا زيدان بعض العوامل التي تؤثر على صحة المرأة النفسية، وهي:

أولا: العوامل البيولوجية المؤثرة في صحة المرأة النفسية

العوامل الوراثية والجينات: بنية المرأة وفسيولوجيتها والاستعدادات الوراثية والاختلافات الكيميائية العصبية والتقلبات الهرمونية، وآليات الاستجابة للضغوط والصدمات التي تزيد من احتمالات التعرض للاضطرابات النفسية خلال مراحل الحياة وتؤثر على صحة المرأة وعافيتها، وبالتالي على جودة حياتها.

ثانيا: العوامل الاجتماعية المحيطة بالمرأة:

أهمية الأسرة والبيئة الداعمة: وجود البيئة الأسرية وشبكات الدعم من حول المرأة عامل قوة أساسي؛ إذ تشير الدراسات لأثر الوحدة والانعزال السلبي على الصحة النفسية والعاطفية، ومن ثَمَّ تأثيرها على الصحة بشكل عام؛ فوجود الأسرة والعلاقات الجيدة عامل أساس يمكن المرأة من النجاح في حياتها والتعامل مع المواقف التي تواجهها بطريقة سليمة.

وعلى الصعيد الاجتماعي، فهناك الكثير من الأدوار التي تتطلب من المرأة أن تتعامل معها، وكيفية أدائها لها؛ فأدوارها المتعددة: الابنة – الأخت – الزوجة – الأم – الصديقة – المرأة العاملة يترتب عليها من المقارنات الكثيرة والصراعات التي تؤثر على مستوى الرضا الشخصي؛ ومن ثَمَّ تأثيرها على صحتها النفسية وعلاقاتها.

ثالثا: العوامل الثقافية المؤثرة على صحة المرأة النفسية

المعتقدات والقناعات السائدة والممارسات الشائعة حول صحة المرأة: إن معتقداتنا الشخصية تعد عاملًا أساسًا مؤثرًا في الصحة النفسية، وأولها معتقداتنا الدينية، وإيماننا وقوة علاقتنا بربنا،

وتربيتنا عليها، جميعها تتأصل بنا وتؤثر على ممارساتنا التي تصبح تلقائية، وجزءًا من هويتنا، ويدعمنا في تعاملنا مع ما قد نتعرض له خلال فترات حياتنا.

كذلك وجود قناعات سائدة في ثقافتنا حول المرض النفسي، واعتبار أنه جنون أو انحراف، أو خطر أو معدٍ، وجميعها معتقدات خاطئة تسبب لنا الخوف من الخوض في مثل هذه الأحاديث، وتجعل الأشخاص الذين يعانون من هذه التحديات يبتعدون عن طلب الدعم والعلاج.

إضافة إلى وصمة العار التي ما تزال موجودة بالنظرة السلبية للأشخاص الذين يعانون من هذه التحديات النفسية أو الصعوبات بأنهم فاشلون ولا يصلحون للعمل أو الزواج أو الإنجاب! وكذلك الاعتقاد السائد بأن القوة في تجاهل هذه التحديات حتى تتلاشى مع مرور الوقت؛ وهذا غير صحيح إطلاقا، فالإهمال يفاقم المشكلة، ويجب طلب الدعم والمساعدة للتغلب عليها والوصول إلى حالة الرضا والرفاه.

رابعا: العوامل المهنية التي تؤثر على صحة المرأة النفسية:

منها ضغوط الدراسة والعمل ومتطلبات النجاح، فمن المهم أن ننظر لهذه الأمور بنظرة أشمل، وعلينا أن نوازن توقعاتنا، لنخفف عن أنفسنا هذه الصراعات.

واختتمت د. هيا زيدان حديثها بالتغيرات الحياتية والمراحل التي تمر بها المرأة مثل: البلوغ، والزواج، والحمل، والولادة، والأمومة، وصولا إلى الشيخوخة؛ فكلما كان لدينا الوعي بها، تمكننا من خوضها بصحة وسلاسة أكثر، وكلما بنينا وعززنا من مهاراتنا الحياتية وقدرتنا على التكيّف، كلما راعينا صحتنا النفسية.

وأكدت د. هيا على أهمية رفع الوعي بصحة المرأة النفسية وكيفية تعزيزها خلال مراحل حياتها وكذلك التثقيف الصحي والنظرة الشمولية وأهمية بناء الكفاءة الذاتية لكافة أفراد الأسرة للتعرف على الاضطرابات والتعامل معها قبل تفاقمها، إضافة إلى تخفيف الوصمة الاجتماعية حول التحديات النفسية؛ فبالدعم المناسب يمكن التغلب عليها ونصل للرضا، لنزدهر كما ينبغي.

د. براء مازي

(استشارية الطب النفسي، أستاذ مساعد بجامعة الفيصل - مديرة برنامج زمالة الطب النفسي بالتجمع الصحي الثاني)

المحور الثاني: حقائق عن الاضطرابات والأمراض النفسية لدى المرأة

افتتحت د. براء مازي حديثها مؤكدةً أن الصحة النفسية هي الأساس لرفاهيتنا العامة، وتؤثر على كل جانب من جوانب حياتنا، من علاقاتنا ومهننا إلى صحتنا البدنية؛ فهي تبدأ بصحة الجسد، ثم صحة

العقل، ثم تنتقل إلى المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه المرأة؛ فالنساء، بشكل خاص، يواجهن تحديات وتجارب فريدة تشكل رحلتهن في الصحة النفسية. وتظهر الدراسات أن النساء معرضات بنسبة الضِعف، مقارنة بالرجال، للإصابة ببعض الاعتلالات النفسية، مثل: الاكتئاب، والقلق، واضطرابات النوم، والذهان، والإدمان. وتتأثر صحة المرأة النفسية بالعديد من العوامل منها:

أولًا: التأثيرات الهرمونية:

- الحيض: تعاني العديد من النساء من تغيرات في المزاج والانزعاج خلال دورة الحيض، وغالبًا ما يشار إلى ذلك باسم متلازمة ما قبل الحيض (PMS) بالنسبة لبعضهن، يكون الأمر أكثر شدة، ويعرف باسم اضطراب ما قبل الطمث الاكتئابي (PMDD)، والذي يمكن أن يُعطّل الحياة اليومية بشكل كبير.
- الحمل: يمكن أن تؤدي التقلبات الهرمونية خلال الحمل إلى الاكتئاب والقلق قبل الولادة، ومن المهم التواصل مع مقدمي الرعاية الصحية لضمان رفاهية الأم والطفل.
- ما بعد الولادة: تعاني بعض النساء من اكتئاب ما بعد الولادة (PPD) وهي حالة خطيرة تتطلب الدعم والتدخل.
- انقطاع الطمث: عندما تنتقل النساء إلى مرحلة انقطاع الطمث، قد يعانين من الهبات الساخنة، واضطرابات النوم، وتغيرات المزاج وتشكل هذه الأعراض تحديًا، ولكن مع الدعم الصحيح، يمكن إدارتها بفعالية.

ثانيًا: الحمل وما بعد الولادة:

- الاكتئاب والقلق قبل الولادة: تعاني بعض النساء من مخاوف وحزن شديدين خلال فترة الحمل، ويمكن أن يحدث الدعم المبكر فرقًا كبيرًا في إدارة هذه المشاعر.
- اكتئاب ما بعد الولادة: يمكن أن يظهر اكتئاب ما بعد الولادة كتحولات شديدة في المزاج، الانسحاب من الأحبة، وصعوبة في التعلق بالطفل، ومن المهم السعي للحصول على المساعدة في وقت مبكر لتجاوز هذه الفترة الصعبة.

ثالثًا: انقطاع الطمث:

يشير انقطاع الطمث إلى نهاية سنوات الإنجاب للمرأة ويجلب معه مجموعة من التغيرات الجسدية والعاطفية، وما يتضمنه من مشاعر الفقدان والقلق حول التقدم في العمر؛ فيجب البحث عن الدعم من خلال المشورة لتقديم الدعم اللازم.

وتناولت د. براء مازي الإجراءات الوقائية لتجنب الإصابة بالاعتلالات النفسية والوصول إلى الرعاية الصحية النفسية مثل: الأكل الصحي، والرياضة المنتظمة،

والحركة، والاحتكاك بالناس الإيجابيين، وتعلم طرق طلب المساعدة، والقيام بأنشطة محببة للنفس مع من تحب، والحديث بحرية، ومشاركة الآخرين مشاعرهم.

واستعرضت بعض الأخطاء التي تقع فيها النساء ومنها: سوء تنظيم الوقت، والصمت، وعدم طلب المساعدة أو طلبها من غير المختصين، وعكس الفطرة وتكليف نفسها ما ليس عليها، وتحمل جميع المسؤوليات، إضافة إلى نسيان نفسها وإهمال صحتها.

واختتمت د. براء حديثها بأن الحفاظ على الصحة النفسية لا يحدث بين يوم وليلة، إنما هي عملية مستمرة، تحتمل الصواب والخطأ. وتحتاج إلى جهد كبير قد لا تستطيع المرأة بذله دون مساعدة، فعليها ألا تتردد في طلبها.

الجلسة الثانية: مهددات الصحة النفسية وسبل الوقاية منها وعلاجها

المتحدثات:

- **د. أسماء توفيق القصيّر** (أستاذ مساعد واستشاري في علم النفس الإكلنيكي بجامعة الملك سعود بن عبدالعزيز للعلوم الصحية).
- **د. هند الحربي** (أخصائي نفسي بمدينة الملك سعود الطبية، مستشارة في المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية).
- **أدارت الجلسة: د. ياسمين التويجري** (كبيرة الباحثين ورئيسة قسم الإحصاء والبحوث الوبائية في مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث).

د. ياسمين التويجري

افتتحت د. ياسمين التويجري الجلسة الثانية بعنوان: مهددات الصحة النفسية وسبل الوقاية منها وعلاجها، والتي تسعى من خلالها إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة: ما مسببات الصحة النفسية؟ وما عوامل الخطورة التي تسبب الأمراض النفسية؟ وما سبل الوقاية منها وعلاجها؟ وما الوسائل المجتمعية المتاحة للأشخاص الذين يعانون من الاعتلالات النفسية؟

وأضافت التويجري بأن الصحة النفسية هي حالة اكتمال السلامة بدنيًا ونفسيًا واجتماعيًا، وليس مجرد انعدام المرض؛ فالصحة البدنية هي الجسم السليم والخالي من الأمراض، أما الصحة النفسية فهي التمتع بحالة نفسية مستقرة وقادرة على التعامل مع التحديات، والصحة الاجتماعية هي القدرة على بناء علاقات إيجابية والتفاعل مع المجتمع بشكل صحي. وهو ما ورد في نص رؤية المملكة ٢٠٣٠ تحت بند «مجتمع حيوي»؛ وذلك لضمان رفاهية المواطن السعودي.

د. أسماء توفيق القصيّر

(أستاذ مساعد، واستشاري في علم النفس الإكلنيكي بجامعة الملك سعود بن عبدالعزيز للعلوم الصحية)

د. أسماء القصيّر

المحور الثالث: الصحة النفسية للمرأة في بيئة العمل

بدأت د. أسماء القصّير حديثها باستعراض التحديات النفسية التي تواجه المرأة في بيئة العمل، مع التركيز على الضغوطات غير المرئية التي يتحملها العديد من النساء بصمت، وذلك استجابة للتوقعات غير المعلنة، المتمثلة في القدرة على الموازنة بين المسؤوليات، وخوفا من العواقب الوظيفية.

وأشارت د. أسماء إلى أن العمل جزء أساس من الصحة النفسية، فالعمل الهادف هو عامل حماية للصحة النفسية، ويسهم بشعور الإنجاز لتعزيز الثقة الذاتية وتحقيق الأمان المادي وتعزيز العلاقات الاجتماعية.

وأضافت أن المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية أجرى دراسة حول العوامل المؤثرة على الصحة النفسية في بيئة العمل، وخلص إلى مجموعة من العوامل، منها:

- العمل لساعات طويلة في أوقات غير معتادة أو مرنة، بما يسبب تضاربًا بين مسؤوليات المنزل والعمل.
- وجود ثقافة تدعم السلوكيات السلبية في المؤسسة، وتتمثل بالدعم المحدود من الزملاء أو تسلط المشرفين، إضافة إلى المضايقة، أو التنمّر، أو التمييز، والإقصاء.

كما بينت الدراسات أن ٧٥٪ من النساء يشعرن بالاحتراق الوظيفي، مقارنة بـ ٥٨٪ من الرجال على مستوى العالم، بينما على المستوى المحلي ٦٢٪ من النساء يشعرن بالاحتراق الوظيفي مقارنة بـ ٤٣٪ من الرجال، وهذا يرتبط مباشرة بانخفاض الإنتاجية والرضا الوظيفي، كما أوضحت الدراسة أن ٣١٪ من النساء أقل استعدادا من الرجال في التعبير عن صحتهم النفسية في بيئة العمل.

وتناولت د. أسماء مجموعة من العوامل الخفية التي تؤثر على الصحة النفسية للمرأة في بيئة العمل منها:

- نظام المناوبتين (في العمل والمنزل)، استجابة للتوقعات المجتمعية بالضغط على نفسها لتحقيق التوازن بين العمل والمنزل وتجاهل احتياجاتها.
- التحديات الصحية الفريدة والصعوبات التي تواجهها المرأة.
- غياب شعور الأمان النفسي كجزء من ثقافة بيئة العمل.وأشارت د. أسماء إلى أن الصحة النفسية للمرأة في بيئة العمل أمر عاجل وعالمي وفقا للنتائج التي

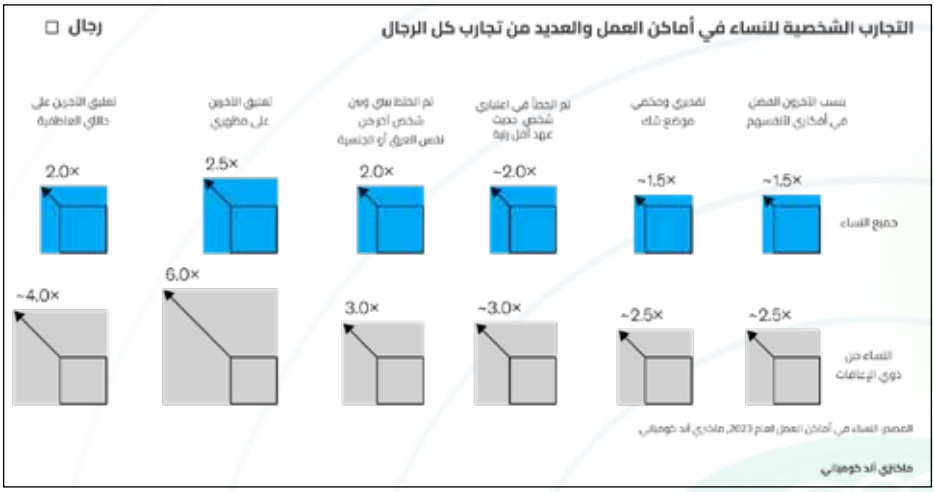

التحيز الخفي يُحدث تأثيرًا عميقًا ومستمرًا على المرأة

أظهرتها الدراسات العالمية والمحلية، كما يأتي:

- وفقًا لتقرير الجمعية الأمريكية لعلم النفس لعام ٢٠٢٢، بأن ٨١٪ من الجيل الناشئ يعد سياسات الصحة النفسية عاملًا مهمًا عند تقييم فرص العمل.
- تقرير ماكينزي عام ٢٠٢٣ أشار إلى أن ٧٤٪ من النساء يفكرن في ترك وظائفهم خلال ال ١٨ شهرًا القادمة بسبب الاحتراق والتحديات النفسية.
- أكثر من ٥٥٪ من النساء في المملكة اخترن الحصول على استراحة مطولة من العمل، ومنهم ٤٠٪ فقط عادوا إلى العمل، ٦٧٪ منهم كانوا نساء بمناصب قيادية.
- ٦٠٪ من النساء اللواتي يعانين من الاحتراق الوظيفي ومستمرات بالعمل أفصحن أن الاستراحة المطولة من العمل لها عواقب سلبية على التطور الوظيفي.

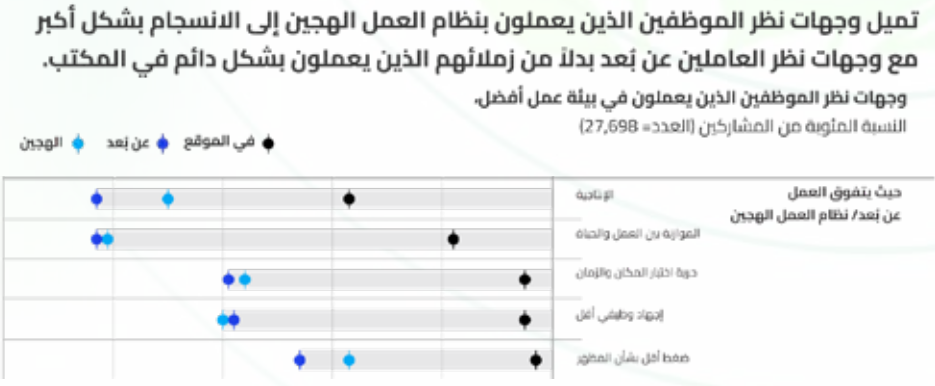

د. هند الحربي

(أخصائي نفسي بمدينة الملك سعود الطبية، مستشارة في المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية)

المحور الرابع:

المصادر المجتمعية لطلب المساعدة

د. هند الحربي

بينت د. هند الحربي الفرق بين العلاج النفسي والاستشارة النفسية، بأن المعالج النفسي هو الشخص الذي يتعامل مع الأشخاص الذين يعانون من مشاكل نفسية، مثل: القلق، والاكتئاب، والوسواس القهري، وغيرها؛ وهو شخص متخصص يقوم بوضع الخطط العلاجية وتقديم العلاج اللازم، يحمل درجة علمية عليا (ماجستير أو دكتوراة) في العلاج النفسي، أما المستشار النفسي، فهو شخص ينصت إليك ويستمع إلى المشاكل النفسية، يحمل غالبا درجة البكالوريوس في التخصصات النفسية أو التخصصات ذات العلاقة مثل علم الاجتماع أو طب الأسرة، ويقتصر دوره على توجيه الشخص إلى مصادر العلاج النفسي أو مصادر طلب المساعدة، والنصح والتوجيه والدعم العاطفي لتطوير الذات وتحسين الصحة النفسية.

وأضافت د. الحربي أن دور المعالج النفسي يتمثل في مساعدة الناس على إيضاح جميع الحلول الممكنة، ويستمع للمريض، ويتفهم مشكلاته ولكنه لا يقدم الحلول، بل يساعد الشخص على إدراك الحلول الموجودة، كما يقدم للفرد حلولًا بديلة، وسلوكيات إيجابية تساعده في التعامل مع المواقف المختلفة، مثل حالات الغضب والعنف والعصبية، ويتعاون مع أسرة المريض، ويقدم لهم النصائح التي تساعد على حمايته من مضاعفات مشكلته.

وأشارت د. هند إلى آلية تقديم الخدمات النفسية، بدءًا من المجتمع كدعم الأهل والأصدقاء في حل المشكلات البسيطة، ثم توفير خدمات الرعاية النفسية في الرعاية الأولية، ثم المستشفيات العامة، ثم المستشفيات التخصصية، وأخيرا مرحلة التنويم، وفق النموذج العالمي والذي نطمح إلى وجوده في المملكة.

مصادر الدعم في العلاج النفسي:

أشارت د. هند الحربي إلى مصادر الدعم الموجودة والخدمات الحكومية المجانية المتاحة حضوريا أو عن بعد، ومجموعة من الخدمات في مجال الصحة النفسية التي تقدم من خلال القطاع غير الربحي، منها:

١- تطبيق قريبون: التابع للمركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية، ويحتوي على الكثير من الخدمات في مجال الرعاية النفسية، ويتميز بوجود دليل لكل الخدمات النفسية الحكومية والخاصة والقطاع غير الربحي وإمكانية الوصول لها.

٢- مستشفى صحة الافتراضي: يتم طلب الخدمات من خلال تطبيق صحتي، ويتيح للشخص إمكانية حجز موعد بشكل مباشر في العيادة النفسية دون تحويل من طبيب آخر وبشكل مجاني.

٣- المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية: ويمكن التواصل مع متخصصين لتوجيه طالب الدعم إلى أفضل آلية للحصول على الخدمات المتاحة للتعامل مع المشكلة ٩٢٠٠٣٣٣٦٠

٤- المؤسسات غير الربحية التي تقدم خدمات الإرشاد والتوجيه النفسي.

توصيات المنتدى

وفي نهاية المنتدى، أعلنت رئيسة هيئة المنتدى أ. د. مشاعل بنت عبدالمحسن السديري مساعدة المدير العام لمركز عبدالرحمن السديري الثقافي أن المشاركين بالمنتدى خرجوا بتوصيات مهمة من شأنها تعزيز الصحة النفسية وتحسين جودة حياة المرأة. وفيما يلي أهم التوصيات التي انبثقت عن المنتدى:

١. تعزيز ثقافة الاهتمام بالصحة النفسية كجزء أساس من الحياة اليومية، سواء في بيئة العمل أو في المجتمع، وتشجيع القيادات على تقديم نماذج إيجابية وداعمة.

٢. تعزيز سياسات العمل الداعمة لتحقيق التوازن في حياة المرأة بين المسؤوليات الأسرية والمهنية، كتوفير خيارات مرنة في مجال العمل، على سبيل المثال: فترات استراحة، إجازات مرنة، والعودة التدريجية للعمل بعد فترات الانقطاع الطويلة.

٣. تطوير أنظمة العمل ومراجعتها بشكل مستمر، استنادا إلى ملاحظات الأفراد والاستطلاعات الدورية لضمان استجابة فعالة لاحتياجات المرأة المختلفة.

٤. تكثيف التوعية في مجال الصحة النفسية للمرأة منذ مراحل حياتها المبكرة، وبناء القدرات والمهارات لمساعدتها في مواجهة التحديات الحياتية، وتطوير وتطبيق برامج توعية لتعزيز القبول الذاتي وبناء الثقة بالنفس.

٥. إنشاء برامج شاملة لدعم المرأة مثل التهيئة لمرحلة المراهقة، والزواج، والأمومة، والتعامل مع الظروف الخاصة كالأمراض المزمنة أو الانفصال.

٦. تحسين جودة الخدمات النفسية المتاحة، وتوفير مصادر الدعم المجتمعية؛ كإنشاء مساحات آمنة للدعم المجتمعي، مثل مجموعات الدعم والمراكز التي تقدم استشارات نفسية، لمساعدتها في مواجهة التحديات والضغوطات اليومية، مع عدم إهمال الفئات ذات الاحتياجات الخاصة مثل ذوي الإعاقة والايتام.

٧. رفع مستوى الوعي المجتمعي بأهمية الصحة النفسية ودورها في تعزيز رفاه الأسرة والمجتمع؛ لضمان التغلب على الوصمة المرتبطة بالصحة النفسية.

٨. الاستفادة من التطور التكنولوجي والتقني في إطلاق خدمات رعاية صحية نفسية إلكترونية (العيادات الافتراضية)، وإصدار أدلة وضوابط تنظيمية للخدمات النفسية الإلكترونية بإشراف الجهة ذات الاختصاص لضمان التنظيم والجودة.

٩. تحسين التغطية الصحية النفسية عبر التأمين الصحي والعيادات الافتراضية،

وتعزيز السياسات التي تدعم حصول النساء على خدمات الصحة النفسية بأسعار معقولة؛ ما يقلل من الأعباء المالية التي تعيق الوصول لها.

وقالت د. مشاعل إن الأخذ بهذه التوصيات من شأنه أن يعزز صحة المرأة النفسية وبالتالي تعزيز مكانة الأسرة وتمكينها من القيام بأدوارها بالإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية على مستوى الوطن، وبما ينسجم مع توجهات وتطلعات قادة الوطن خادم الحرمين الشريفين، الملك سلمان بن عبدالعزيز، وولي عهده الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز، حفظهما الله.

وقد شهد المنتدى حضورًا لافتًا لفعالياته داخل القاعة وعبر المنصة الرقمية المباشرة من داخل المملكة وخارجها، ويذكر أن منتدى منيرة الملحم يعقد سنويًا. ويتم اختيار موضوع حيوي له اهتمام واسع على مستوى المملكة، وتنظم على هامشه العديد من الورش التدريبية المصاحبة تتناول قضايا تعزز الموضوع الرئيس للمنتدى.

ومن الجدير بالذكر أن مكتبة منيرة الملحم بدار الرحمانية في محافظة الغاط التي نظمت هذا المنتدى السنوي، هي إحدى فروع مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، الذي يعد واحدًا من أقدم المراكز الثقافية في المملكة.

الفعاليات المصاحبة للمنتدى

١- ورشة الصحة النفسية للمرأة

قدمتها أ. هبة ناصر السيف، أخصائية نفسية.

تضمنت الورشة عدة محاور، أهمها:

- ماهيّة الصحة النفسية.
- الاضطرابات النفسية للمرأة.
- سيكولوجية نفسية المرأة.
- فهم القلق.
- أساليب لمواجهة القلق.
- أساليب لمواجهة الضغط النفسي.
- مفهوم الأمومة.
- العلاقة مع الله وعظم أهميتها في استقرار الأسرة.

٢- ورشة التوازن النفسي في حياة المرأة العاملة:

قدمتها أ. نوال الجاسر، أخصائي نفسي أول العلاج النفسي.

تضمنت الورشة عدة محاور، أهمها:

- لماذا الصحة النفسية؟
- مؤشرات الإخلال بالصحة النفسية.
- مقومات الصحة النفسية وعلاماتها.
- علامات تدل على اختلال التوازن النفسي.
- مؤشرات بيئة العمل الصحية.
- عوامل تساعد على التوازن النفسي.

منيرة بنت محمد الملحم
(١٣٣٨-١٤٢٤هـ / ١٩١٩ - ٢٠٠٣م)

حـرم الأمـيـر عـبـدالـرحـمـن بـن أحـمـد السديري يرحمهما الله، ولدت في الغاط سنة ١٣٣٨هـ، وكان لها دور مجتمعي بارز ومؤثر في المجالات الاجتماعية والإنسانية والخيرية التي تخص المـرأة في الجوف والـغـاط، وقـد أسـهمت فـي نشر الاهتمام بالتعليم وتحفيز التحصيل الـدراسـي بين الفتيات والنساء.

وكانت يرحمها الله تلتقي بنساء المجتمع وبخاصة اللواتي كُنَّ يحضرن إلـى منزل الأمـيـر لغايات حل مشكلات أسـرهـن في الأمور الحياتية المختلفة.

ودفعها اهتمامها باحتياجات المرأة لأن توقف جزءًا من مالها الخاص لإنشاء مكتبة عامة للنساء بمحافظة الغاط عام ١٤٢٥هـ باسم (مكتبة منيرة الملحم). وأوصت إدارة المكتبة أن تضع في خططها السنوية البرامج والأنشطة التي من شأنها أن تدعم مشاركة المرأة والفتاة والطفل في الحِراك الثقافي، وأن ينتقلوا مـن متلقين إلـى مخططين ومنتجين للفعاليات الثقافية، وهو ما تحرص مكتبة منيرة الملحم عليه باستمرار. بهدف تعزيز دور المرأة في التنمية والمضيّ قُدُمًا نحو تحقيق مستهدفات رؤية المملكة ٢٠٣٠ في ظل القيادة الحكيمة لوطننا الغالي.

وبعد وفاتها يرحمها الله، ارتأى أبناؤها إطـلاق منتدى سـنـويٍّ فـي الـغـاط، باسم: «منتدى منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع».

الصحةُ النفسيةُ للمرأة
في منتدى منيرة الملحم في محافظة الغاط

■ د. هياء السمهري*

نادرة وثمينة هي «الغاط» تُزهرُ بأطواق من الحكايات الفاخرة؛ مبهرة بجمال واحات نخيلها حين يعانقها ضوء الشمس؛ فمشاهدة الطبيعة في محافظة الغاط طقوس وشروط خاصة! والأماكن في الغاط وثائق تاريخية، ذات إشارات ومؤشرات وخرائط وجدانية، تسمح بأنواع من المقاربات والمقارنات المخضلة بالبريق الذي ينقلنا من دراما المكان إلى شوقٍ للعناق السنوي الذي يتباهى في منتدى السيدة منيرة بنت محمد الملحم لخدمة المجتمع، حيث عُقد المنتدى الأول عام ٢٠٠٨م وتوالت مراكب من المنتديات التي دائمًا ما تحتضن المجتمع والأسرة في وداد غزير لا ينتهي!

هناك في محافظة الغاط الجميلة حطَّ بنا المسير في القاعة الوقورة التي يقام فيها المنتدى السنوي منذ البدايات حتى هذا الزمن في دورته ١٧.

وهناك في قاعة المنتدى تصطف فتيات (الغاط) احتفاء بالمنتدى لينظمّنَ الجلوس في القاعة المنظمة! فتزدان جمالًا، ويظهر موضوع المنتدى (١٧) مشرقًا في عروضٍ تتوهج (صحة المرأة النفسية وجودة الحياة) حقيقة.

ولم تغب المرأة يومًا عن ساحة المشهد في منتديات منيرة الملحم لخدمة المجتمع في كل دوراتها حتى هذه الدورة (١٧)، فما زالت المرأة بطلة الطروحات وأوراق العمل. وهذا الاهتمام بالمرأة السعودية وحضورها المؤطر في الحراك الوطني كان منهجًا وإطار عمل لمؤسس تلك الكيانات التنويرية في الجوف والغاط الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري رحمه الله، الذي أسس

للمرأة متكآت نهوضٍ حضاريٍّ؛ إيمانًا منه رحمه الله بالقدرة والاقتدار عند المرأة أسوة بالرجل؛ ففي مركز عبدالرحمن السديري الثقافي في الجوف كانت غِزارا فامتدت وربت إلى محافظة الغاط، ومن ثم قُطفتْ ثمارها على مستوى الوطن الكبير. وفي منتدى منيرة الملحم ١٧ ينعش الموضوع أثير رؤية بلادنا العملاقة ٢٠٣٠ حيث التوجه المؤسسي والمجتمعي نحو تحقيق جودة الحياة التي تزهر من خلالها المكتسبات المجتمعية والمهنية والمالية في إهاب كل أسرة بكل تشكيلاتها التي تتصدرها المرأة؛ وفي ظل تلك المعطيات استهدف المنتدى جوانب مهمة تأطرتْ في كلمة مساعدة المدير العام الأستاذة الدكتورة مشاعل السديري في افتتاح المنتدى لهذا العام، وتضمنت مستهدفات الموضوع برفع مستوى الوعي بالصحة النفسية وتحسين الممارسات الصحية وتعزيز قدرات المرأة والمجتمع نحو الوصول إلى جودة الحياة وتعزيز التوعية الموجهة للمرأة في جوانب الصحة النفسية، إضافة إلى تعزيز المعرفة والممارسات الصحية للرعاية النفسية للمرأة، والمستهدف الأهم هو اقتراح الحلول المناسبة لمواجهة التحديات التي تسهم في زرع الصحة النفسية السوية التي تنشدها المرأة! ولقد شرعتْ المتحدثات وهن نخبة من الأكاديميات الباحثات المتخصصات في طرح أوراق العمل ذات الصلة بالموضوع؛ ومن منطلق إيمان المتحدثات في جلسات المنتدى بالدور الحيوي المؤثر لحيازة الصحة النفسية عند الأفراد والمجتمعات.. إذ إن غياب الاضطرابات النفسية لا يعني الوصول للصحة النفسية من منظورها الواسع، إنما هي شعور يتجلّى بالطمأنينة والاستقرار العاطفي، ومن ثمَّ القدرة على التعامل مع التحديات بأسلوب فعال، وأن تتكئ كل علاقات المرأة على اليقين النفسي الذي هو أحد أهم المنطلقات لبناء علاقات ندية وسليمة؛ وذلكم التفاعل في العلاقات كما أشارت الدراسات تشرق له جودة الحياة بإذن الله، والمتحدثات القديرات في المنتدى (١٧) على وعي تام بكل أحاديث النساء عن صحتهن النفسية، فالموضوع ليس بدعًا؛ وقد اعشوشب الحديث عنه على بساط المتحدثات ذوات الاختصاص والكفاءة، فصار محكمًا من منظور علمي وبحوثٍ وأبحاثٍ رُصدتْ حول صحة المرأة النفسية؛ فكانت الاستدلالات من قبل المتحدثات الفضليات وفيرة مقنعة تتوشحها تباشير خير عن المنصات الوطنية القائمة التي تُعنى بالصحة النفسية في عمومها مثل (المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية)، وقد حظي المركز بوافر من حفاوة منتدى منيرة الملحم، فكانت لمديره العام الدكتور عبدالحميد الحبيب كلمة مصورة لقيت استحسانا من الحضور المباشر ومن الجمهور المتلقي عن بعد ممن تابعوا فعاليات المنتدى وأوراق العمل عبر وسائل التواصل الرقمية، ومشاهدة البث، وقد وصلت أعداد المتابعين حضوريا وعن بعد عبر وسائل التواصل الأخرى ما

يتجاوز ٤٠ ألف مستفيد في المنتدى ١٧؛ كما حظيتْ المرأة باحتفاء آخر ممنهج من مركز الأمير عبدالرحمن السديري الثقافي حين تم توقيع مذكرة تفاهم في مجال التثقيف والتوعية بالصحة النفسية بين مركز الأمير عبدالرحمن السديري الثقافي والمركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية والمذكرة لمستهدفات عليا تبناها مركز السديري الثقافي، يتصدرها تنفيذ برامج توعوية وتثقيف لنشر المعرفة حول الصحة النفسية في كل من الجوف والغاط.. كما صاحب المنتدى اطلاق مبادرتين في مجال الصحة النفسية لدعم مخرجات المنتدى وتوصياته تتمثلان في مبادرة (حياة متوازنة) التي تشمل سلسلة من المحاضرات، ومبادرة (أسرة متلاحمة) وتتضمن سلسلة من اللقاءات المؤطرة في المجال.

وفي ثنايا المنتدى، وفي فضاءات المكان الرحيب نُفذت ورشتا عمل (الصحة النفسية للمرأة) و(التوازن النفسي في حياة المرأة العاملة).

وختاما، فإن الموضوع كان محفزًا، صاحَبَهُ تنوّع في أساليب الطرح، وثراء في البحوث والأوراق العلمية، وتوصيات تحيط المرأة السعودية بواقع جميل، ومن ذلك أن التوازن المطلوب لتحقيق جودة الحياة في الوسط المجتمعي الذي يتشكل من الأسرة يحتاج حتمًا إلى اتفاق ضمني مشترك لتحقيق الاستقرار النفسي لتكون مصدر تآلف منشود للمرأة، ومن ثم للمجتمع بأسره الذي يتشكل منه الوطن الغالي الكبير. وأينعَ منتدى السيدة منيرة الملحم رحمها الله فاقتربتْ الرؤى واستدارتْ الزوايا.

واختتمتْ مراكب منتدى منيرة الملحم لخدمة المجتمع في دورته ١٧؛ فحملتْ وهج المنتدى وموضوعه اللافت هذا العام مصفوفة داعمة من التوصيات تهادتْ نحو المرأة، واصطفت لتشكل مفهومًا راقيًا لجودة الحياة، وتصب في تعزيز ثقافة الاهتمام بالصحة النفسية كجزء أساس من الحياة اليومية، وتعزيز سياسات العمل التي تدعم تحقيق التوازن في حياة المرأة، ومن ثم تطوير القوانين والأنظمة، ومراجعتها بشكل مستمر بما يحقق الاستقرار النفسي للمرأة، وتكثيف جهود التوعية في مجال الصحة النفسية للمرأة منذ مراحل مبكرة من حياتها، وإنشاء برامج شاملة تستهدف تحسين جودة الخدمات النفسية المتاحة، وضمان سهولة وشمولية الوصول إليها، وتوفير مصادر الدعم المجتمعية؛ كإنشاء مساحات آمنة للدعم المجتمعي، بأن يكون للعيادات الافتراضية وجود وحضور فاعل في مجتمعات النساء لتقديم خدمات الرعاية الصحية النفسية.

وختاما فإن منتديات منيرة الملحم لخدمة المجتمع في محافظة الغاط هي الأكثر بروزًا في شعور النساء حيث تدور تحريات المواضيع نحو المجتمع لتحقيق الأمن والسلام والاستقرار النفسي، ومن ثم تنطلق قوافل الحضارات، وما أطيب الرُبا!

«عبدالله الصيخان» شاعرُ الإنسان والوجدان

■ ملاك الخالدي*

«قم يا محمد
فإن العيون التي انتظرتك طويلًا
بكت في ظلال القصيدة
والقيظ لفّ عباءته حول صدرك
حتى ترمد
فقم يا محمد»!

يأتي صوت شاعرنا عبدالله الصيخان مُدنفًا بالحنين وحضور الآخر، فهو المفرط في إنسانيته التي تتجلى دموعًا في عيون قصائده، وهو الشاعر الذي يترجّل دومًا من «أنا» شعرهِ ليسكُب في الكلمات شعور الإنسان الأخير.

فلم يعد «الصيخان» رائدًا في كسر النسق الشعري المعتاد وابتكار أنساق شعرية حديثة فحسب، بل كَسَر سطوة «الأنا» المتعاظمة في قصيد الشعراء، وأعاد للشعر شاعريته النابضة جمالًا ووجدانًا وفنًا.

هو الشاعر الأول استغراقًا في الإنسان، والإنسان الأخير الذي ما يزال يعزفُ الوجدان.

تلاقت فيه بساتين عنيزة العذبة؛ فملأته اخضرارًا وانهمارا، وأكسبتهُ جبال الجنوب علّو الذات وسمو التجلّيات، وصافح الشمال حينًا؛ فاتّسع صدره وتدفّق شعره.

هو سليل عناق الأرض الخصبة بالسماء البعيدة، لذا انهمرت قصائده ضوءًا نابضًا، يُعيد ملامح الإنسان ويلوّن بالبياض وجوم المكان.

ففي رثائه لـ «شاعر البيد» يجعل من

قصائد الراحل سحائب تظلل الأرجاء التي أنهكها الرماد، ويُسيلُ دموع الانتظار وفاءً للصباحات التي ابتكرها الثبيتي وما تزال تصافحنا.

(وهذي القصيدة
تلك العنيدة
أنت تركت لها الباب نصف موارب
على أي بحرٍ ستأتي
على الرمل والمتقارب
أم على بحر قلبك
ذاك الذي بابه ليس يوصد)

«الصيخان» يجعل من قلب «محمد الثبيتي» بحرًا جديدًا للقصيدة، هذه القصيدة المُختلفة ستمتد بعيدًا نحو أعماقٍ زاخرة وفضاءات هادرة، فهي تحمل نبض صاحبها العنيد، الذي اعتلى البِحار ببراعة، وأرسل قارب نجاةٍ جديد قبل أن يترجّل مُضمّخًا بالكلمات والمساحات المضيئة.

وهو ذلك الذي يوجعه غياب «عبدالعزيز مشري» فيكتب:

«زهور تنسق أوراقها عند قبر
وليس هنالك غير وجوه الصِحاب
توزعها لوحةً أو كتاب
صروف القدر».

إنه يرسم الحزن الهادئ الأنيق زهـرًا ووجوهًا أثيرة إلى قلبه، ارتحلت هذه الأرواح وبقي جمالُها وجلالُها صاخبًا في روحه، فكل الذين لامسوا قلب «الصيخان» أدهشهم بسحائب الوصل الأبدي، جعل لغيابهم حضورًا شفيفًا، أبقاهم في ذاكرة المستظلين بقصائده.

(غيومٌ تمر بأهداب عبدالعزيز
كأني به الآن يرفع نظارتيه
ويمسحُ في أرقٍ ساحرٍ دمعتين
سالتا من عيون الشجر)

حتى دموع عبدالعزيز تُصبحُ مطرًا حين يُعييها الداء ويثخنها الدواء، صاحبهُ الممتد عميقًا في الأرض والنبض، بقي ظِـلالًا وارفـة رغـم رحيله المبكر، فالأدباء يلوّنون الدُنيا برهافة أرواحهم قبل أن يتركوها، لقد خُلقوا ليُحيلوا الرماد إلى جنائن من فُل وديدحان رغم جسارة الحياة في تبديد أيامهم وأحلامهم.

وهو الذي يعانق صوت الأرض فيقول:
(وكنتَ إذا شدوتَ أطلّ صبحٌ
على صحرائنا ومشى شعيبُ
وإن موّلت مالت بي نخيلٌ
وهزّت جذعها وبكى العسيبُ)

الصيخان يعزف قيثارة الوفاء لصوت الجمال والدفء (طلال مداح) حين يأتي بالضوء والمطر في صدر الصحراء التي تهتزُّ بهجةً حين يلامسها ذاك الحداء، وهي التي تذرف شَجْوَها حين يُذيب سكونها بـ (مـواويل) الاشتياق والفـراق، إنه يجعل لصوت الراحل أكثر من حياة، يمزجُ ملامح الدنيا وتماوجاتها في نبرة مُبدع، كأنه يقول إن عطاء المبدعين خَلقَ لنا فضاءات رحبة وخلّابة قبل أن يرحلوا، لذا وبإنسانيته العالية بقيّ معهم شعورًا، وبقوا معه فكرًا وحضورا.

«الصيخان» شاعرٌ أجرى في الصحراء ينابيع عذبة، بـدّدت وحشـة اتّساعها ووجومهـا، وألهـمَ القوافي شعورًا فريدًا فأرسلَ النبضَ في أرجائها.

هو الشاعر الذي بعثَ الإنسان من جديد، وألبسَ القصائد ملامح من بوحٍ عنيد، ديوانه ليس مجرد «زيارة»، بل «عناق» رقيق وعميق لمفردات الإنسان والوجدان.

---

* كاتبة وشاعرة سعودية.

مذكرات ثريّا التركي وسارة الحمود
قراءة مقارنة

■ الخنساء الموسى*

توطئة،

صدرت مذكرات الأكاديمية السعودية المغتربة، الدكتورة ثريا التركي عن دار الكرمة سنة ٢٠٢٤م، بعنوان: (حياتي كما عشتها)، واسمها على الغلاف دافع لقراءة المذكرات، تحديدًا لقراء دراساتها الاجتماعية الريادية عن كل من مدينتي عنيزة وجدة (بالاشتراك مع زملائها)، إضافة إلى كونها من أوائل الأكاديميات السعوديات؛ فقد درَّست في جامعات كبرى مثل هارفارد وكاليفورنيا وجورج تاون وبنسلفانيا، فضلًا عن جامعات محلية وعربية. وكان من المتوقع أن تكون سيرتها مشوّقة.

أما كتاب الدكتورة ساره الحمود: (قوس ولا نهاية) الذي صدر عن دار مدارك في عام ٢٠٢١م، فهو يروي مسيرتها الأكاديمية. ابتعثت في زمن مبكر ٢٠٠٦م، قبل بدء برنامج بعثات الملك عبدالله، حصلت على أول منصب وكيلة لعمادتي الموهبة والإبداع والتميز، ثم وكيلة لكلية تقنية المعلومات في جامعة الإمام محمد بن سعود، التحقت بعدها بمعمل علوم الحاسب والذكاء الاصطناعي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) وهي أول سعودية تعمل زميلة باحث في ذلك الصرح، ثم تقلدت منصب مدير الإدارة العامة للموهوبين في وزارة التعليم. والكتاب مذكرات مسيرتها التعليمية بالمقام الأكبر، مع جوانب ولمحات من حياتها الشخصية.

اللافت في مذكرات كل من التركي والحمود هو توافق بعض تفاصيل حياتهما واختلافها في تفاصيل أخرى، مع الأخذ بالاعتبار اختلاف المراحل الزمنية والمكانية، فضلًا عن الظروف الشخصية التي سنوردها لاحقًا.

نقطة التقاء

يجمع بين التركي والحمود كونهما عالمتين سعوديتين شغوفتين بالعلم؛ فقد حصلتا على منح بحثية من أرقى المؤسسات التعليمية العالمية، كما فتحن الطريق لمن بعدهن من السعوديات والسعوديين لبلوغ القمم العلمية.

الميلاد والنشأة

في الأربعينيات الميلادية وُلدت ثريا التركي في جدة لأم حجازية وأب نجدي من عنيزة، وقد استقر في جده حتى وفاته. بينما وُلدت ساره الحمود في نهاية السبعينيات أو بداية الثمانينيات الميلادية في الرياض، لأم حجازية وأب نجدي.

كانت والدة التركي أمية، بينما كانت والدة الحمود متعلمة وتعمل أمينة مكتبة. أما والد التركي، فقد تلقى تعليمًا أوليًا في الكتاتيب، ثم حقق ثروة فيما بعد من التجارة والعمل مع الحكومة عند نشأتها. أما والد الحمود فهو يحمل درجة الماجستير من الولايات المتحدة، ويعمل في جهة حكومية حديثة. هذا الفارق في التعليم عائد إلى اختلاف الأجيال بين السعوديين.

رغم ذلك، يجمع بين الأبوين حب العلم، ودفعهم الكبير لأبنائهم وبناتهم للتعليم، إضافة إلى الجسارة عند تحمل تبعات تجاوز المعايير الاجتماعية السائدة فيما يختص بتعليم البنات.

التعليم الأساس

تعلمت الحمود جميع مراحلها التعليمية حتى الماجستير في الرياض، بينما درست التركي بداية في مدرسة داخلية في لبنان، ثم انتقلت لدراسة بقية مراحلها التعليمية في مصر، حتى تخرجها من الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

التعليم الجامعي

عانت كل من التركي والحمود في مرحلة التسجيل للجامعة، لكن معاناتهما افترقت. فقد بقيت التركي عامًا كاملا في المنزل بعد الثانوية، تواجه ما وصفته بأصعب تحدٍّ في حياتها بسبب تردد والدها وتمنّعه من السماح لها بالالتحاق بالجامعة خوفًا من السمعة السائدة آنذاك حول الاختلاط في الجامعات المصرية، وهو ما كان يُصور في السينما والروايات على أنه مكان للتعارف والغزل بين الجنسين. وهو ما نفته تجربة التركي بعد ذلك، فوصفت علاقتها مع الشبان بأنها رسمية.

أما الحمود فقد كان ارتباكها أثناء التسجيل للجامعة سببه اقتراح أبيها للتوجه إلى كلية البنات لدراسة الرياضيات لتتخرج معلمة، وهي المهنة المتاحة للنساء حينها، -بجوار الطب ذي المقاعد الشحيحة، والذي كان يواجه رفضًا مجتمعيًا، لم يشجعها والدها على دخول جامعة الملك سعود لدراسة الحاسب الآلي، لأن الجامعة كانت مكانًا لغير المحافظين حسب تصورات المجتمع آنذاك، بعكس كليات البنات، ولانعدام فرص التوظيف في تخصص الحاسب حينها، فلم يكن مقررًا في المدارس، ولم تتسع خيارات توظيف النساء في زمنها؛ ما حدا بها للانصياع والطاعة والتوجه للكلية، ثم ترددها أثناء مرحلة التسجيل اليدوي وفوضاها مما ساعدها باتخاذ قرارها بالتوجه للجامعة ثم مساندة عائلتها لها، مع أنها لم تدعم فكرة تفلت الجامعة بأي مثال أو نموذج، فلم نعرف ما هي المخاوف والتحفظات تجاه الجامعة حينها، أما التركي فقد كانت أوضح في تسجيل التحفظات وأسباب الرفض.

الابتعاث للدراسات العليا

لم تعانِ التركي صعوبات مع عائلتها فيما بعد لاستكمال الدراسات العليا بالالتحاق بالبعثة في الولايات المتحدة، مثل معارضة والدها السابقة لدخولها الجامعة، وذلك لانفتاح والدها وتقبل العائلة، وافتخارهم بتفوق ابنتهم العلمي ومهاراتها العلمية واللغوية، وذلك عائد إلى طبقة التركي النخبوية التي سهلت تعليمها ثم دراستها الجامعية بالخارج، يليها ابتعاثها بفضل العلاقات العائلية، وهذا ما لم يحدث للحمود فقد جاهدت لاقتناص فرصتها بتفوقها في الدراسات العليا، ثم التعيين في الجامعة مع قلة الخيارات وفرص العمل، وبعد ذلك حصلت فرصة الابتعاث.

قبل الابتعاث، واجهت الحمود رفضا قاطعا من عائلتها، وطُلب منها عدم السفر، لأسباب اجتماعية، ولخوفهم من سفر فتاة عشرينية لم يسبق لها مغادرة ديارها وحدها إلى بلد بعيد، وقيل لها إن الزواج هو فرصتها الوحيدة للسفر للدراسة بالخارج، ولم يكن في محيطها آنذاك أي فتاة غير متزوجة خرجت للدراسة في الخارج.

بعد محاولات عديدة وإلحاح من الحمود، وافق والدها على سفرها للدراسة، وتقاعد من عمله لأجل أن يصبح مرافقًا لها. تحدثت الحمود بتكشف مريح لعفويته وصدقه عن

صراعها الداخلي بين البقاء في الوطن لتوسيع فرص الارتباط والزواج أو السفر لتحقيق الطموحات، وخوفها بأن يصبح سفرها سببًا لتقليل فرص زواجها، خاصة وأنها سافرت قبل بعثات الملك عبدالله، والتي سهلت سفر السعوديات للدراسة بالخارج، وأدت لتقبل الأسر والمجتمع نسبيًا لابتعاث النساء.

أما التركي فقد رفضت العودة إلى جدة بعد التخرج من الثانوية، لرفضها البقاء بالمنزل بانتظار الزواج والانخراط في الحياة الاجتماعية المقيّدة للنساء حينذاك، حتى في الطبقات الثرية والنخبوية مثل عائلتها. فجيلها كان يسبق التعليم النظامي للبنات، وكان الزواج في تلك الفترة سيوقف تطورها الأكاديمي والمهني، وهو ما قاومته بشدة.

تحدثت الحمود عن صعوبات دراستها في جلاسكو البريطانية (٢٠٠٦-٢٠١١م)، ورحلة تعلمها قيادة السيارة، وتجارب التزلج على الجليد وغيرها، بينما حكت التركي عن صعوبات تأقلمها في بيركلي - كالفورنيا (١٩٦٧- ١٩٧١م) فقد كانت الطالبة العربية الوحيدة في ذلك الوقت، مع وجود عدد قليل من الشباب العرب. وبالرغم من أن حياة التركي كانت أكثر مرونة في التنقل والحركة قبل الابتعاث، فإنها وصفت مشاعرها قبل السفر لأمريكا وحيدة، بأنه كان الخوف الأعظم في حياتها. أما الحمود، فقد وصفت مشاعرها أثناء السفر وفي الطائرة بجوار والدها، مثقلة بمشاعر الخوف والارتباك والقلق نفسها، مع فارق تجربتهن الحياتية.

وربما كان تقدم الزمن بالتركي سببًا رئيسًا لهذا الخوف، والذي يكون مبررًا في حالة الحمود، كونها لم تخرج وحدها عن بيت والدها قبل ذلك، لكن التركي عاشت دومًا بين أوساط عائلية عربية، تجمعهم بها صداقات وروابط، كما أقامت شقيقاتها في مصر وقت دراستها هناك بسبب عمل أزواجهن في السفارة السعودية، وكان سفرها للسياحة في أوروبا مرتبط بعائلتها، وبالطبع صعوبات التواصل والاتصال في زمانها تبرر مخاوفها، إضافة إلى خلفيتها الاجتماعية المحافظة وإن لم تلتزم بها، لكنها أثرت على مخاوفها من السفر وحيدة للغرب.

استغلت الحمود بعثتها بتنمية اهتماماتها العلمية والبحثية، بينما استثمرت التركي فترة ابتعاثها في المشاركة في الأنشطة السياسية العربية إلى جانب اهتماماتها العلمية، ويعود هذا إلى الفارق الزمني" إذ كان المبتعثون السعوديون قليلين في تلك الفترة، وكذلك سفر التركي من بلد عربي -مختلف عن بلدها الأم- إلى بلد غربي، قد دفعها لتلك الأنشطة السياسية، بينما أسهمت البيئة والتعليم وارتفاع الوعي عند الحمود فيما بعد، والمرحلة الزمنية أيضا في تركيزها على ما تُحسن من مهارات، وما سيؤثر مباشرة على شخصيتها، وينتفع به بلدها.

مواجهة الواقع بعد العودة للديار

بعد عودتها للسعودية بداية السبعينيات الميلادية واجهت التركي مصاعب جمة

في التعامل مع المؤسسات التعليمية، بعد تأسيس جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، فقد تعرضت لعنصرية من غير السعوديين، خوفًا على مناصبهم في الجامعة من التوطين، وبعد ذلك واجهت العنصرية ضد النساء، إذ قوبل اقتراحها بتدريس البنين من خلال الشبكة التلفزيونية بالرفض والاستنكار، وغيرها من المواقف السلبية التي واجهتها في الحياة العامة بسبب إقصاء النساء تماما؛ ما تسبب لها بصدمة أثّرت على موقفها تجاه الإسهام في نشأة مؤسسات التعليم، ما دفعها للذهاب للعمل في الخارج، وعدم العودة للعمل في السعودية سوى فترات قصيرة، لإجراء أبحاثها الاجتماعية، إضافة إلى فترة قصيرة للتدريس في جامعة الملك سعود.

أما الحمود التي عادت للوطن ٢٠١١م فقد واجهت موقفًا عنصريًا واحدًا من مسؤول معارض لتوليها منصب قيادي في الجامعة، إذ حاول إحباط ترقياتها وتعطيل تفرغها للمنحة البحثية، ولا يبدو فيما بعد تأثرها بهذا الموقف، لضعف تأثيره ولمساندة بقية الظروف لها.

مواضع الاختلاف

تختلف التجربتان أيضًا من حيث نوع التعليم؛ فالتعليم الكنسي المسيحي ثم العلماني المنفصل عن الدين الذي تلقته التركي، كان مختلفًا عن التعليم السعودي الذي تلقته الحمود، وهو ما أثر على تكوين شخصيتهما واهتماماتهما.

التأثير الروحاني للمواد الدينية في التعليم السعودي أثر على تكوين الحمود، كما ذكرت أنه دافع للجد والاجتهاد في العلم، إضافة لتعليم الوالدين، وانعكاسه المباشر على جودة العلاقة مع بناتهم، من ناحية انفتاحها وأهمية المكاشفة في التواصل بينهم، واعطاء مساحة للبنات لاتخاذ القرارات المصيرية في الخطوبة والزواج والتعليم، مع الدعم التام لهن، توافر ذلك للحمود ولم يتوافر للتركي؛ ربما بسبب فارق السن بين الفتاة والوالدين، وفرق المستوى التعليمي الهائل بينهما، ونمط الحياة والتفكير المرتبط بالنشأة في الخارج وفي مدارس داخلية، فربما التعليم العام الذي يعود فيه الطالب بعد نهاية دوامه لمنزل أسرته، ويتعلم داخل وطنه له آثار نفسية ترفع من إحساسه بالأمان وتعزز علاقاته مع أسرته؛ وهنا يبرز انطباع ملاحظ حول تأثير المدارس الداخلية على النشأة، فهي تورث جفوة داخلهم تجاه الوالدين، ولا يُعْرف هل منبعه الانفصال التام عن العائلة وربما الوطن في سنوات مبكرة وحرجة، أو طبيعة تلك المدارس المتأثرة بتزمت راهبات الدير المسيحية، وقسوتهن، والذي انتقل لمدارس المسلمين بداية الاحتكاك الحضاري في القرن الماضي؛ ربما لدى المختصين إجابات أوضح.

وصفت التركي تعليم الفتيات في السعودية بشكل متزمت وصارم للغاية، بينما لم تقف الحمود عند مدارسها مطولًا، وركزت على الجامعة لمركزيتها بالنسبة لها. والأمر أن المدارس لم تكن على وتيرة واحدة في

التزمت، كما وصفتها التركي، وقد اختلف من عقد هذا الوضع الذي وصفته، وربما كان اتباع الشدة والصرامة في بدايات التعليم؛ ضرورة لازمة لإقناع الأسر وطمأنتهم بأن المدارس جديرة بحفظ أخلاق بناتهم إلى جوار تعليمهن، حسب الرؤى الاجتماعية المتخوفة والمعارضة لخروج الفتيات من المنزل لمكان غريب حتى لو كان تعليمهن في البدايات، ثم تغيرت الأحوال تبعًا للتحولات الاجتماعية بعد ذلك، ولكن هذه القوانين أسهمت في اتساع رقعة تعليم الفتيات بشكل سريع في السعودية، والقضاء على الأمية في فترة وجيزة[1]، بينما بعض الدول التي سبقتنا في التعليم ما تزال نسب الأمية فيها مرتفعة، والفجوة بين تعليم الجنسين هائلة، لأسباب اجتماعية ثم اقتصادية؛ ما يؤكد وجود خلل في سياسات التعليم، وهو ما تجاوزته السعودية مبكرًا بفضل الله.

أثر التعليم السعودي الذي وصفته التركي بشكل شديد القتامة، كان مؤثرا على وعي عائلة الحمود وأفكارهم، وتربيتهم لبناتهم، من حيث التفهم والدعم والعلاقة المريحة، ودافعًا للإبداع والابتكار والوصول لأفضل الجامعات دوليًا، فلم تحتج الحمود للتصادم الحاد مثل التركي مع عائلتها لرفع سقف الحريات، أو قوبلت بالعنف الجسدي، فقد لجأت الحمود للنقاش والتفاوض والمهادنة وتطمين المخاوف، وهذه نتيجة مباشرة للتعليم الجيد والوعي المرتفع.

ربما كان موقف التركي من مؤسسات التعليم والمجتمع، موقفًا طبقيًا يتماشى مع المثقفين العرب الميالين لليسار، الذين توقف الزمن لديهم منذ عقود. فقد رفضوا تجديد النظرة تجاه السعودية والخليج، وغفلوا عن التغييرات الإيجابية والمنجزات التنموية التي تحققت، كما أنهم يتعامون عن واقعهم السيء. وربما يمكن تبرير ذلك بسبب تقدم السن وضعف صلاتها ببلدها، ولكن يبقى ميلها لليسار، والمتوقع من مركزية فكرة العدالة عند اليسار، أن يؤثر على تعاطفها مع اختلافات المجتمع السعودي، سواء بسبب التعليم، أو الاقتصاد أو العوامل المؤثرة الأخرى، ولكن هذا لم يحدث.

تأثيرات الصحوة

تحدثت الحمود عن تجربتها مع الجماعات الدعوية في الجامعة من ناحية الالتزام، والانضباط، والتآخي بين الفتيات، والنصح، والوعظ اللطيف بلا عنف، ولا تشدد، والحث على البعد عن الملهيات، وعدم تضييع الأوقات فيما لا ينفع. وهذا التصور للفتاة المسلمة كان له تأثير، حيث ساعد الحمود وأجيالًا غيرها على الانكباب على العلم والمعرفة. وكان ذلك نتيجة التناصح بالنهي عن تضييع الوقت في الملهيات المحدودة المتاحة حينها، أو في الجلسات الفارغة، والنميمة، والغيبة، أو الانشغال بعلاقات عاطفية هاتفية غير شرعية. وبالتأكيد، كانت الخيارات المتاحة هي طلب العلم الشرعي والدنيوي، والتعبد؛ ما دفع الفتيات للجدية والانجاز، وتجنّب الخمول والدعة والراحة، مع الربط بين العبادة والعمل والدراسة.

نتائج المقارنة

بالمقارنة، نجد أن الحاجز الطبقي للتركي، والزمني وبعدها المكاني، كان مانعًا من تفهمها لبيئات التعليم النسائية في السعودية؛ ما جعلها تصوّرها بشكل سلبي دون مزايا أو مردود مجتمعي ووطني. يمكننا وصف الحمود كممثلة عن جيلها، بينما لا ينطبق هذا الوصف على التركي، لأنها تمثل نفسها وعائلتها في جيلها الذي عانى من ندرة المتعلمين والمتعلمات تعليمًا عاليًا.

كما يتضح أثر التحوّلات المجتمعية على الحمود، مثل دخول الإنترنت، والابتعاث، ثم قيادة المرأة وتمكينها، بينما لم يساعد الزمان التركي، إضافة لغربتها على التأثر بالمتغيرات المحلية، أو التقاطع مع الشأن الداخلي. فقد أسهم تغييب النساء عن المجال العام في زمانها في اتساع عزلتها عن المجتمع السعودي، باستثناء فترات بحثها المتعلقة بالمجتمع والمرأة السعودية؛ بينما لم تواجه الحمود صعوبات تذكر في التأقلم بعد عودتها من الابتعاث.

لا يمكن أن نغفل الفروقات الشخصية في الطباع بين الشخصيتين، والتي ربما أثرت على مسار التركي والحمود، ومواقفهما الحياتية. ومع ذلك لم يتم تسليط الضوء على هذه الفروقات، بل جرى التركيز على البحث عن عوامل عامة أثرت على نشأة الشخصية وصقلها، كونها محور المقالة.

الخاتمة

قرأت المذكرات بشكل متتابع، وكان ذهني لا يتوقف عن المقارنات. شعرت وكأني أقرأ تاريخًا للنخب النسائية السعودية منذ الخمسينيات حتى اليوم. اختلفت الطبقات الاجتماعية، ولكن مجانية التعليم وجودته في السعودية، كانت سببًا في الارتقاء الطبقي كما حصل مع الحمود. واتضح أثر وجود أجيال من المتعلمين على جودة حياة الحمود وأفكارها وعائلتها، وكذلك على أقارب التركي الذين لمحت عنهم في الكتاب، من نواحٍ عدة، داخلية وخارجية. وقد انعكس ذلك على شخصية الحمود، إذ كانت النشاطات الدينية اللاصفية في مؤسسات التعليم دافعًا لها لمزيد من الجد والعطاء، وحافظت على اتزان تدينها حتى مع التغيرات الكبرى في حياتها بعد بعثتها. لم تشعر بالانكسار أو الصغار أمام الآخرين بسبب دينها وحجابها، وكان للأثر الاجتماعي للعائلة المتعلمة المحبة للعلم، والداعمة للقراءة والاطلاع دور كبير في توفير بيئة آمنة للنقاش والحوار، ودعم حرية اتخاذ القرارات المصيرية في حالة الحمود.

---

* كاتبة سعودية.

(١) صحيفة عكاظ، الجمعة ٧ يناير ٢٠٢٢: نسبة الأمية في السعودية ٢٠٢١م بلغت ٣,٧٪ https://www.okaz.com.sa/news/local/2093330.

جماليات اللغة اليومية والاتكاءُ على السرد في نصّ لحميد سعيد

■ د. سلطان الزغول*

يعدّ الشاعر العراقي حميد سعيد (١٩٤١-...) واحدًا من أبرز الشعراء العرب في العصر الحديث؛ إذ بدأ إصدار مجموعاته الشعرية منذ عام ١٩٦٨م. وهو يقيم في عمان منذ عام ٢٠٠٣م، وكان قد شغل منصب الأمين العام لاتحاد الكتاب العرب، ورئاسة اتحاد الأدباء في العراق.

في مجموعته الشعرية الصادرة عن دار دجلة في عمان عام ٢٠١٩م، وهي مجموعة «ما تأخر من القول»، نطالع نصًّا لافتًا للشاعر باتكائه على السرد، وتوظيفه لجماليات البساطة المتمثلة في اللغة اليومية، وهو قصيدة «رجل في السبعين.. وسيدة في...؟»، التي يفتتح بها الشاعر المجموعة.

يبدأ النصّ بجملة العنوان الاسمية الناقصة التي تكتمل في السطر الثاني عبر صيغة المضارع:

رجل في السبعين.. وسيدة في...؟
يلتقيان..
بمشفى في عمان..
....
أتعرفني..؟
...
يفترقان..

وبذلك ينتهي المشهد الأول في القصيدة مُشكلًا بناءً مكتملًا عبر تقديم شخصيتين في مرحلة الشيخوخة، وتحديد مكان لقائهما بوضوح، وهو مشفى، ثم تحديد المدينة التي يقع فيها المشفى، وهي عمان، ناهيك عن توظيف تقنية الحوار الذي يتضمّن صوت المرأة المتسائل يقابله صمت الرجل الذي

يطول. وبذلك يبدع الشاعر في هذه اللوحة التي تمتصّ لغة الحياة اليومية وتحيلها شعرًا يخلص للموسيقى؛ فالنثر اليومي الذي لا يُلتفت إليه عادةً يتموسق، والقصيدة تفتح ذراعيها للمهمل والبسيط. هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، يوظف تقنيات السرد الأساس، إلى درجة أنّه يضعنا أمام نصّ يمكن أن نورده كقصة قصيرة جدا، ثم نتغنى باكتمالها واحتوائها على عناصر القصة الأساس، وتكثيفها، وتوظيف تقنية الفراغ فيها بشكل مدروس وإبداعي، ومضمونها الوجوديّ وإشاراتها بالغة الدلالة.

يتابع حميد سعيد عبر المشهد الثاني أسلوب القصّ الهادئ الذي لا يكاد يفصح عن شيء ذي بال، لكنّه أعمق ممّا تمنح الوهلة الأولى من تصوّر؛ فها هنا عالم مسكوت عنه، ضاجّ بالذكرى والحياة التي كانت:

في شارع فيصل فرحان الجربا.. حيث يقيم رآها
يتبعها كلبٌ جبليٌّ حذر..
أسرع..
فابتسمتْ..
وهي تقول.. أحقا لا يتذكرني؟

يبدأ بتحديد مكان الحدث بدقة، إنه شارع فيصل فرحان الجربا، أحد شوارع غربيّ عمان، حيث يقيم الرجل السبعيني، الذي يشكل مركز النصّ الشعري المتكئ على السرد، كما سبق أن أشرت، وهو اسم ذو دلالة، إذ أطلق تكريمًا لشخصية عراقية بارزة، كان لها مكانة مهمة في تاريخ العراق الحديث، وهي شخصية تربط عمان ببغداد، المكانين اللذين يفعلان فعلهما في روح الشاعر وقلبه؛ إذ تشكل بغداد ملاذًا للشاعر على مستوى الذاكرة، فهي أرض الحدث الماضي المفصلي الفاعل في الحاضر، على المستوى الشخصي والعام، كما تشكل عمان ملاذًا واقعيًا وسكنًا يجلب الدفء والسكينة ويضمّد جراح الروح الغائرة.

في ذلك الشارع، رآها فأسرع في خطوه، ربما كان لا يحبّ الكلاب، أو أنّه يهرب من الذكرى. فابتسمت المرأة متسائلة: أحقا لا يتذكرني؟ وبذلك تبدو المرأة في هذا المقطع واثقة أكثر، فهي تتذكره جيّدا، بينما كانت في المقطع الأول تائهة في «مشفى في عمان». لكن المرأة في الحالين تنطق، في الأول تسأله مباشرة: «أتعرفني..؟»، وفي الثاني تتساءل: «أحقا لا يتذكرني؟». أما الرجل فيصمت في المشهد الأول، ويهرب في الثاني. وهو ما يتوافق مع حال امرأة فقدت حبيبًا ورجل فقد وطنا!

في المشهد الثالث:

كان يراقبها..
وهي تحرّك جمر الأرجيلة..
هل هي؟
أم تلك امرأة تشبهها..

وحين غادرت المقهى تذكّر خفق عباءتها، فتأكدت له هويتها، فعلّق متحسّرا:

شخنا.. وتغيّرت الدنيا
إلا خفق عباءتها.. ظلّ كما كانْ.

بدأ الرجل يغادر مدارج الدهشة والصمت المحمّل بالتساؤلات إلى لحظة الكلام متسائلا بشكّ، قبل أن ينطق بثقة عما يتغيّر وعمّا يبقى. ويترافق استخدام الأفعال المضارعة مع صمت الرجل وحيرته في المشهدين الأوّلين، أما في هذا المشهد فيأتي نطقه مع تتابع للأفعال الماضية. ولعل في ذلك إشارة غير واعية إلى صخب الماضي وسكون الحاضر، إلى الحياة الغامرة المحمّلة بالأحلام والآمال هناك حيث كانا، والحاضر المترافق مع الشيخوخة والإحباط والصمت.

من المقهى، ينتقل في المشهد الرابع إلى دائرة الهجرة، إذ:

فاجأه صوت امرأة يأتي من زمن جدّ بعيدْ..
أأنتَ؟
بلى..
أو أنتِ؟
....
لقد كنتُ أحدّث أحفادي عنكَ..
وهذا أوسطهم..
سيزورك في المقهى.. ذات صباحْ.

في دائرة الهجرة، يتحاوران، ويكملان حديثًا حافلًا بإيماءات الماضي الصاخب بينهما، ثم ينتهي حوارهما بوعد بلقاء الحفيد، وهو وعد يحمل أملًا بجيل قادم سيكمل القصة القائمة على المحبة والتفاؤل والإخلاص.

أما في المشهد الخامس فنرى جارته تحدّثه عن لقائها بتلك المرأة:

في صالون التجميل
شاهدتُ امرأة بغدادية
وهي عجوز عجفاءُ.. تُكحّل عينيها
وتُلوّن خدّيها وأظافرها والشّفتين
مثل صبيةْ
تبادلنا القولَ..
ذكرت لها اسمك..
قالت:
كانْ.

ينتهي المشهد بسكون الفعل (كان) بما يحمله هذا الفعل والسكون من دلالات الماضي، ودلالات الصمت؛ لكنه صمت يشي بحياة حافلة بالحب والصخب والآمال، ذلك ما نلاحظه على المرأة البغدادية التي تتصرّف مثل صبية، رغم الزمن الذي فعل فعله بها، فهي تشي بجمال الماضي وعنفوانه، لكنه يبقى ماضيًا ذهب إلى غير رجعة.

في المشهد السادس، ينتقل إلى الدوار الرابع في جبل عمان، فتمرّ قربه «وهو يحاسب صاحبة المطعم»:

يا..
أنتَ هنا..؟
منذ سنين
وأنا أسكن في هذا الشارع.. منذ سنين
وتشيرُ إلى بيت غير بعيد.. بعصاها
زُرْني حين تشاء
.....
.....
وبعد أسابيع يجيء ليسأل عنها
يُخبره البواب.. بأنّ الله توفّاها.

يعمد الشاعر عبر توظيف تقنية التكرار إلى تقديم مشاهد سردية متعددة تصبّ في معين لقاء الرجل السبعيني في عمان بامرأة سبعينية كانت له ببغداد، فأول مرة نراهما يلتقيان في مشفى، ثم نراهما يلتقيان في شارع فيصل الجربا، حيث يقيم هو، قبل أن يلتقيها في مقهى، ثم يتبادلان الحديث أخيرا في دائرة الهجرة، وبعد ذلك تحدّثه جارته عن لقائها بها في صالون التجميل، فقد ذكرت لها ما كان بينهما ما إن ذُكر اسمه، ثم يلتقيان من جديد في مطعم قرب الدوار الرابع، حيث تقيم هي، وتدعوه لزيارتها في بيتها القريب. وحين يزورها بعد أسابيع «يُخبره البواب بأنّ الله توفّاها».

لا تنتهي القصيدة بموت المرأة، بل يتدفّق سيل الذكرى، إذ يبدأ المشهد السابع بجملة مركزية «البرد شديد في عمان» ما يدفع عبر الحنين إلى استعادة الماضي:

يتذكّر أيام البرد ببغداد
وهي ترافقه.. أين هي الآن؟
كانت تضحك.. حين يناديها فرط الرمان

ثم يتساءل إن كان البرد في بغداد ظلّ كما كان، «أم هاجر كي يبحث عنها في كل مكان؟». وبذلك تحضر بغداد حين يذكر البرد الشديد، ولا ندري من الذي هاجر ليبحث «عنها»، أهو البرد حقًا أم الرجل السبعينيّ؟ وهل يبحث عن امرأة فقدها في بغداد أم هو يبحث عن بغداد التي لم تعد بغداد؟

يتابع الشاعر بناء النصّ بحرفية على نظام المشاهد السردية المتتابعة، التي يصلح كل مشهد منها ليكوّن مقطعًا وجوديًا معبّرًا من مقاطع الحياة، كما أنه يشكّل لبنة في بناء متكامل في الوقت عينه. ففي المشهد الثامن، الذي يُبنى على المفارقة بما تحمله من سخرية مُرّة، يراقب الرجل السبعينيّ من شرفة منزله لونا غامضًا يمرّ كلّ مساء ويدفعه إلى التساؤل:

... من هذا اللون الغامض؟
ثم تخيّله.. امرأة
أعطاها اسمًا
واختار لها زمنًا وحكايات
كان يقول.. لماذا لا تسأل عنّي؟
أوَ ما كُنَّا من قبل معًا؟
مرّ اللون الغامض يوما قبل غروب الشمس
فرآه الرجل السبعينيّ.. وكان
بستانيّ الجيرانْ

إضافة إلى ما يحمله المشهد من مفارقة وتكثيف عال، نرى البعد النفسيّ في بنائه القائم على التوهّم المرضي، ثم الاستشفاء منه، والبعد الدراميّ والإيحائي الذي يقود إلى ماضٍ عابقٍ بحياة كانت تتدفق ثم انهارت وتحوّلت الى جفافٍ وعقم، تمامًا مثلما تحوّلت المرأة الحلم إلى بستانيّ الجيران نهاية المشهد. كما يُكمل هذا المشهد جانبًا جديدًا من جوانب قصة الرجل السبعينيّ وامرأته عبر لغة ذات مفردات بسيطة في ظاهرها، لكنها تحمل إشاراتها وإيحاءاتها عبر هذه البساطة الخلاقة، وذلك كله يأتي والشاعر لا يفارق جماليات قصيدة التفعيلة بإيقاعاتها المنسابة.

في المشهد التاسع يروي الشاعر قصة فعل الزمن عبر حديث الرجل والمرأة عن أثره فيهما متابعًا توظيف تقنية الفراغ المعبأ بالإيحاءات والدلالات:

ماذا تنتظرين
من رجل بعد السبعين..؟
.....
ماذا يبقى من سيدة في...؟!

والشاعر في هذا المشهد يتابع إعادة تدوير ما جاء في مشاهد النصّ المتتابعة عبر لقاء الرجل والمرأة في أماكن متعددة من حديث ناقص تكمله الذكريات التي توحي بها كلمات النصّ وفراغاته. لكنه في المشهد العاشر الأخير يكثّف القصة ويعيد تشكيلها على نحو جديد ومميز، فنرى قصيدة تتكئ على السرد، وهي عابقة بالإيحاءات، ويمكن أن تحمل نفسها بنفسها، كما نرى لبنة البناء الأخيرة التي تدفعه إلى الاكتمال والتوهّج:

يحمله الوهم إلى ماضٍ كان
فيرى امرأة كانت، ثم طواها النسيان
تخرج من بيت يتخيّله..
وتحيِّيه،
يردّ تحيّتها
ويمدّ يدا ليصافحها..
.....
فينبّهه صوت النادل في المقهى
وهو كما كانْ

يبني حميد سعيد هذا النصّ المذهل في بساطته المحمّلة بالعمق على تجربته الخاصة ومشاهداته، وهو نصّ يحمل حوارات شذيّة معبأة بالذكريات، وحنينا يتخفّى، وألما حوّله الزمن بقسوته وسطوة حضوره إلى قطعة من الروح؛ فلا ندري أتكسّر الألم أم ظلّ جزءا منها. وتظهر تفاصيل الأمكنة بهدوء وانسياب دون تقصّد، فيبرز المقهى العمّاني وشارع فرحان الجربا والدوار الرابع.. وتلوح بغداد من بعيد ذكرى قاسية عبر جمال الماضي الذاهب بعيدًا. أما الرجل السبعينيّ والمرأة التي لا يصرّح بعمرها، وإن كان يلمّح إليه، فهما يؤثثان النصّ بفواصل من الصمت، وفراغات معبأة بالدلالات، وحوارات قصيرة لا تكتمل، لكنها موحية باتكائها على الذكرى، وهما يبدوان كما لو كانا قد استنزفا الحنين كلّه، فترسّخت الذكرى وغام الحاضر! وهذا الأسلوب في الحوارات الناقصة والفراغات الكثيرة يتناسق مع هذه المرحلة المتقدمة من العمر.

من جهة أخرى، يتكئ الشعر على السرد في هذا النصّ، وتروح اللغة إلى عالم البساطة، لكنها تحمل إيماءاتها وإيحاءاتها في جنبات الهامشي من الألفاظ، البعيد عن الاستعارات المدبّجة والبلاغة الفارغة. ويبدو جمال النصّ في فراغاته وإشاراته عبر لغة تحمل جماليات البساطة، ناهيك عن اتكائه على عوالم السرد، ما زاده جمالًا وغنى.

---

* كاتب – الأردن.

الرمزية واللفظية في أدب الطيب صالح دراسة نقدية

■ محمد صلاح أبو عمر*

الطيب صالح (١٢ يوليو ١٩٢٩ -١٨ فبراير ٢٠٠٩)، أديب روائي، وصحفي سوداني. كاتب ومفكر عربي، استطاع أن ينسج بخيوط قلمه صورًا أدبية تجمع بين عمق الفكرة وسلاسة الأسلوب. في أعماله، نرى مرآة للمجتمع بمختلف تناقضاته وآماله؛ فقد قدم رؤى جريئة، وغالبًا ما أثارت الجدل، سواء في تناوله لقضايا الهوية، أو الدين، أو حتى العلاقات الإنسانية الأكثر تعقيدًا. بأسلوبه الفريد، يمزج بين النقد اللاذع واللمسات الإنسانية الدافئة؛ ما يجعله واحدًا من الأصوات الأدبية التي تتحدى السائد وتدعو القارئ إلى إعادة التفكير في قضايا الحياة المتشابكة.

أدب الطيب صالح يتميز بتوظيف عميق للرمزية واللفظية، حيث يستخدم الكاتب الرموز والأساليب اللفظية لإيصال معانٍ فلسفية وأخلاقية وإنسانية تتجاوز السرد البسيط. هذا النوع من الأدب يتطلب من القارئ أن يكون حساسًا تجاه ما وراء النص، إذ إن الرموز غالبًا ما تحمل دلالات متعددة، وتتيح للقارئ فرصة لاكتشاف طبقات من المعاني الخفيّة التي ترتبط بالتجارب الإنسانية والروحية.

١- الدلالات الرمزية في أدب الطيب صالح

الرمز عنده يُستخدم كأداة لتعميق المعنى وتوسيع دلالات النص. إنه أسلوب يمكّن الكاتب من إيصال أفكار كبيرة ومعقدة باستخدام عناصر بسيطة في الظاهر، لكنها تحمل في طياتها تأملات عميقة. من أبرز الرموز التي قد نجدها في هذا النوع من الأدب:

- الطبيعة كرمز للصفاء والروحانية:

تتكرر في أدب الطيب صالح ذكر الطبيعة، مثل: الجبال، والأنهار، والسماء، كرموز للتأمل الروحي والصفاء الداخلي. الجبل، على سبيل المثال، قد يرمز إلى الثبات والشموخ الروحي، بينما قد يرمز النهر إلى الحياة المتدفقة والتجدد المستمر. مثل هذه الرموز تعكس توجهات الكاتب نحو فلسفة التأمل والتصالح مع الكون والذات.

- الشخصيات الرمزية:

في كثير من الأحيان، تستخدم الشخصيات في أدب الطيب صالح ليس كأفراد بشريين وحسب؛ بل بوصفهم رموزًا لأفكار ومفاهيم أوسع. قد تمثل شخصية معينة الخير أو الفضيلة، بينما قد تمثل شخصية أخرى الفساد أو الطغيان. الصراع بين هذه الشخصيات يعكس الصراعات الداخلية للإنسان بين الخير والشر، أو بين المادي والروحي.

- الأشياء اليومية كرموز للمعاني العميقة:

الطيب صالح، أديب روائي، وصحفي سوداني

في أدب الطيب صالح، قد يتحول الشيء البسيط، مثل نافذة مفتوحة أو كتاب قديم، إلى رمز للحكمة أو الحرية. هذه الرموز تتيح للقارئ فرصة للتفكير في الأشياء المألوفة بطريقة جديدة، وإدراك العمق الذي قد يكون مخفيًا في التفاصيل الصغيرة.

٢. الدلالات اللفظية في أدب الطيب صالح

الأسلوب اللفظي للصالح الطيب يعتمد على الاختيار الدقيق للكلمات وتوظيفها بطريقة تنقل مشاعر وأفكارًا معقدة بطريقة بسيطة، لكن ذات تأثير عميق. هذا الأسلوب يُعد جزءًا من براعة الكاتب في الوصول إلى أعماق النفس البشرية باستخدام لغة تشبه التداعي الحر للأفكار، وفي الوقت نفسه تحتفظ بتركيبٍ لغوي محكم.

- استخدام الألفاظ المتناقضة:

من السمات اللفظية المميزة في أدب الطيب صالح هو استخدام الألفاظ المتناقضة أو المتضادة لتسليط الضوء على الصراع أو التناقض الداخلي. فمثلًا، قد يتحدث عن «الصمت الصاخب» أو «الظلام المضيء»، وهذه العبارات تهدف إلى إثارة الدهشة والتفكير في تلك الحالات الإنسانية المعقدة التي تتداخل فيها المشاعر والتجارب.

- التكرار اللفظي:

التكرار في أدب الطيب صالح غالبًا ما يكون وسيلة للتأكيد على فكرة أو شعور معين. فالتكرار يُستخدم ليس فقط لترسيخ الفكرة في ذهن القارئ، بل أيضًا لمنح النص

إيقاعًا موسيقيًا يعزّز من الحالة الشعورية التي يريد الكاتب إيصالها.

- الإيجاز والدقة:

في بعض الأحيان، تكون قوة أدب الطيب صالح في الإيجاز والدقة اللفظية. فالكاتب قد يعبر عن معانٍ عميقة باستخدام أقل عدد ممكن من الكلمات، ما يعطي القارئ مساحة أكبر للتأمل والتفكير. فمثلًا، جملة قصيرة قد تحمل في طياتها عدة طبقات من الفهم والرمزية.

٣- الدلالات الفلسفية والروحية

أدب الطيب صالح غالبًا ما يكون محمّلًا بدلالات فلسفية وروحية عميقة. يستخدم الكاتب الرمزية واللفظية ليس فقط للتعبير عن مشاعر إنسانية أو لتوصيل رسائل أخلاقية، ولكن أيضًا لاستكشاف أسئلة أكبر عن الوجود والمعنى.

- البحث عن الحقيقة:

الطيب صالح يستخدم الرمزية في الأدب للتعبير عن رحلة الإنسان في البحث عن الحقيقة والمعرفة. الشخصيات قد تمثل نماذج للإنسان الذي يسعى إلى المعرفة، أو الذي يصارع الشك، أو الذي يحاول الوصول إلى نور الإيمان.

- الجدل حول المصير والحرية:

في عديد من مواضع سرده الروائي، نلحظ أن الطيب صالح يعالج قضية الحرية والمصير. والشخصيات قد تكون عالقة بين خيارات متعددة، ما يعكس الصراع الداخلي بين الإرادة الحرة والقدر المكتوب، وهو ما يفتح بابًا للتأمل الفلسفي في مسألة الحتمية والحرية.

٤. التفاعل بين الرمز واللفظ

في أدب الطيب صالح، هناك تناغم بين الرمزية والدلالات اللفظية. الرمز واللفظ يتكاملان ليخلقا تجربة قراءة غنية؛ إذ تعتمد الرمزية على الأسلوب اللفظي لإيصالها، والعكس صحيح. هذا التفاعل يجعل النص الأدبي عملًا فنيًا متعدد الطبقات، يمكن للقارئ أن يكتشف فيه أبعادًا جديدة مع كل قراءة.

خاتمة

يتميز أدب الطيب صالح بالغنى الرمزي والدقة اللفظية، حيث يستخدم الكاتب هذه الأدوات لخلق عوالم أدبية تتناول قضايا إنسانية وفلسفية عميقة. والرمزية في أدبه تفتح آفاقًا للتأمل في المعاني الخفية، بينما الأسلوب اللفظي يعطي النص جمالًا فنيًا، وقدرة على التعبير عن أعقد المشاعر والأفكار بأبسط الوسائل. في النهاية، فإن هذا الأدب يمثل أنموذجًا من الإبداع الذي يجمع بين الفلسفة والجمال في إطار سردي عميق.

---

* كاتب - مصر.

«ممراتُ السنونو» للشاعر العاصي بن فهيد.. القصيدة تتجاوز كلماتها

■ شريف الشافعي*

هذا شاعر في أعماقه شجرة كامنة، يصنع نصوصًا كبيرة من البذور الصغيرة والمنعطفات الضيّقة والكلمات القليلة. هو يشرب الريح من الاتجاهات الموثوقة كلها، فلا تتقاذفه متاهاتها، يتفادى الاصطدام بالكتل الصمّاء في الزحام، يكتب بتلقائية ما يحلو له فوق أرصفة المحطات، وعلى قارعة الطريق، وخلف أسوار المدن التي تحاصر البشرية بماديتها الجامدة البائسة.

في ديوانه «ممرات السنونو»، الصادر عن دار صفصافة للنشر في القاهرة، يقترح الشاعر السعودي العاصي بن فهيد سراديبه السرية الخاصة، للعبور من عصر التمدين الزائف والأدخنة والضجيج والماكينات إلى ذاكرة الصلصال الآدمي النيئ، ورائحة الخميرة الإنسانية النقية النشطة:

«دارت الجنازير واختلجَ القلبُ.
مَن جاء؟ مَن راحَ؟ مَن حدثَ؟
وحدها الأنيابُ المعدنية تلمع،
وتبتسم لكَ، في صلف».

هو يكتب ببراءة طفل ووعي ناضج معًا، كي يمسح الغبار عن الكتب، ويطرد اللصوص المتخفّين في الأركان، ويمحو آثار الحريق، ويسقي النباتات المنفلتة من التصحر المفروض على الجميع بقسوة متناهية:

«خلجات الكرى،
والنازعات..

القلب مستنقع نار،
وشبق الحياة..
خلجات الكرى أهوال، ولصٌّ يتنكّرُ في
ألفِ صورةٍ،
آه.. ما هذا النعاس!».

شذرات متفجرة

شذرات العاصي الشعرية، ومنمنماته التي تكاد تكتب ذاتها بذاتها، هي مواقف ولحظات يومية مكثفة من زوايا التقاط فائقة الحساسية، لقطات ومشاهد متفجرة، بانوراما مصورة في شريط سينمائي يمتلئ بالحركة والأحداث والزخم والفوضى الجميلة:

«ركلوا البحرَ، بأقدامهم الصغيرة،
فتحرك البحرُ، نحو الشمس،
صاخبًا، وتفرّقوا.
أولئك الكلابُ كم أفتقدُهم!
رحلوا إلى مدن، واعَدُوها سرًا، ولم
يَعُودوا.. لم يعودوا».

تتوزع نثارات العاصي بن فهيد على ٧٦ قصيدة قصيرة، وقصيرة القصيرة، وومضية، في ٨٠ صفحة فقط، لكنها تبدو متسعة إلى أبعد الحدود. فصاحب «شيخ الصعاليك» و«أهل الخانكة» و«صورة وإناء في المزاد» يفتح نصوص ديوانه «ممرات السنونو» على الأزمنة والأمكنة، على الجوهر اللامتناهي، على المعاني الورائية،

مازجًا المعاينات الحياتية القريبة البسيطة برؤية فلسفية تحليلية تتقصى حقيقة الذات والعالم وأسرار الوجود، وتتساءل عن كل شيء وكل دلالة وكل علاقة في هذا الفضاء المشحون بالاحتمالات والمحمّل بالصمت وبقايا الحروف المحترقة. يقول في قصيدته «حقيقة»:

«لم يبقَ لي منكِ، غيرُ المستقبلِ،
طيفًا يحملُ الأحاجي لي كل ليلة،
ويشيرُ إلى بلادٍ مجهولةٍ..
أنا الذي يغادرني إليك،
ذكرى، تُغرد في أشجار الصمت».

هو شاعرٌ قلق متمرد، كنصوصه المتوترة

المتسارعة المتحدّية لمحدودية بُنيتها، لا يرتضي الأمر الكائن، وإنما يواجه الزوال بالاستمرار، وينازل الأقدار ببسالة مُحارب ورهافة مُتيّم، ويحتمي بالعشق المؤجل إن تسرّب منه العشق القديم، ويرافق السنونو في رحلته القصيرة عندما يختطف البرقُ الغابات، آملين معًا، هو والسنونو، في استراحة مسافر بعد النزيف المُضني:

«مرّ طائرُ السنونو سريعًا،
ورفّ قلبي كثيرًا،
موعدًا ذات نهار.
آه ذاكَ القلبُ، الذي رفّ ذاتَ نهارٍ..
نهارٌ ينزفُ بقاياه، على حائطِ بستانٍ.
أما آن للمسافرِ أن يستريحَ؟».

الحزن الأبدي

«سأتظاهر بنسيانِكِ،
ليعودَ قلبي مثلما كان،
لكنني أعلم مسبقًا أني بذلك سأشعر
بأن رغبتي أشد،
وأن حزني أكثر أبدية».

عبارة دالة موحية لابن سينا (٩٨٠م-١٠٣٧م)، الطبيب والعالم والفيلسوف، يستدعيها العاصي بن فهيد في مستهل مجموعته الشعرية، وكأنما يعلن أنه في البدء كان الحزن، وأن السطر الأخير هو الحزن أيضًا، طالما أن هناك شعورًا بالفقد والوحشة والوحدة، وحتى الدموع فإنها لا تجدي في هذه الحالة. يقول العاصي في قصيدة له يهديها إلى ابن الرومي (٨٣٦م-٨٩٦م)، الشاعر العباسي:

«ربما تصطدم في الزحام..
فحذار أن تجرحَ قلب الإنسان،
الذي يئن تحت وطأة الوحدة، في الزحام.
فلوْلا .. ما شعّ على هذا القبر،
عشبٌ،
ولا نطق الحجرُ الصوَان،
ولولا ..
ولكن ما جدوى الدموع،
ما جدوى الدموع، في هذا الزحام؟».

ومثلما يختزل العاصي بن فهيد قصائده، ويضمّنها الممحوّ والمسكوت عنه، فإنه يختصر عناوينها أيضًا ربما إلى كلمة واحدة أو كلمتين، من قبيل «أشباه» و«شاعرة» و«في الحانة» و«كتاب» و«مطبخ الزمن» و«ماكينة» و«معرفة» و«محارب قديم» و«عودة» و«مومياء» و«الجامح» و«صخرة» و«قنّاص» و«براعمُ الحنظل» وغيرها.

مفاتيح مراوغة

ويقيم الشاعر علاقة خاصة مع الحانة، بمفهومها المجازي الجمالي وليس بمعناها الواقعي المباشر، على اعتبار أن طاحونة الحياة الضاغطة هي بحد ذاتها حانة كبيرة تتسع للبشر والطيور والكائنات والأنهار، وتقذف ساكنيها إلى الدُّوار والتشتت

والذهول:

«في أحشائي كأس،
وزجاجات فارغة،
ترميني كل يوم على رصيف».

وفي هذه الحانة الفانتازية عشاق، وصرعَى، شعراء وفنانون، ثوّارٌ رفعوا الراية البيضاء، ومَن هُم على خط النار. وفي الحانة أيضًا:

«مغامرون، وصعاليك،
والسندبادُ الذي لم يطوِ شراعه.
طيرٌ جاءت، ولم تصل،
وطير تلاشت، إلا قليلًا.
في الحانة، طقوس سِرِّية للبكاء،
وعصفور ميت يتأمل المروحة».

هكذا، تصير الكلمات الاعتيادية في تجربة العاصي المراوغة مجرد مفاتيح مرنة تقود إلى قاموسية أخرى أخصب وأوسع وأعمق. وتتجلى في نصوصه الومضية، على وجه الخصوص، هذه النزعة القوية إلى إزاحة المعاني النمطية السائدة والدارجة عن المفردات والعبارات والتركيبات اللغوية، وإكسابها دلالات ومضامين ومفاهيم مغايرة للسياق، خارج الصندوق.

تحت هذه المظلة المدهشة، تنمو براعم الحنظل على غير منوال سابق؛ فيكون النهر هو «عساني أصِلُ عندما لا أصِلُ»، والظلّ «قِفْ مَنّ أنت؟! إنك تشبهني كثيرًا أيها الإنسان!»، والسوق «الأضْواءُ هُنا مصيدةٌ، والبقاءُ للكائنات التي تجيد اقتناص الظلّ». أما المادة الحافظة فهي «الصمت مِلحٌ إلهيّ»، والترهُّل «ذئب متَخَم، أنيابٌ رخوة»، والاستنارة «الفَراشَةُ الثمَّلَةُ، تَعرفُ طريقَها إلى الَجبل»، وفيثاغورس «يتلاشى كل شيء، وتبقى الموسيقا».

الممحو والمسكوت عنه

ويراهن الشاعر دائمًا على قارئ متيقظ الحواس، لديه القدرة على أن يستكمل قراءة الممحوّ والمسكوت عنه في القصيدة، أو لعل هذا القارئ يشارك الشاعر كتابة النصوص في مخيلة التلقي اللماحة.

إنه شاعر حذفت القصيدة من وجدانه كل الحواشي والزوائد، مثلما طهّره الزمن من المشاعر السلبية، فلا يكاد يشبهه إلا صمته، والحُبُّ جعله «وكرًا لطائرٍ خرافيّ».

وهو حين يرسم مَشَاهده السينمائية المصوّرة حتى، يترك للرائي أيضًا حرية استنتاج الكادرات المبتورة كما يروق له:

«الساعة، ما الساعة، على رصيف المحطة؟
على عجلٍ ودّعَتْهُ،
تركتْ له الولاعة، ولم تشرب القهوة».

---

* شاعر وكاتب – مصر.

البحثُ عن وداد.. طرائقٌ من التجريب

■ محمود قنديل*

في روايته المُعَنْوَنة بـ «البحث عن وداد» يعتمد الأديب السعودي العاصي بن فهيد طرائق تجريبية في سرده وصياغته لهذا النص الجميل؛ العابر للتقليدية نحو مساحاتٍ من التجديد والتحديث، ليقدم للذائقة العربية إبداعًا مغايرًا، يستدعي الواقع بما له وما فيه وما عليه، ويمزج بين النثر والشعر والتراث، وهو - في كل ذلك - يعمل على تفكيك البِنى المألوفة للرواية ليصنع بِنيةً مختلفة تتفق وطبيعة السَّرد، وتنسجم مع تشابُك الأحداث.

العاصي بن فهيد ينحى نحو شطرٍ من الواقع المُؤطَّر بالمكان، ويرصد جانبًا من المهمَّشين وغير الأسوياء، ويبرر -فنيًا- بواعث ما آل إليه حالهم، وأسباب ما استقرَّتْ عليه أوضاعهم، لأنه يريد لهم عيشًا طيبًا وحياةً سويَّة.

وللوهلة الأولى يضعنا أمام عنوانٍ مشَوِق، يثير الفضول والتطلع إلى ما ورائه، ويطرح العديد من الأسئلة المشروعة؛ فمَنْ هي «وداد»؟ ومَن الذي يبحث عنها؟ ولماذا يتم البحث عنها؟

وإذا جاز لنا أن نتوقف بعض الوقت قبالة هذا العنوان، فإننا نجد أن اسم «وداد» في عربيتنا الجميلة يشير إلى المحبة، وهو مُكَوَّن من حروفٍ أربعة؛ وكأننا بصدد جهاتٍ أربع (شرق، غرب، شمال، جنوب)، وهو ما يعكس دلالة مكانية لا تخطئها عين قارئ متمرس.

والعنوان يضم كلماتٍ ثلاث، وهذا الرقم - في عِلم الأعداد - يعني الإيجابية والإخلاص، ثم إنَّ عدد حروف العنوان أحد عشر، وهو يحمل

نوعًا من القداسة (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) يوسف: ٤

كما أنه رقم لا يقبل القِسْمَة إلا على نفسه وعلى الرقم (١) فقط، وهو ما يمنحه لونًا من ألوان التَّفَرُّد، هذا الأمر قد يدفع المتلقي إلى إصدارِ حُكْمٍ عاجل بأن شخصية «وداد» لا تشبه إلا نفسها من حيث تعاطيها مع غيرها، وتعاملها مع ذاتها.

ويستهل أديبنا الرواية بمقولة للفيلسوف الألماني «فريدريك نيتشه»: العالمُ بوابةٌ تُفضي إلى صحراواتٍ تمتدُ صامتةً باردةً، من فَقَدَ - ذات مرة - ما فقدتْهُ أنتَ، لا يجد السكينة في أي مكان.

هذا الإرهاص يرى في الفَقْد (ضياع الحُلم) نهايةً لأي راحة، وانتهاءً لكل سعادة. ربما قصد الكاتب أن فقدان «وداد» أو المحبة هو جلبٌ للتعاسة والشقاء، وربما - أيضًا - أصبحت «وداد» حُلمًا أو أملًا - بعيد المنال - لدى شخوص الرواية أو أطياف المجتمع.

تقع الرواية في (١٧) فصلًا على الرغم من أنها من النوع القصير (Novella)، وقد اختار الروائي لكل فصلٍ عنوانًا يُسْهِم - بشكلٍ أو بآخر - في إبراز بعض الدلالات وكشفها (سوكة أبو ذيل، رجلٌ.. وامرأة بلا رأس، شارع الأنبياء، بنت السلطان) وغيرها.

والاحتفاء بالمكان يُعَد شعيرةً فنية هنا؛ فالنص يدور بين مدينتي طنطا والإسكندرية، بشوارعهما وأسواقهما، ومحلاتهما، ويظهر الأبطال - فيه - من الطبقات البسيطة والفقيرة والمهمَّشة، ويباغتنا الكاتب بظهور «وداد» التي انتظرناها بشغف منذ بدايات سطور على لسان الطالب المغترب ربيع سعيد (كانت وداد يافعة مجلوة، ريانة العود، خاشعة الطرف، مشغولة البال، حسبتُ أني سأقنع منها بنظرةٍ والسلام.. وكم كانت قناعتي واهية، حين أعرضتْ عني وملاحةُ الصَّدّ في عينيها نظرة أَرْدَتْ بي في غياهب ذكراها سنين طوالًا). ص١٢

أحيانًا يُعلِن المؤلف عن اسم المتحدث، وأحيانًا يواري الاسم ولا يهتم، وكأنه أراد أن يخبرنا أن كل الشخوص ليسوا سوى شخصٍ واحد من حيث النفسية والمِزاج، وأن الفوارق الفردية بينهم محدودة وغير مؤثرة على الإطلاق، وكلها - أو معظمها - منبثق عن البيئة الشعبية الحاضنة لهم والمؤثرة فيهم.

ثمَّة حالة تمرُّد نبصرها على صفحات الرواية، وهي تمرد الصبي «سوكة» على «معلم الجزارين» وقتله، فقد كان سوكة يعمل عنده بمحل الجزارة، وكان المعلم على علاقة غير شرعية بوالدته «مستكة»، وذات يوم يبصر المعلم الولد «سوكة» بالمحل وهو يأكل كبدة أحد العجول نيئة، فيلطمه على وجهه، لكن سوكة لم يتحمل، ليأخذ السكين ويطعن بها معلمه الذي كان يهابه من قبل.

نعتقد أن قَتْل المعلم ليس بسبب الصفعة على وجه «سوكة»، فقد سبقتها مئات الصفعات عبر سنوات الخدمة الطويلة، ولكن لأن الولد فاض به الكيل لعلاقة الجزار الشبقية بوالدته، وهنا يتبدى ذكاء الكاتب ومراوغته الفنية بسبره لأغوار الولد، ليغادر «سوكة» بعدها - هربًا - إلى الإسكندرية.

ويُصوِّر بن فهيد مشهد القتل بريشة فنان سيريالي (أطبق «سوكة» على الكبدة بكلتا يديه، وأخذ في تمزيقها إربًا بأنيابه، والتهمها.. ثارت ثائرة المعلم، جنَّ جنونه، فلطم سوكة لطمة على رقبته قذفتْ بالكبدة التي كانت تسد فمه). ص٢٤

ويعبّر الكاتب - في النهاية - عن حالة الضيق والمعاناة التي تسيطر على المجتمع المروي من خلال حوارٍ بين «ربيع» وأحد الأشخاص، ليقول ربيع له: ألا تعرف شارع الأنبياء، لقد فاتتني القطار في الوصول إليه بالأمس.

فيرد عليه: نحن في بطن الحوت يا رجل، في بطن الحوت! ص٧١

وكأن واقع البيئة بمساوئها حالت بين قاطنيها وارتقائهم، وأن الأمر يحتاج إلى تنقية نفسٍ أولًا، والسعي إلى التماس أسباب التحضر والتقدم والازدهار.

تحفل الرواية بصورٍ شتَّى تُعَبر عن مأساة اللحظة، وتفاقم التردي، وظلمة النفس (قارتها السمراء عارية، ووسيلتها في درء الخوف من ثقوب الأعوام التالفة) ص٢١

وفي موضعٍ آخر نجد: لا قافلة ماء، ولا هودج حُلم.. بل غراب يحوم فوق رأسي كقاطع طريق. ويمضي بي الطريق دبًّا شبًا راجلًا شاهقًا، هابطًا شارع الأنبياء مسألتي، ووداد مرادي. ص٥٤

لكن «وداد» ذهبت ولم تعُد.

وفي تصوير تعبيري يقول ربيع سعيد: انتبذتُ في المقهى ركنًا قصيًا، وتناولتُ جريدة.. ثلاثة أرباع الصفحة الأولى إعلان فاقع: أحدث جهاز لفرم اللحمة... فقذفتُ الجريدة في الهواء، وهي تقطر دمًا وهربتُ. ص٥٦

وعلى خُطى التجريب يعقد العاصي بن فهيد مصالحةً كبرى بين النثر والشعر داخل نصٍ سردي، لا يُخاصم أيًا من عناصر الفنون الأخرى من غناء وموسيقا وفن تشكيلي، بل ويمزج الواقعي بالسيريالي، والعبثي بالرمزي، بهدف توجيه دعوة إلى متذوقي الآداب والفنون إلى الإيمان بأن الفواصل بين ألوان الأدب والفن وهمية، وأن الحدود بينهم مصطنعة.

إحدى القصائد التي تخللت النَّص وسَمَها الكاتب بـ «السكين»:

غائرة جذوتي في العماء
أرُمتي من نار
أسير بخطىً ثابتة كالعقل
معاركي فاصلة من الوريد إلى الوريد
هُدنتي حُفرة للهواء
بقبقةُ الدَّم تُنْجيني من الخراب. ص١٩

وفي استعانة باللامعقول يقول في قصيدٍ آخر:

أين المعطف الذي كنتُ أرتديه؟
وكم ساعة بتُّ على هذه الراحلة؟
ما زلتُ أشعر بالنعاس
أحفادي صاروا أكبر مني!
ولماذا هَرِموا بسرعة؟!
والصديق الذي زارني بالأمس لم يكبر منذ أن مات! ص٤١

تزيح الرواية الستار عن شخوصٍ حقيقية؛ من دَمٍ ولحم، وليست كدمًى تحركها خيوط، وهي شخوصٌ تبدو منعزلة عن واقعها وواقعيتها، ويعيش كل فردٍ منهم بمعزلٍ عن الآخر، ولم يمنح لهم الكاتب معادًا متسعًا، ولا ميعادًا طويلًا لتبوح بكل خلجات أنفسها، وما يدور حولها من أحداثٍ ونوازلَ وخطوب، ذلك أنها لم تتخذ موقفًا شافيًا مما تواجهه، بل استسلمت للحظاتِ التَّشفي والسقوط.

ويُحسب لأديبنا العاصي بن فهيد موسقة السرد، وشمسنة بقاع الدُّجى داخل أنفس مقفهرة وأعماقٍ حائرة.

وإن طرائق التجريب التي اعتمدها المؤلف تنم عن فهمٍ عميق بفن الرواية العربية؛ نشأتها وتطورها وحداثتها، ثم إن النهاية المفتوحة التي أرادها الكاتب، تُحث القارئ على شجْب كل ما هو سلبي، واستدعاء ما تيسَّر من الإيجابي، كما تدعوه إلى التأمل الطويل بُغية وضع نهاية يراها منسجمة مع النص ومناسبة له.

---

* كاتب - مصر.

الشاعر العاصي بن فهيد:

أهل الخانكة هو نفسه شيخ الصعاليك

والشاعر مشروع سفر وترحال دائم!

الشاعر العاصي بن فهيد هو أحد الأصوات الأدبية العربية الحديثة التي أثرت الساحة الثقافية بأعمال أدبية متفردة في شكلها ومضمونها، يتميز بأسلوبه العميق والجريء الذي يمزج بين الفلسفة والتأملات الحياتية والإنسانية.

أصدر عددًا من المؤلفات الشعرية والروائية منها: «صورة وإناء في المزاد» و«ممرات السنونو» و«نوفيلا» و«البحث عن وداد» و«هيستيا» و«شيخ الصعاليك» أو «أهل الخانكة»، وتميز بقربه من قضايا المهمشين والمجتمع البسيط. وعكست أعماله شغفه بسبر أغوار النفس البشرية وما تحمله من تناقضات.

■ **حاوره: إبراهيم الحميد**

- **لو يقدم العاصي بن فهيد نفسه، وكيف يرى تجربته في الكتابة الشعرية والسردية؟**

■ اسمي عبدالله عبدالرحمن الفهيد من مواليد الدمام ١٩٥٨م. لم أكمل المرحلة الجامعية الأولى في دراسة الفلسفة في مونبليه بفرنسا، إلا حين تصعلكت شعريًا! الآن أرمل، وأعيش مع ساره ابنتي، وقد اضطررت أن أبتعد عن البيت قليلا حرصًا على موعد إجابات الحوار، وقد جلست في مقهى قريب وأنا أكتب لك، وبالي

مشغول بابنتي ساره؛ لأنني أنا الطباخ الماهر لها، والعاصي بن فهيد اسم الشهرة المعروف به أدبيًا!

- **كيف جاءت فكرة إصداركم الأول شيخ الصعاليك؟**

■ يبدو أنني كنت لهوفًا على الشهرة بوقاحة! فنشرت «آخر عربي يقرأ التاريخ»، وتباعًا مجموعة أخرى بعنوان وصايا الهواء» في أوائل الثمانينيات وكانت تجارب «رديئة». أما شيخ الصعاليك فكانت استدعاء لفكرة الاغتراب وحالات التشرد والترحال، وكان بطلها لاجئًا كمبوديًا في مونبليه بفرنسا. وكأن مُصرًا على «اقتسام جسمه في جسوم كثيرة...» بين الطلبة المعوزين على غرار شاعرنا العربي أمير الصعاليك عروة بن الورد، جاءني بعد عودتي إلى الوطن بأعوام، جاءني بجناحيه المكسورتين مهذبًا لطيفًا وهو يعزف الهارمونيكا الموسيقية الأثيرة، فكانت مجموعة شيخ الصعاليك استدعاء لذكراه في خرائط تائهة في الزمن، ولعل شيئًا من الرومانسية لم تحررني «لغتي» منها في التعبير عن عاطفة الإنسان إزاء بؤسه وشقائه بوعيه، وقد التبس العنوان على الناشر بين أهل الخانكة وشيخ الصعاليك في التصديرة الإعلامية، فأهل الخانكة هو نفسه شيخ الصعاليك.

- **بعد سنوات توجهت لكتابة ممرات السنونو؟ هل كانت هنالك أحداث أو تجارب شخصية ألهمتك في صياغة نصوصك؟**

■ الشاعر نتاج بيئته ومجتمعه، كائن ثقافي، ولا أقول مثقفًا بالضرورة، تقاطع في تجربته هويات متعددة؛ الفقد والحنين هو عنوان ذلك التمزق الوجودي الذي يتكرم به الزمن للأنقاض على الامتلاء بمعايشة اللحظة المقتنصة بالأبدية.

ممرات السنونو استجابة» لمنطق الطير «في هجرته نحو المطلق» والتي تعكس تجربته؛ إخفاقاته وآماله في العالم.

ممرات السنونو كان آخر سنونو في سرب الصعاليك هو العاصي بن فهيد، وقد

اختمرت تجاربه وتعتقت في اللحظة التي دار فيها رأسه والتهب فؤاده بعد صلاة الجمعة في جامع سيدي أبو العباس في الإسكندرية، وقد كنت حينئذٍ أنصت إلى مجموعة من الولدان وهم ينشدون أناشيد واحتفالات دينيه، فكانت تجربة عاصفة كدت فيها أن أسافر إلى ملكوت الله بكل حرارة الحب والوله، فكانت ممرات السنونو، وما قصدته من خلال تلك «المناسبة» أن غاية الشوق إلى المطلق أطلقت آخر سنونو-ولكن.. ولكن.. وهذه مأساة الفاني وعيه بنهائيته إزاء اللامتناهي، ذلك المرعب في مطلقيته ومسحتها، وهذا على ما أظن مقصد الشعر وبيته الذي لم ألتق يومًا بقصيدته، فكلما اقتربت من دوحة الشعر احترقت أكثر، فأجفل متواضعًا إلى الاستعمال اليومي للغة.

- **كيف ترى تأثير البيئة والمجتمع على موضوعات الديوان، وبخاصة فيما يتعلق بمشاعر الفقد والحنين؟**

■ اللغة وطن نسكنه ويشكل كينونتنا ووعينا، ويدير سلوكياتنا في العالم، فيكون من جسده إشاراته وعلاماته ورموزه، وكما قال جوته «العالم غابة من الرموز». فاحتشاد الرمز بمحموله قابلًا لتعددية قراءة النص ومربكًا في أنٍ في تمثيله للعالم.

- **هل استخدمت الرمزية كشكل للتعبير عن مشاعر معقدة في ممرات السنونو؟ وكيف ترى دور الرمزية في توصيل رسائل النصوص؟**

■ لا أرى أن اللغة كائن جاهز منجز، فأعقد نص شعري مدهش في بساطته.

اللغة وطن أسكنه لا سلطان لنا عليها، فلا خطة أنهجها في سلوكياتي معها، فهي التي تدير سلوكي؟ العالم رموز لامتناهية، غابة من الرموز كما قال جوته أو أقول: القلب مرآة الكون واللغة مرآة كما تعكس ضوء وجودنا كما تخترع ظلالها السحيقة-الهاوية.

- **كيف تعاملت مع اللغة في الديوان؟ وهل كانت هناك تحديات في المزج بين البساطة والعمق في التعبير عن المشاعر الإنسانية؟**

■ في نظري أن التحدي الذي لا يرحم في الوصول إلى حيث تستحم ملهمات الشعر هي في الرماد الذي تبقى من الشاعر في القصيدة واللغة، وهذه هي البساطة في نظري التي يطلبها الشعر، الإقبال بحفنة من شذا التراب التي يتبدد أريجها في بستان الشعر، البساطة هي المعاناة التي تنتزعها القصيدة من أحشاء الشاعر.

- **ما الرسالة التي كنت ترغب في إيصالها للقارئ من خلال هذه النصوص، وهل تعتقد أنها وصلت بشكل كامل؟**

■ إلى القارئ العزيز: ليست لي أي رسالة محددة لك في نص شعري سوى رغبتي في مشاركتك لي الصمت وإنجاز البقاء من خلال الفن، ولا أظن أن للشعر رسالة مشاعة للنهب، فما يزال بالنسبة لي فن غامض..

- **في ديوان «هيستيا»، ما الذي حرك الأساطير فيكم، هل كانت لديكم رؤية خاصة حول**

العلاقة بين اللغة الشعرية والسرد الأدبي؟ وكيف أثّرت هذه الرؤية على أسلوب الكتاب؟

أميل إلى «الدراما» في النصوص الشعرية والموسيقى وفي كل أشكال التعبير الفني، فهي تتيح لي رؤية وتأملات من زوايا متعددة، فكان ديوان «هيستيا» توسلًا لتلك الأسطورة وإسقاطًا لمكانتها المقدسة في رعاية المنزل والموقد، وبركة الألفة إسقاط لكل تلك المعاني على فقدي لها. ولكني لا أراه تطورًا نوعيًا في مسيرتي الأدبية.

- **في «صورة وإناء في المزاد» علاقة الصورة بجميع أبعادها السيميائية والنفس، فكانت الصورة تمثيلًا مريبًا لمضمونها، هذا إذا كان هناك حقًا تضمينًا لروحانية معينة في الصورة فخورة، وإناء في المزاد شغلني فيها تلك العلاقة القلقة بالأمكنة وترحالك من خلال الإناء «فتيشية» مغرمة!**

■ الشاعر هو مشروع سفر وترحال دائم وربما في المكان نفسه ومسافة خطوة واحدة، ولم أتلق إلا تعليقًا واحدًا على ديوان «هيستيا» يقول (إنها أسوء رواية قرأتها في حياتي) بحسب اطلاعي. أما ديوان ممرات السنونو فقد لقي احتفاءً كبيرًا ومشاركةً وترحيبًا في الأوساط الأدبية وخصوصًا بعد إذاعته من أكبر وكالة أنباء «رويترز»، ولاحقًا بدراسة نقدية فاحصة للدكتور ابراهيم الحجري، رحمه الله، في مجلة الجوبه..

- **يعبر «هيستيا» عن مواضيع تمس الروح الإنسانية. كيف اخترت الموضوعات، وما الذي جعلك تركز على مفاهيم الحنين والانكسار؟**

هو فرق في درجة الضوء وإبهاره بين نهار متدفّق بضيائة وساعة رحيله. «أعني الفرق في تناول النصوص بين ممرات السنونو وهيستيا».

- **كيف أثّرت كتاباتك السابقة وتجربتك في الشعر على أسلوبك في هيستيا، وهل تعدّه تطوراً في مسيرتك الأدبية؟**

كل ما أحاوله الآن هو الانسحاب بسلام من صخب التفاهات، ربما كل ما عدا صوت البحر، غدا صخب مزعج.

- **أصدرت رواية بعنوان «صورة وإناء في المزاد»، ما الذي كنت تود أن توصله ولم يوصله الشعر؟**

■ من خلال تلك الرموز الأسطورية كنت أعبّر عن الشعور بفكرة القيمة في الشيء وأنه ليس كل شيء معد للاستعمال الاستهلاكي قد يكون إناء وقد يكون منزلًا.. الخ، بحث عن القيمة في خضم السوق وتمرد على النظرة الانتشائية الاستهلاكية للحب والجنس.

- **كيف تنظر إلى الأدب العربي الحديث؟ وما هي المواضيع التي تجدها قريبة لقلبك وترغب في التعبير عنها في أعمالك؟**

■ لا أملُّ من قراءة أبي حيان التوحيدي.. وعمومًا أعتقد أن الأدب العربي لديه من المناعة والقدرة على تجديد نفسه..

أستظل في دوحة الشعر وأتشاجر وأأنس بأرباب الشعر والشعراء وهم كثر، هوميروس أوفيد الذي أستأذنه في كل رحلة أن يصطحبني معه، كما أستأنس برفقة طرفة ولبيد إلى بودلير وهولدرلين، الرواية

العربية بخير وألف خير، الشعراء الشباب هم من تنتظرهم اللغة العربية بشوق للاعتناء واللطف بها، أود أن أذكر أيضًا أن من الشعراء الذين أتمنى اللقاء معهم في ليالي الشتاء والصيف شعراء «النبط» محمد القاضي وابن لعبون.

- **من هم الشعراء والكتاب الذين ألهموك؟ وكيف تركوا بصماتهم في أسلوبك الأدبي؟**

■ تأثرت ب ريلكه ونيرفال وبودلير وبورخيس، كما تأثرت بشعر الصعاليك وشعر طرفة ولبيد بن ربيعة الذي أُجله، وربما كانت لنصوص الشعر غير العربي وتثاقفه مع ذائقتي العربية أثر في ميلي للاختزال والإقلال من الطربية في السماع والمبالغة في سخاء العواطف.

- **ما النصيحة التي تقدمها للشعراء الشباب الذين يرغبون في الانطلاق في مسيرتهم الأدبية؟**

■ أقول للشباب من إخوتي وأبنائي من الشعراء والأدباء فيما يتعلق ب الشعر: سافر كثيرًا.. طويلًا.. ولا تتوقف عن الترحال، ولو كانت رحلتك في مسافة ذرة رمل، وأكفر بالشهرة، خلاصك فيما تبحث عنه في الشعر، وتذكر «مقولة «ابن عربي» كل شوق يسكن باللقاء لا يعوّل عليه: واقرأ أيقونة الشعر العربي أبو الطيب المتنبي بروح تضامنية، ولكن بحذرٍ شديد، وعش مجهولًا ما استطعت، وأخيرًا نصيحتي إليك أيها الشاعر الشاب، لا تستمع إلى أي نصيحة مني لأنها ستؤدي بك إلى «ستين داهية»!

- **هل يمكن شرح الجوانب المختلفة من تجربتكم الشعرية لتقريبها لقراء مجلة الجوبة لفهم هذه التجربة، والى أين وصلت بكم؟**

■ هل تريد ان تعرف إلى ما وصلت بي تجربتي الشعرية، سأخبرك: فقد وصلت بي إلى الجحيم والتعرف على أصدقاء هم أنس غيابي، وصلت بي تجربتي الشعرية إلى وعيي بمأساة وجودي ومظاهر الفقر والبؤس في العالم، والحمد لله على كل حال.

- **في رواية «البحث عن وداد»، تقدم حكاية شاعرية تتمحور حول حياة شاب عربي مغترب في القاهرة، مستعرضًا تجربته، وأحداث حياته اليومية، وتجربة الاغتراب التي يعيشها، كيف تتقاطع الرواية مع تجربتكم الشخصية؟**

■ في الحقيقة، إن لكل منا وداده أو كما قلت في ديوان هيستيا، لكل منا جزيرته المفقودة، ولكن لا أدري من أين جاء عرض رواية البحث عن وداد في التعريف بها أنها حكاية طالب عربي مغترب الخ، ولعل من عرض التعريف بها لمجرد أن اسمي عربي، وأشك أنه قرأها، فهي ليست مذكرات شخصية تخصني، عدا ذلك إنها كانت تجري في مخيلتي، متقاطعة مع تجارب في إطار مصري او متمصر من ربيع سعيد إلى مولاي سيدي مرزوق... الخ.

- **قدّمت مجلة الجوبة قراءات نقدية في العددين ٥٤ و٥٥ بعنوان «الشاعر السعودي العاصي بن فهيد في ديوانه ممرات السنونو: لغة شعرية تلبس لبوس التحول والانزياح مغمورة بالمعاني المتجددة» كيف وجدتم ذلك وهل أنصفكم النقد؟**

■ قدم الدكتور إبراهيم الحجري، رحمه الله، إضاءة دلالية رائعة ونقدًا متفحصًا، ولا أنسى نقد الدكتورة هويدا صالح ذلك النقد التقويمي البنّاء لرواية «صورة وإناء في المزاد» من خلال مجلة الجوبة الرائدة في تراث شمالنا الغالي.

وأود من خلالكم أخي الكريم أن أشكر الدكتورة هويدا، اما الدكتور إبراهيم الحجري، رحمه الله، فكان أستاذًا في دراسته للنص، وكان لتقديمه البنّاء أثر في نفسي واعتزاز وأمل بالنقد الأدبي العربي، ولا أنسى هنا الناقد الشاعر الشاب حامد بن عقيل وملاحظاته الرشيقة في استطلاع رأيه فيما أكتب.

- **كيف تنظرون إلى وسائل التواصل الاجتماعي والقراءة والكتاب الورقي؟**

■ أظن أن وسائل التواصل الاجتماعي في طريقها لتغيير إحساس الإنسان بالزمن، بل غيرته بالفعل، وأنا أنظر إليها بتوجس، وأحيانا بأسى وشعور بالتمرد على اقتحام الخصوصية بادعائية شفافية مزعومة، والموضوع المهم في نظري الآن بما يخص وسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من تطبيقات العلم هو تلك العلاقة بينه وبين الأخلاق «فضاء القيم» وقراءتها إنسانيا.

- **أين أنتم الأن؟ كيف تجد برنامجك اليومي واشتغالك على العمل الإبداعي وما مشاريعكم القادمة؟**

■ لا أخفيك أني أشعر أحياناً بجوهر صقيل في أعماقي، وحينا آخر ينتابني شعور ساحق بأني صرصار، فأنا كائن فاشل في إنقاذ الآخرين، فاشل في الزواج، فاشل في الحب، في الدراسة، يمكنني القول بأني فاشل في كل شيء، وقد أسعدني وعيي بمساحات جهلي، فلم أعد مباليًا بما يدّعونه إثبات وجودي أو تحقيق النجاح، وقد أسعدتني بلاهتي بشكل لا تتصوره! معركتي الحالية هي في تضميد جراح وعيي بمأساة الوجود، والانسحاب من صخب السوقية.

أحمد بن عيسى الهلالي:

نحنُ مُحاطونَ بالشعر من كل الجهات، في الأغاني والمناسبات الاجتماعية والفعاليات الثقافية، وأثناء التدريس في الجامعة..!

«أنا مولع بالشعر منذ نعومة أظافري، وكتبته منذ المرحلة الثانوية متأثرا بقصائد الشاعر الكبير خلف بن هذال العتيبي إبان حرب الخليج، ولم أجد رعاية لموهبتي آنذاك؛ لأن الألوان الشعرية والذائقة في البيئة التي نشأت فيها بعيدة عن شعر النظم العامي، لكن ربما صقلتها مشاركاتي المتنوعة بين العامي والفصيح في فترة المنتديات الأدبية الإلكترونية، وما أزال أحاول صقلها رغم انشغالي بالعمل الأكاديمي والثقافي.

وعلى صعيد الرواية، كانت سدرة المنتهى نتاجي اليتيم الذي لم أستطع تجاوزه، ولا أعلم هل هي قناعة أم رهبة أم انشغال عن الركض الطويل، أم إهمال، وفي الخاطر رغبة لاقتحام آخر لعوالم السرد الشاسعة».

ببراعة يقطف لنا الدكتور أحمد بن عيسى الهلالي عناوين من مسيرته في فضاء الكلمة الإبداعية، دون مرواغة أو خدش! إنه الإيمان بالذات، الإيمان الذي يمهّد للمبدع الكثير من المغامرات والتميز..

■ **حاوره: عمر بوقاسم**

ليس لها وجهة خاصة..!

- **حظيت الساحة الثقافية والإبداعية بعدد من الإصدارات المتميزة التي قدمها د. أحمد الهلالي بين النقد والشعر والرواية؛ إذ أصدرت عن نادي الطائف عام ٢٠١٣م، (الغراب في الشعر الجاهلي) دراسة، وفي العام نفسه أصدرت ديوانك الشعري (رفيف رئة) عن نادي الباحة الأدبي. وفي عام ٢٠١٥م أصدرت عدة أعمال؛ الديوان الشعري (أرق الظلال)، وروايتك (سدرة المنتهى). ودراسة بعنوان (الأندية الأدبية، النشأة والطور، والأثر في تشكيل الوعي). وفي عام ٢٠١٦م، أصدرت (النور والظلام في الشعر السعودي). هل نحظى ببوح خاص منك تجاه هذه التجربة الثرية؟**

■ تجربتي النقدية كتجارب كثيرة في الوطن، ليس لها وجهة خاصة، أو مشروع نقدي خاص، وربما كانت مرحلة الدراسات العليا، والعمل الأكاديمي محرّضة على البحث والدراسات النقدية، أما التجربة الإبداعية فأنا مولع بالشعر منذ نعومة أظافري، وكتبته منذ المرحلة الثانوية متأثرا بقصائد الشاعر الكبير خلف بن هذال العتيبي إبان حرب الخليج، ولم أجد رعاية لموهبتي آنذاك؛ لأن الألوان الشعرية والذائقة في البيئة التي نشأت فيها بعيدة عن شعر النظم العامي، لكن ربما صقلتها مشاركاتي المتنوعة بين العامي والفصيح في فترة المنتديات الأدبية الإلكترونية، وما أزال أحاول صقلها رغم انشغالي بالعمل الأكاديمي والعمل الثقافي.

وعلى صعيد الرواية، كانت سدرة المنتهى نتاجي اليتيم الذي لم أستطع تجاوزه، ولا أعلم هل هي قناعة أم رهبة أم انشغال عن الركض الطويل، أم إهمال، وفي الخاطر رغبة لاقتحام آخر لعوالم السرد الشاسعة.

هكذا استمر ركضي..!

- **ينشأ المبدع في بيئة بدون شك تكون سببًا غير مباشر في تنمية موهبته، ومن يتعرف على سيرة د. أحمد الهلالي، أستاذ الأدب والبلاغة بجامعة الطائف، يلمس خصوصية سيرتك.**

ولدت في حالة عمار بمنطقة تبوك، ثم أكملت دراستك الابتدائية والمتوسطة والثانوية في فضاءات مختلفة، وحصلت على درجة البكالوريوس من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، والماجستير من جامعة الطائف، والدكتوراة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهناك محطة مهمة في سيرتك وهي التحاقك بالقطاع العسكري، وكثير من المحطات المهمة، هل لنا بقراءة خاصة لسيرتك؟

■ هذه المسيرة الطويلة كانت مضنية، أخذت مني الكثير، ومحطات متلاحقة لم تمنحني متنفسًا، ولعل توفيقي الأول فيها -بعد توفيق الله- جاء بفضل دعاء والديّ يرحمهما الله، وصبر أسرتي على مشاغلي المتواترة، والأيادي البيضاء التي مدّها الخيرون لشاب يرونه طموحا.

وحين أقول مسيرة مضنية فإني لا أتذكر أنني حظيت بأوقات استجمام تعلق بالذاكرة، فقد كان الركض مستمرًا والمضمار ممتدًا، فلا أجتاز عقبة إلا ظهرت أختها؛ وهكذا استمر ركضي، لكن النشوة التي أشعر بها بعد تغلبي على كل عقبة كانت تنسيني تعب مغالبتها، وتمنحني وقودًا خاصًا لمغالبة العقبة التالية.

كعادة أبناء القرى، تزوجت مبكرًا، وكان والدي، يرحمه الله، حريصًا على إكمالي المرحلة الثانوية، لكن قدّر الله أن يؤثر فيّ عمي، يحفظه الله، فانتسبت جنديا في شرطة جدة. ثم قررت إكمال المرحلة الثانوية بنظام الدراسة الليلية، وبعد حصولي عليها انتظمت في جامعة الملك عبدالعزيز، وكنت أعمل ليلا حتى الصباح، وأبدل ملابسي العسكرية في فناء الجامعة الساعة السابعة صباحا قبل حضور الطلاب، حتى تخرجت في الجامعة عام ٢٠٠٠م، وكان طموحي أن ألتحق بدورة الضباط في كلية الملك فهد الأمنية، لكن هذا النظام أوقف بأمر ملكي عام ١٩٩٩م، فالتحقت بمدارس الأبناء بوزارة الدفاع عام ٢٠٠١م، وعينت في حفر الباطن، وبعد عامين نقلت إلى الطائف، وانشغلت برعاية والدتي بسبب مرضها، يرحمها الله.

كان طموح الدراسات العليا يراودني باستمرار، ولم أجتز اختبار القبول في جامعة أم القرى، عام ٢٠٠٥م، وبعد وفاة والدتي انشغلت برعاية إخوتي وأخواتي في بيتي، ففتح الله بابًا في جامعة الطائف عام ٢٠٠٨م، ووفقني الله للالتحاق بأول برنامج ماجستير في الجامعة، وكانت أوقات الدراسة في الفترة المسائية بعد خروجي من المدرسة مباشرة، وفور إتمام البرنامج التحقت بمرحلة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فكانت فترة شاقة جدًا لبعد المسافة.

بتوفيق الله انتقلت من وظيفتي في التعليم العام إلى وظيفة محاضر في قسم اللغة العربية بجامعة الطائف عام

٢٠١٥م، قبل إتمام برنامج الدكتوراه، وما أزال أعمل في الجامعة.

تجارب ملونة بواقع المبدع..!

- **في عام٢٠٢٢م، وضمن البرنامج المصاحب لمعرض جدة للكتاب عقدت ندوة بعنوان (قراءة في تجربة الشاعر محمد العلي)، شاركت فيها رفقة الشاعر محمد الحرز، والأستاذ حسين بافقيه، ود. حسين مدن. أذكر أنك أرجعت سبب قلة إنتاج العلي الشعري بارتباطه بالحالة الانفعالية، وتحدثت عن تجربته الشعرية؛ فما الخصائص التي تشترط توافرها في الشاعر حتى يكون مخلصًا أو يعزز إنتاجه الشعري بمساحة تجربته الشعرية؟**

■ الشعر من بين الفنون القولية موهبة أصيلة ترتبط بملكة خاصة، والاشتراطات على الشاعر تخرج كتابة الشعر من انفعاليته الحقيقية بفعل المؤثرات إلى القصدية، وفي رأيي أنه حين تنشأ مسافة بين الشعر واللاشعور، يتدنى الصوت الشعري.

حين نتأمل التجارب الشعرية المؤثرة سابقًا أو في عصرنا الحديث نجدها تجارب ملونة بواقع المبدع، فإن كان مهموما بقضية معينة مثل المتنبي بأناه، أو درويش بقضية فلسطين، أو محمد الثبيتي بمشروعه التحديثي، أو محمد العلي بقضايا الوعي، فإن تجاربهم حتى وإن كانت موجهة قصديًا، فهي قصدية نابعة من الذات.

وعلى النقيض هناك شعراء لا يرتبطون بقضية محورية، لكنهم يستجيبون للمؤثرات المختلفة، فقد أثْرَوا الساحة الإبداعية بتجاربهم الشعرية المميزة، فلا اشتراطات على الشاعر في رأيي، أما قضية الكثرة وغزارة الإنتاج، فهي ليست علامة فارقة، فهناك شعراء أنتجوا عشرات الدواوين لكنهم ظلوا مغمورين، ومثلهم شعراء قليلو الإنتاج أثرت تجاربهم المشهد الشعري، وأثّرت فيه.

بالنسبة لمحمد العلي، فليس قليل الإنتاج، لكن نتاجه لم يُجمع كما ينبغي، وكانت ملحوظتي حول (قلة الشعر العاطفي) في تجربته المطبوعة، التي أتأول أنها ناشئة من عدم اهتمامه بجمع ما يتعلق بذاته، لطغيان اهتمامه بمشروعه الفكري الهادف إلى إيقاظ الوعي الجمعي العربي وتوجيهه.

مع والده عيسى الهلالي في حفل بحصوله على درجة الدكتوراه

دور الأندية الأدبية

- **ما تقييمك لدور الأندية الأدبية بالمملكة ثقافيًا وأدبيا، في بدايتها وحتى الآن، وبخاصة ونحن نشهد الكثير من المتغيرات التي تعمقت في الفضاء الإعلامي.. في وسائله وأدواره؟**

تقييمي لدور الأندية الأدبية ربما تكون شهادتي مجروحة لكنني أعني ما أقول حين أقول إنها لعبت دورًا عظيمًا رغم الأدوات المحدودة التي تمتلكها، وقدمت منجزًا ثقافيًا مشرفًا بشهادة الكثيرين داخل المملكة وخارجها، ما يزال هذا المنجز موردًا للمهتمين من المثقفين والباحثين، وما تزال هذه المؤسسات تبذل جهودًا مميزة ومقدّرة، رغم قلق الحالة الانتقالية الحالية، ولا غنى عن وجودها في مشهدنا الثقافي.

جادة ومثرية..!

- **من ضمن ما يميز فضاء الشاعر أحمد الهلالي، حضوره في الكثير من الأمسيات الشعرية، ومشاركاته في الفعاليات الثقافية محليًا وعربيا، والعضويات في اللجان الثقافية.. وهذا ما يدعوني أن أسألك، ما الذي يميز الساحة الثقافية السعودية عن غيرها؟**

- حضور الأديب والأكاديمي والمثقف في المشهد الثقافي واجب أدبي، فما بالك حين يكون المشهد جاذبًا وفعالًا كما هو الحال في بلادنا؛ فالفعاليات الثقافية جادة ومثرية، والتسهيلات التي تقدمها المؤسسات للحضور والتفاعل مميزة؛ تشعرك بأن صانع الثقافة ينظر إلى الأثر الإيجابي الذي تحدثه هذه التظاهرات، وهو أثر ممتد يتمظهر في أشكال مختلفة، منها المبادرات والتوصيات والشراكات، ومنها الإثراء الحقيقي للمتلقين، ومنها تجويد النتاج الإبداعي والنقدي، من خلال الملاحظة والمداولة والمراجعات، فساحتنا الثقافية مميزة بثرائها الكبير باحتكاك المثقفين السعوديين بالمشاركين من داخل المملكة وخارجها.

أقل كلفة من الورقي..!

- **تطورت طرائق النشر في عصرنا الحديث، برأيك ما مدى منافسة الكتاب الإلكتروني للكتاب الورقي؟**

- أنا من أنصار الكتاب الإلكتروني لاعتبارات عديدة؛ فهو أسهل في التداول، وأسرع في الوصول والاقتناء، وأقل كلفة، ولا يأخذ حيزًا في التخزين؛ ومع أنني أسست مكتبة عامرة بالكثير من المراجع، إلا إنني أبحث عن الكتاب الإلكتروني وأرجع له أكثر من الكتب الورقية حتى لو كانت أمامي؛ ولا تعصب في الأمر، فالكتاب الورقي موجود، والإلكتروني أيضا، وكلها تؤدي الغرض، لكن مع تمدد الثورة الرقمية نشاهد انكماشًا تدريجيًا للورقي، ولا محالة؛ سيصل إلى ما وصلت إليه الصحف الورقية.

صحوت أترنم بمطلع قصيدة..!

- **لا موعد لكتابة القصيدة، فهي تفاجئ الشاعر بحيث يجد نفسه محاصرًا بها من كل الجهات فيكتبها؛ كيف تكتب قصيدتك، وهل تلتزم بطقس معين أثناء الكتابة؟**

■ نعم، لا موعد لكتابة القصيدة. فمنذ مدة لم أكتب شعرا، لكني صحوت أترنم بمطلع قصيدة، دونته قبل أن أنهض من فراشي في ملاحظات الجوال:

غام الكلام عليه واشتبكا
فتفرّس المحراب ثم بكى

ألقى السلام ولم تكن أذنٌ
تصغي إلى التسليم فارتبكا

ينمو الفراغ الآن في مدن
كانت تضج عيونها ضحكا

والحقيقة لا طقوس عندي لكتابة الشعر، ولا أؤمن بهذا، وأراها مجرد تفضيلات نفسية، فأنا مثلا أبتعد عن الصخب، وعن الأصوات المنغمة سواء أكانت أغاني أو أناشيد، وأغلق هاتفي حتى أسترسل في الكتابة.

نحن محاطون بالشعر..!

- **النقد، الشعر، الرواية، هاجسك الأول..؟**

لكل منها مكانته الخاصة، وكلها تلحّ عليّ حسب المثير، لكن الشعر يظل هاجسي الأول دائمًا في التلقي ورغبة الكتابة، فنحن محاطون بالشعر من كل الجهات،

الشاعر أحمد الهلالي في أمسية شعرية

في الأغاني والمناسبات الاجتماعية والفعاليات الثقافية، وأثناء التدريس في الجامعة، والحقيقة الأهم: ليتني أستطيع أن أكتب كما أرجو.

لا غنى لنا عن الترجمة..!

- **هناك من يتحفظ على ترجمة الشعر من لغة لأخرى، بداعي أن الشعر يفقد أهم خصائصه الروحية، وقد يضعف المعنى؛ كشاعر، ماذا تقول؟**

■ نعم، أتفق مع هذا التوجه، فنقل الشعر من لغة إلى أخرى يؤثر في الشعر؛ فإما أن ينقصه، وإما أن يكون المترجم مبدعًا فيزيد عليه، وأنا أرى أن النص المترجم نصٌ جديد متأثر بالنص الأصلي، لكن لا غنى لنا عن الترجمة، فهي جسر عبور وقنطرة بين الثقافات، وفي الشعر المترجم جمال ومتعة حتى وإن لم تبلغ قراءة النص بلغته الأم، لكنها أفضل من العدم.

تفاعل الناس غالبا لا يكون مجاملة..!

- **برأيك ما أثر وسائل التواصل الاجتماعي على صوت المبدع على مستوى التميز والإنتاج...؟**

■ وسائل التواصل اليوم هي أشبه بالمجالس الكبيرة التي كان يتحلق فيها الناس ويتحدثون في شؤونهم، وبالطبع لكل مجلس طابعه واهتمامه؛ وعلى صعيد الإبداع الأدبي فقد أثرتنا مواقع التواصل الاجتماعي، وقربت منا كل شيء، فنقرأ للمبدعين والنقاد مباشرة عبر حساباتهم، ونحاورهم، ونتلقى ما قالوه أو كتبوه عبر الوسائط الإعلامية الأخرى؛ ويجد المبدع تفاعلا حقيقيا.

فمن المقاييس النقدية الحديثة التي أراها أن مواقع التواصل تعطي المبدع حكمًا أوليًا على نتاجه، فتفاعل الناس غالبًا لا يكون مجاملة، فأنا على سبيل المثال حين أكتب نصًا شعريا، فإني أحرص على استقراء هذا التفاعل، وأثق بنتائجه نسبيا، فحين أضع جزءًا من النص وأجد تفاعلا كبيرًا، أثق بأن النص مناسب، وحين أجد ضعف التفاعل أعلم أن النص لم يحقق المأمول ويستحق مراجعة أكثر.

لم أقرأ بعضها إلى اليوم..!

- **ما الكتب التي تحرص على اقتنائها عند زيارتك لمعارض الكتاب..؟**

■ لم أعد أقتني كتبًا إلا ما أنا بحاجة فعلية

أثناء تكريم سمو الأمير خالد الفيصل لسكرتارية وأعضاء لجان تحكيم جائزة الأمير عبدالله الفيصل للشعر العربي

إليه؛ فأنا مشغول من جهة بقراءة الكتب والأبحاث والرسائل العلمية لتحكيمها أو لأغراض البحث العلمي. أما من جهة أخرى، فلأنني وجدت نفسي أقل من نصف قارئ، وقد اقتنيت الكثير من الكتب ولم أقرأ بعضها إلى اليوم، فوصلت إلى قناعة «من العبث أن تقتني كتبًا أخرى وأنت لم تقرأ ما اقتنيت سابقا»، كما أنّ لديّ إهداءات كثيرة من الأصدقاء وحَسَن الظن بي، وما أزال أحاول أن أجد الوقت لقراءتها.

كسر حاجز الرهبة..!

- **هل لنا موعد مع جديدك؟**

■ حين يأتي الوقت المناسب، فأنا حاليًا أعدّ ديوانًا شعريا، إضافة إلى جمع المعلومات اللازمة والتهيئة النفسية لكسر حاجز الرهبة دون كتابة رواية جديدة.

طموحُ القِصَّة القصيرة

■ ستيفن ميلهاوزر*
■ ترجمة: خلف سرحان القرشي**

يا للقصة القصيرة - كم هي متواضعة! كم هي وديعة في خطوها! إنّها تقبع هناك بهدوء، مطرقة بعينيها، وكأنها لا تريد أن يلحظها أحد. وإذا ما أرادت أن تجذب انتباهك بطريقة ما، فإنها تقول بسرعة، وبصوت شجاع، مكتنز بإنكار الذات حد فقدان الأمل: «أنا لست رواية، كما تعلم. ولا حتى قصيرة، إذا كان ذلك ما تبحث عنه، فأنا لست بغيتك».

من النادر أن يهيمن شكل أدبي على آخر بهذا الشكل. ونحن نتفهم ذلك، غير أننا نغض الطرف بعلم عن الحقيقة المرة المتمثلة بأنه هنا؛ في أمريكا، تُقاس القوة بالحجم. الرواية هي الـ (وول مارت)- Wal-Mart، هي العملاق العظيم، هي الطائرة النفاثة (الجامبو).

الرواية جشعة لا تعرف الشبع - إنها تطمح إلى ابتلاع العالم بأسره.

فما الذي يتبقى للقصة القصيرة؟

يمكنها أن تهتم بحديقتها الصغيرة، تمارس التأمل، تسقي زهور (الجيرانيوم) على حافة نافذتها، وليس ثمة ما يمنعها من أن تأخذ ورشة عمل في الكتابة الإبداعية!

يمكنها أن تفعل ما تشاء، ما دام أنها تعرف مكانها - وطالما أنها تبقى صامتة، ولا تتدخل في عالم الرواية.

«ها أنا قادمة!» تصرخ الرواية، بينما القصة القصيرة تنحني لتتوارى، باحثة عن مأوى.

الرواية تستحوذ على الأراضي، تقتلع الأشجار، تبني المجمعات السكنية.

بينما القصة القصيرة تولي دبرها

باتجاه المَرْجِ علَّها تجد ملاذا آمنًا تحت السياج.

بالرغم من كل هذا، ثمة فضائل تُنسب للصغر، حتى الرواية، بكل عنفوانها، لا تجرؤ على إنكارها؛ الأشياء الكبيرة غالبًا ما تكون ثقيلة، بطيئة، وغير دقيقة؛ بينما الصغر هو عالم الأناقة والرقة. كما أنّه أيضًا عالم الكمال.

الرواية، بطبيعتها، تسعى لأن تحتوي كلَّ شيء؛ لكنها تصطدم بحقيقة أن العالم لا يمكن احتواؤه؛ ولذلك، فإن الرواية، بتطلعاتها الجامحة، تظل دائمًا عاجزة عن تحقيق رغبتها.

أما القصة القصيرة، فهي على النقيض من ذلك، انتقائية بطبيعتها؛ فمن خلال استبعادها كل ما هو غير ضروري، فهي تمنح شكلًا مثاليًا لما يتبقى؛ وبذلك، من حقِّها القول بأن لديها ذلك النوع من الكمال الذي يفلت من قبضة الرواية – لأنها، بعد ذلك الاستبعاد الحاد، تضم كل ما بقي بتمامه.

عندما تتذكر الرواية القصة القصيرة، تتصنع الذوق في حديثها عنها:

«أنتِ مذهلة»، تقول الرواية، واضعة يدها الكبيرة الخشنة على قلبها.

«حقًا. أنتِ جميلة جدًا –رشيقة جدًا–»

رشيقة! أنيقة! ذكية أيضًا..! بالكاد تستطيع الرواية كبح اندفاعها؛ ولكن، في أعماقها، تحتقر الرواية القصة القصيرة التي تقنع بالقليل.

الرواية تريد العالم بأسره.. تريد السيطرة. أما الكمال؟ –من وجهة نظرها– فهو عزاء أولئك الذين لا يملكون شيئًا آخر!

هكذا، تبدو القصة القصيرة متواضعة في طموحاتها، فخورة بخجل بفضائلها الصغيرة، قلقة من ظل منافستها الجريئة، لكنها تكتفي بالجلوس ومراقبة الرواية وهي تتصدى للعالم الكبير.

ومع ذلك... هل يمكن أن يكون هذا التواضع مفرطًا؟

وهل تلك النظرات الخاطفة – تخفي دهاءً من نوع ما؟

وهل تجرؤ القصة القصيرة على أن تكون لها طموحاتها الخاصة؟

إذا كان الأمر كذلك، فإنها لن تعلن عن طموحاتها أبدًا، لأنها تعلّمت أن تخفيها، مدفوعة بغريزة قويّةٍ لحماية ذاتها، وبعادة موغلة منذ زمن طاعنٍ في القدم تولدت من القمع.

في عالم تهيمن فيه الروايات الصاخبة، تعلّمت القصة القصيرة أن تمضي بحذر، بخطوات صغيرة لكنها ثابتة.

علينا أن نتلمّس سرَّها..!

أتخيل القصة القصيرة تخفي أمنية، وتهمس للرواية قائلة:

«يمكنكِ أن تأخذي كلَّ شيء –نعم.. كلّ شيء– لكن دعيني أحتفظ بحبة رمل واحدة»!

الرواية، بلا مبالاة، تهز كتفيها، وتمنحها تلك الأمنية.

لكن تلك الحبة الصغيرة هي مفتاح القصة القصيرة، هي خلاصها!

أستلهم هنا من كلمات (ويليام بليك)*** قوله: «... رؤية العالم في حبَّة رمل».

فكر في الأمر: العالم بأسره في حبة رمل؛ بمعنى أن كل جزء صغير من العالم، مهما بدا تافهًا، يحتوي الكون بأسره!

في تلك الحبة الصغيرة يكمن الشاطئ الذي يحتويها.

وفي الحبة ذاتها ثمةَّ المحيط الذي يضرب الشاطئ، السفينة التي تبحر عبر المحيط، الشمس التي تتألق وهي تسطع على السفينة، الرياح الكونية، ملعقة شاي صغيرة في قلب ولاية (كانساس)، وأخيرًا.. بنية الكون بأسره.

هنا يكمن طموح القصة القصيرة؛ ذلك الطموح العميق الذي يخفيه تواضعها الظاهري:

أن تجسّد العالم بأسره.

القصة القصيرة تؤمن بالتحوّل.. تؤمن بالقوى الخفية.

أما الرواية، فتفضّل الوضوح والبساطة.

ليس لديها صبر لحبات الرمل الصغيرة التي قد تلمع؛ لكنها تحتاج إلى عين حذقة لرؤيتها.

الرواية تريد أن تضم العالم كله دفعة واحدة، لكنها تفشل دائمًا، لأن العالم أوسع من أي رواية، كما أنّه دائمًا يهرب منها.

أمَّا القصة القصيرة، فهي تسلط تركيزها الكامل على حبة الرمل، مؤمنة بأن الكون كله يكمن هناك، في راحة يدها!

إنها تسعى لمعرفة تلك الحبة، كما يسعى العاشق لمعرفة وجه حبيبته.

القصّة القصيرة تبحث عن اللحظة التي تكشف فيها حبة الرمل تلك عن طبيعتها الحقيقية، ففي تلك اللحظة؛ وحين ينبثق الكون من أعماق تلك الحبة الصغيرة، تشعر القصة القصيرة بقوتها، وتصبح أكبر من ذاتها؛ إنّها -والحالة هذه- الكون بأسره.

وهكذا، وهنا.. يكمن سر القصة القصيرة، في طموحها الخفي، وعدوانها المبطّن؛ فصغرها هو مصدر قوتها.

إنها ترى ثقل الرواية وضخامتها شيئًا هشًّا جديرًا بالسخرية.

القصة القصيرة لا تعتذر عن شيء.

إنها تحتفي بصغرها، وتتمنى أن تكون أقصر.

أن تكون كلمة واحدة.

وإذا ما استطاعت أن تجد تلك الكلمة، وأن تنطق ذلك المقطع، فإن الكون بأسره سيشتعل ويضيء بصوت هادر.

هذا هو طموح القصة القصيرة الجريء.

هذا هو إيمانها العميق.

وهذا مجد صغرها.

---

* (وول مارت) Wal-Mart: هي شركة أمريكية متعددة الجنسيات للبيع بالتجزئة، تدير سلسلة من محلات السوبر ماركت الكبيرة ومتاجر البقالات، أكبر شركة في العالم من حيث الإيرادات، حيث تزيد عن الخمس مائة مليار دولار أمريكي. (المترجم).

** مترجم وأديب سعودي.

***(ويليام بليك): William Blake شاعر إنكليزي ورسام صحف. توفي عام ١٨٢٧م، يعد أول شاعر رومانتيكي في إنجلترا خلال حياته، ولنصف قرنٍ بعد وفاته، كانت أعماله تُعد غير ذات أهمية، وأحيانًا كانت تُحتقَر بوصفها أعمال مجنون، لكنها اليوم تُعد علاماتٍ فارقة في الشعر والفنون البصرية للعصر الرومانتيكي. نقلا عن (ويكيبيديا). (المترجم).

عصبونات

■ صباح حمزة فارسي*

«أوف منك يا أمي، هم يلاحقونني حتى في منامي، وضعوا سريري تحت العديد من الأسرة، كلهم يعلون عليّ؛ أشعر بأنني مخنوق.. أصرخ فأشعر بأحدهم يحشر وسادة في فمي، أحاول الفرار، أصرخ وأسمع صوتي مكتومًا، أقاوم فأصحو والريش يتطاير حولي، أسمع سعالي وأنا مختنق، أفتح عيني يغمرني الريش في الغرفة».

صرخ بكلماته في وجهها، نظرتَ إلي رجلًا في مقتبل العمر، تحوم التجاعيد حول عينيه، جعلتهما تبدوان عميقتين ذابلتين، بينما تجاعيد جبهته غير المتناسقة جعلته يبدو أكبر من عمره بكثير، كأنما تعدى الخمسين وهو لم يبلغ الأربعين بعد، أطلق لحيته دون ترتيب، غزا النذير الأبيض رأسه، تركت ملابسه دونما اهتمام، تمسك يداه المهتزتان بعودِ ثقاب مشتعل، يشعل السيجارة بعد عدة محاولات ويرمي بالعود خارج منفضة السجائر فتطفئه أمه بيدها، يضع السيجارة بين شفتيه، يأخذ نفسًا طويلًا، يكمل قصته المتغيرة:

«لقد تزوجتُ منذ كنت في الثالثة عشرة، عقدَ لي جدي عقد القران، لم أدفع مهرًا، بل سورة الفاتحة وآية الكرسي.

هل تذكرين؟! كنا في بيتنا القديم، بيت الطين وعروستي جميلة كانت تسكن في آخر الحيّ، تحضر جميلة فيحضر معها الفرح والمطر...».

ينظر في الخواء ويبتسم، يدخن كعادته بشراهة، يعب من التبغ طويلًا ثم ينفث في الهواء مجددًا، يكح ويكح، ثم يكمل السيجارة.

نظر حوله، لم يأبه أحد إخوته لصوته المرتفع، مشغولون بمتابعة التلفاز وأغنية عبدالوهاب:

(يا وابور قل لي رايح على فين
يا وابور قل لي وسافرت منين
يا وابور قل لي)

أكمل قصته عن أولاده، يسمي أربعة ذكور، ويواصل: «ربيتهم، أكملوا تعليمهم، والآن لا أراهم بقربي، يحرمونني منهم، لماذا يبعدون زوجتي عني ويحرموني منها ومن أولادي؟ بل حتى أموالي التي كسبتها من عرقي تتكرونها عليّ! لن أسامحكم، لن أغفر لكم».

يذهب لغرفته، يقضي فيها دقائق معدودة، يتوضأ للمرة الثالثة دون أن يصلي، يعود قائلًا:

«قبل أيام كنت على هذه الشاشة، هل سمعتم ما قيل عني في التلفاز بعد اللقاء؟!».

تنظر أخته الصغرى ببلاهة واستغراب، تصمت، تنظر لوالدتها، يكمل مقولته:

«لو رأيتِ كيف طفت علامات الإعجاب بي من المذيع والمصورين حينها»، تنبسط أساريره.

– لا بد من أن تنام الآن، يبدو أنك لم تحظ بقسطٍ وافر من النوم.

– تعرفين أنني لا أستطيع النوم طويلًا، تلك الأصوات لا تتركني، أصوات كثيرة تنعق في مسمعي، تقض مضجعي، وذلك الطفل يبكي ويبكي وأمه لا تسكته، كل مرة أحاول النوم استيقظ على صراخه، ربما يكون جائعًا، أطعموه بالله عليكم أطعموه..

ينظر لأخته..

– قد يكون ابنك أو ابني الأصغر، أيًا كان فصُوته يتلف أعصابي..

يهدأ، هكذا فجأة دون مقدمات، يُخرج من جيبه بعض الحلوى، يوزعها عليهم جميعًا، ثم يجلس، يشرب فنجان قهوته المُرّة من كوب كبير، يسند رأسه إلى الجدار، يكمل حديثه مع أمه:

– هل تذكرين يوم أتيت لبيتي، كنت من أسعد الناس حينها، ذبحتُ لك شاة سمينة، أعرف أنك تحبين كتفها، صببتُ لك اللبن بنفسي، دعوت لي يومها بعد أن عطرت كفيك بماء الورد، دعوت لي فهبطت دعواتك كالماء البارد على قلبي، لماذا لم تعودي تدعين لي سوى أن يشفيني الله!

يسترسل: بعد قليل سوف تأتي زوجتي وأولادي، هم الآن...

تتنهد أمه، تكتم بكاءها، ولكن ليس طويلًا، يسمع أنينها، تبكي بصوت مرتفع، يراها، يركضُ إليها كطفل حانٍ، يقبّل يديها، جبينها، ينحني على قدميها، لا تبكي، سوف أنام وأشرب الدواء، لكن لا تبكي، يرسم ابتسامة لا تشبهه، يذهب لغرفته وهو يغني:

عمال تجري قِبلي وبحري
تنزل وادي تطلع كوبري

حود مرة وبعدين دغري
ما تقول يا وابور رايح على فين

---

* قاصة سعودية.

ندوبٌ

■ رجاء عبدالحكيم*

أضخ في قلبي ريح الحياة حتى لا أنهار، تتلفت عيناي حولي بلا هدى، يغرقني الخجل من تلك الكدمات الفائرة في وجهي، ورائحة بولي الذي يغرق ملابسي بلا إرادةٍ مني، تلك الرائحة رغم أني أبدّل ملابسي، إلا أنها تلازمني وتخنق أنفاسي، يبصر المشوّهون في مِرآةٍ واحدة، لذلك يتقاربون ويتعانقون حد البكاء. لقد بدا لنا رغم الصمت المشوب بالحذر أننا أبرمنا اتفاقًا ما.. كانت الندبات الداكنة تحت أعيننا شِبه المتورمة هي الخيط السحري الذي جذبنا معًا؛ في البداية ارتجفت أصابعنا وهي تبذل محاولاتِها لكي تواري ما برزَ هناك، ولكن المحاولات التي بُذِلت باءت بالفشل، وجَدنا أنفسنا نغرق في الضحك.

كانت قد اعترفت لي أنها لم تكن ضعيفة أبـدًا، وأن تلك الـنـدوب هي نتيجة لمعاركَ طاحنةٍ تدخلها مع أخيها الكبير الـذي يـأتـي ليضربها لأبسط الأسباب، قالت باسمة «ولكني لا أتركه يضربني، فأنا أصنع في وجهه علامات وندوبًا أكثر مما يُلحِق بي». كم بدت لي شجاعة، لذلك أحببتها، أمّا أنا فماذا أقـول لها، وأنـا لا أستطيع أن أقـاوم الأذى؟ لأن ما يفعل بي ذلـك هو أبي الذي يهزمه العالم فينفّس غضبه في وجـهـي، لقد كـانـت أوفـرَ حظًا مني، كان هذا النهج يبدو ملائمًا لها، وكان الاعـتـزاز بنفسها يحملها إلـى منازلة شخصٍ أقـوى منها بكثير، وتتبع ذلك أن وجهها كان مزروعًا بالندوب الداكنة، ولـم يخلص إليها مـن هـذا كله سوى شعورٍ بالرضا، وقد كانت تؤمن أن تلك الندوب تجعلها أكثر جمالًا، وقد كنت أشـك دومًـا أن أخاها هو ما فعل بها

ما فعل، وأن سيارة ربما تكون قد صدمتها، أو سقط عليها جدار؛ فقد بدت لي عظام وجهِها مشوهةً تمامًا، تتحاور الندوب هكذا، إنه لأمرٌ غير مألوف، وكونه سطحيًا وغائرًا، فكنا نستجيب لثرثرتها؛ وهكذا وجدنا أنفسنا نسير بجوار بعضنا بعضًا، كما لو كنا نتجاذب ونلتصق بقوة الجاذبية، وهكذا سِرنا معًا تحت الأشجار المتشابكة، وصوتُ الطيور يخيفنا لبعض الوقت، يوهمنا أن هناك مَن يراقبنا فنتعثر في ظِلّينا في غفلةٍ، نقترح التوقف ربما لنبدأ الاعتراف والتخفف من تلك الأثقال، نبدأ التطهر من شرور العالم دون جهدٍ أو عناء، وكأننا التقينا قبلُ مِن ملايين السنين، مَسحنا الكون بنظراتنا القلقة بينما شمس الغروب تلقي بظلها الأصفر الباهت على وجوهنا، لم يكن فى المكان غيرنا، أنا وهي، والأشجار المتعانقة، وصوت الطيور التي بدت لنا أنها تتقاتل، كنا نسير على مهل، لم نكن نتعجّل شيئًا، كما لو كان العالم قد نفض يدَه مِنا أو اكتسبنا نحن تلك اللامبالاة، وتخيلت متاعبي أحجارًا، وأخذت أقذفها بقدمي، ولأنه لم تكن ثمّة أحجار هنا ضحكنا معًا، كنا قد تركنا المدرسة وراءنا وما يزال صوت الطلبة وصياحهم يملأ رؤوسنا؛ فقد كنا نلتفت فى حذرٍ إلى الوراء، واجتزنا الشمس الغاربة، واجتزنا الظلام الذى خلّفه مغيب الشمس، وتوقّفنا هنيهة قبْل أن نفترق، مسحنا ندوبنا برفق، وقد بدأنا في الابتسام ثم في الضحك.. وحين تجاوزتها أخذت أردّد: يا لنا مِن بَطلَيْن!

* كاتبة – مصر.

لا تغرق

■ سمر الزعبي*

بينما كنت أجلسُ إلى مكتبي الأثير، ظهر لي شخصان من العدم، لم أتعرّف إليهما مباشَرةً، رغمَ أنّهما كانا مادّةً لنصٍّ عابرٍ ذات فكرة، إنّما بدا أنّهما يعرفانني جيّدًا، تجلّى لي ذلك حينما طلبا أن يكونا بطلَي حكايةٍ ما من حكاياتي. وبتأثيرِ مُبهَمٍ منهما، خُيِّلَ إليّ أنّ المكتبَ بلا قوائمَ، أو أنّ سطحَه من ماء! وكأنّي أجلس في العدم!

ضبطتُ انفعالاتي على غير العادة، وجاريت حديثهما الذي يغشاه الملل، فما الجديد في شخوص الحكاياتِ حينما يتجسّدون على أرض الواقع؟ بل إنّي غفلتُ عن كونهما ليسا جزءاً من عالَمي بعدُ، يطلبان ذلك في مناكَفةٍ واضحةٍ بينهما، وحينما قدّم الشّابّ الوسيم حجّته، كان أكثر إقناعًا.

قام من موضعه بتوتّرٍ واضح، وكان يشدّ ربطةَ عنقه ويرخيها، ثمّ جلس على مقعد مقابِل وهو يسرُدُ أحداثًا ومواقفَ اضطرّتهُ فيها الحبيبة إلى مُعايشتها، مواقفَ كسرت قلبه وجرحت كبرياءَه، ثمّ أسهب في الحديث عن استغلالها له وهو يقاوم دموعَه، كأنّها قُيِّضَتْ لقتله، بينما لم تعترف بأخطائها، وأصرّت على أنّها لا تُعدُّ تلك التّصرّفات استغلالًا.

إنّها -في الحقيقةِ- مستبِدّة، مستفزّة واستغلاليّة بدهاءٍ رفيع الطّراز، لكنّه لم يستطع أن يبتعد، وكان يعود إليها مهما فعل.

قالَ لي إنّ أغلب الرّجال في نصوصي الرّومانسيّة قُساة، وهذا ما يحتاجه وحسب، وإنّ بعضًا منهم قد خسروا حبًّا حقيقيًّا، ولم تكن لديهم

إرادةٌ لمواجَهة التّيّار، أو كانوا أضعفَ من أن يُقدِموا على خوض مغامَرة، أو تقديم تضحية، فأتلفت الحماقةُ قلوبَهم، وصيّرتهم آلاتٍ عاملة تدفع عجلةَ الحياة. هذا الصّنف الذي لم يحبِّذ أن يكون منه، إذ يريدُ أن تبادلَه الحبيبة شعورًا صادقًا فقط.

ما الذي انتابني؟ أراني أستمتع بحديثه! أيروقني هذا الشّابّ متوسّط القامة، بهيّ الطّلّة، ذو البشرة الصّافيّة الجذّابة؟ تأمّلتُ أصابعَه، كأنّها لعازف «بيانو»، فقلت أجعله كذلك، ثمّ طربت لترنّم بحّة صوته، فأضمرتُ أن أجعل منه مطربًا كي تموتَ حبيبتُه غيظًا من معجباته، بينما لا يهتمّ بحضورها، ثمّ نالت عضلاتُه المفتولةُ إعجابي ففكّرت في أن أجعله مقاتلًا، وأبهرني عندما أراني إحدى حركاته الهوائيّة، حتّى اكتشفتُ أنّي وقعت في الفخّ.

أجلستُه جواري، أخذ يُملي عليّ لأصوغ تفاصيلَ علاقتهما كما ينبغي وأحيلها حياةً حقيقيّة على ورق، حتّى كدتُ أنسى أمرَ وجود حبيبته بعد أن قيّدها وأغلق فمها، فحلّ هدوء انتظرتُه منذ أن بدأت تشاغب وتحاول منعَنا الكتابة.

كانت مُجريات جلساتنا لطيفةً، كتَبْنا، رقصنا، ضحكنا، ووجدتني أماطل في الكتابة كي أحظى بوقتٍ أطولَ معه، وكنت أتأفّف حينًا، وأدّعي الضّجَر، فيروّح عنّي، ثمّ يدعوني إلى العشاء خارج المنزل، أتظاهر بالتّعب في حينٍ آخَر، وأغفو على كتفه، فيحملني البطلُ المُنتظَر إلى فراشي، بينما تفترسني نظراتُها.

دُقّ ناقوسُ الهوى، فاقترحتُ عليه أن يجعلني بطلةَ حكايته، وعندما سألني بحيرةٍ عنها، أجبته أن يتجاهلَها، وكفى، لكنّ جرحَه كان طريًّا، ولم يستطع أن يتخطّاه، وقد غلبتْه رغبته في الانتقام. تملّكتني الغيرةُ أمام تمسّكه بفكرة خوض تجربة جديدة معها، حتّى لو كانت ثأرًا لمشاعره، ربّما لأنّي أجيد ترجمة عيون المحبِّين، وكانت عيناه تهيمان عند ذكر اسمها، وقلبه يخفق حماسةً. وَشوَشني الحبرُ على وجه الورق: أن انتهى.

يحقّ لي أن أنتقم وأعيد صياغة الحكاية خلسةً، وهو نائم، فأُبقيها كما هي، حبيبته القاسية، الباردة، المستفزّة، المستبدّة، والمستغلّة بدهاءٍ رفيع الطّراز. لقد فعلتُها، وحينما استيقظ وجد نفسَه حبيسَ الأوراق، وهي تتدلّل عليه، فيمشي من تلقاء نفسه خلف سحرها أسيرَ وجعه، لكنّ قليلَها يُرضيه. أمّا حينما تحطّ أجنحةُ اللّيل على أكتاف المدينة، فأسمع أنينَه وشهقات دمعه، حتّى إنّه حاول مرارًا أن يرفع رأسه من الورق، كي يغادرَه، فيصيرُ وجهه كمَن يحاول السّباحة خارج الماء، هكذا فهمتُ كيف أضحى سطحُ مكتبي من ماء، وفهمت كيف صار هو حرفًا تحت الماء ولا يغرق، يتلقّفه من الجهات كلّها، وهو ينصّب وجهه وعينيه إلى الأعلى، يشهق باسمي، فيبتلع الماء، أبادل انكسارَه نظرةَ كبرياءٍ، ثمّ أغلق الكتاب.

---

* قاصة – الأردن.

أشياءُ ستحدُث في الماضي!

■ هشام بن الشاوي*

«بعضهم يهبطون، يصعد آخرون السلم ذاته ولا يتبادلون التحية»

(يانيس ريتسوس)

١ - نكاية في النسيان القاسي

في غياهب النسيان، يتهجى تفاصيل العالم الذي نسيه، كما يحدث مع كل الموتى عادة، يتذكر أن انتصاره الوحيد في الحياة كان إحصاء خسائره. في الحلم، لن يحتاج إلى لحظة شرود ذهني، ليلملم شظايا موت يتكرر دومًا، وفي آخر رمق، يخدش دمه إسفلت منعطف حسير، شاحب الإنارة، ولا ينسى أن الشارع الخلفي الصغير، الذي يبدأ وينتهي بمنعطفين قصيرين، كان يحتاج إلى أن يعبره بحواس يقظة؛ لكن قد يحدث أن تمزق صمت الليل رنة قصيرة تعلن وصول إشعار ما، وبلهفة، يمد يده إلى جيبه، ويتخيل الزقاق خطأ هندسيًا يتربص بروحه كقط لئيم، يترقب لحظة سهو، وسيشاهد -في أقل من ثانية- شريط حياته، وهي تمرق بسرعة، كما لو أن أحدهم قام بتسريع حركة تدفّق الصور.

وفي الحلم، لن يعرف إن كانت الصور ذكريات المستقبل أو أشياء كانت ستحدث في الماضي!

ابتسم الشاب شارد الذهن دومًا، وهو يتذكر توبيخه لنفسه في زمن كورونا، حين داهم الجميع الخوف من الموت: «لا يمكن أن أموت الآن، لماذا وكيف يمكن أن أموت، وهذه العصافير من يرعاها؟»، ويتذكر أن صديقه

الوحيد مات، وترك اليتم يتسلل إلى قلب ابنة صغيرة وروحه.

ثم اقتحم الجار العجوز حلمه؛ وفي الحلم لا مكان للتذكر ولا للنسيان. رأى العجوز فاقد الوعي يشاهد شريط حياته -لآخر مرة- في غيبوبته الطويلة، بعد أن غادر الحياة بالفعل.

٢- الحياة خطأ قديم

في ضباب تلك الغيبوبة، وقد فقد العجوز الوعي بالزمن والوجود، يقفان على حافّة حلم، حيث يعيشان زمنًا بلا ماض ولا مستقبل، كأنه حاضر أبدي؛ ومثلما يسأل السجناء الوافد الجديد عن سبب الحبس، سأله العجوز بفضول: «كيف كان موتك؟». يستغرب الشاب، الذي سيترنح فوق سلم الألمنيوم -في آخر حلمه- أن يستقبله جاره بملامح مشرقة، وهو يهجو الحياة التي نعيشها بشكل خاطئ، أو نأتي إليها عن طريق الخطأ!

- دعنا من الفلسفة، نحن نعيش زمنا آخر؛ زمن مطلق لا يحتاج إلى اللايقينيات، ولن نحارب طواحين الهواء -هنا- مرة أخرى.

- أنت تستغرب أن نصير أصدقاء هنا، ومن قبل، لم نكن نتبادل حتى التحية. بعض العلاقات يغتالها اللقاء المباشر..

- هل تعرف أنني تسللت إلى حلمك، قبل أن تفتح عينيك؟

– أنا أيضا، عشت الحلم نفسه. هناك فارق زمني بين حلمي وحلمك، لكننا سنلتقي في حلم محايد، يلهو فوق سلم الحياة، حين تتحدث الممرضة..

يصمت العجوز، يتوغّل الشاب في نفق أعماقه، يلتقيان في حلم آخر، يستعيد الشاب قدرته الخارقة على قراءة ما يدور في رؤوس الآخرين، ويصغي إلى حواراتهم الداخلية، ويحدث هذا في الحلم فقط.

برشاقة، يقفز الشاب إلى نهر غيبوبة جاره، ليعيش اللحظات الأخيرة من حياة رجل عجوز سيكتشف أن الحياة مجرد خطأ قديم في آخر لحظة، وفي اللحظة نفسها، سيرى الشاب موته القادم، وهو يترنّح فوق قاعدة السلم العلوية البلاستيكية، التي نسي أن يثبتها بإحكام، وهو يحدق في القط، الذي يتربص بعصفوره دوما، وسيسخر من حلمه الملطخ بخوف قديم من ذلك الزقاق، لازمه أعواما، منذ وفاة قريبه في حادث مروري مروع، وكلما عَبَرَهُ همس لنفسه: «حتما ستكون نهايتي هنا».

٣ - سقط سهوًا

ستجعل لحظة سهو عابر القفص يتراقص بين يديه. ستندفع مشاعر البغض تجاه المعزين والقط، بعدما سيختل توازن السلم، وهو يلمح الرجال القابعين في خيمة العزاء المقابلة له يتابعونه بفضول، والقط اللئيم يقترب من السلم. سينسى أنه فوق السلم، سيرفع ساقه، كما اعتاد أن يفعل، وسيتخيل أن الرجل الذي سيفتح عينيه لآخر مرة، سيفكر في أشياء كان يمكن أن تحدث في الماضي، تصحح أخطاء حياته، وهو يسمع الممرضة تطمئن أقارب جاره بأنه يفتح عينيه من حين لآخر، ثم يعود إلى غيبوبته.

سيتذكر الشاب أن جاره العجوز عاش أسبوعًا منفصلا عن هذا العالم، مثلما عاش طوال حياته منعزلا عن الآخرين. ومن رقدته على السرير الأبيض، جاءه صوت أجش من خارج الغرفة (لم يستطع معرفة صاحبه ولم يشغل باله به)، سيتحدث الرجل الكهل بنبرة سخط فصيح عن طائر العوسق، الذي شن غارة على غرفة الطيور في غيابه، لأنه ترك الكوّة مفتوحةً، بعدما سمع أذان العصر، ثم سيكبح الكهل ذي الصوت الأجش جماح عفويته، حتى لا يتحول إلى أضحوكة، وسيترك الجملة تنهمر في داخله: «ربما، حدث هذا بسبب الشتائم اليومية، التي أصبها على تاركي الصلاة من الجيران».

وفي الحلم المتراقص فوق السلم، سيسمعه الشاب يسخر من مطاردة العجوز لعصفور الكناري، الذي أهداه صاحب الصوت الأجش إلى ابن الجار، فقفز من شباك الغرفة إلى سطح المنور، الذي حوله إلى مطبخ بالطابق السفلي، وهوت به القطع الزجاجية الأربع، التي تسرق بعض الضوء للشقة السفلى، فأصيب بكسر في الرقبة وأسفل الظهر، ونزيف داخلي في الرأس، وسينفجر الشاب ضحكًا، والرجل الطاعن

في طيبة لا تتلاءم وصوته الأجش لم يعرف لماذا انقبضت ملامح وجوه أقارب المريض، وهو يروي حكاية العصفور الذي هرب، بعدما استعاره من صديق؛ فأفلت من يده وهو يحاول نقله إلى قفص آخر، ومن المنور، بقي يحدق في نافذة الطابق الثاني في بيت الجيران، بيد أن كبرياءه منعه من أن يطرق بابهم، وكان من السهل أن يقبض عليه، بعد إغلاق النوافذ، فهو يعرف أن طيور الكناري لا تستطيع التحليق طويلا، بعد أن أنهكت أجنحتها سبعة قرون من الأسر، وأصر صاحبه ألا يأخذ ثمن العصفور الهارب، لكنه دسَّ المال في جيبه.

٤ - أقل من نصف دولار

سيسمع الشاب -الذي يتلصص على دواخل الآخرين في أحلامه- الرجل الممدد على السرير الأبيض يردد بنبرة ندم في ذلك الضباب البعيد: «لماذا لم تأت أيها الطائر النذل، لكي تنتشل أشلاء فنائي من براثن ميتة بشعة؛ كان بالإمكان أن تغير طريق ملاك الموت أو تؤجل قدومه، بدل هذه النهاية الكوميدية، التي لا تليق برجل عاش حياة متجهمة؟».

سيفكر الشاب أن الحياة تشبه سلمًا هرميًا، نصعد من هنا وننزل من هناك، سيلتفت إلى خيمة العزاء، وهو يحمل القفص بحرص، ليعلقه في مكانٍ عال في متجره. ستضايقه نظرات المعزين، سيبصق بلا صوت ولا لعاب، وسيواسي نفسه بأنه ليس مسؤولًا عن موت أي أحد، ولا يهمه أن يذكرهم بمأساة قريبهم، وجاره. شيء واحد يشغل باله؛ إذا سقط القفص سيطير العصفور الهجين، وتذكّر كيف غمره بحنان فاحش، مذ كان جنينا. كان يمسك البيضة الوحيدة المخصبة بأصابع مدربة في الظلام، يسلط عليها ضوء مصباح الهاتف المحمول، ويبتهج عند رؤية خيوط الدم المتشابكة تتحرك، وتكبر يومًا بعد يوم.

وهو يصعد آخر درجة، سيخبره جاره الخمسيني -الطاعن في الطفولة، والحانق مثله على حكومة المتسلقين والمتملقين- بأن البرلماني، الذي رقص على أرواح شهداء الفيضانات قد صار وزيرا، يرد عليه حامل القفص بأن كل ما في جيبه، لا يتعدى نصف دولار، ولا يفكر في أي شيء حاليا، سوى في مخالب الحياة، وينفجر الكهل ضحكا.

بغصة سيتساءل: «من سيرعى البغل بعد موتي؟»، وقبل أن يتهاوى السلم، ستبدو له الحياة مجرد لحظة، أقصر من رمشة عين، وستمسح تلك اللحظة -بقسوة- صباحات سنوات، كان يرى فيها جاره العجوز يكنس رصيف بيته، دون أن يتبادلا التحية في غبش الفجر، وهما على شفير ضباب شاسع، لم يخبره بأن الكهل الطيب التفت في صباح اليوم التالي ناحية خيمة العزاء، فوجئ بأبنائه وأقاربه يتبادلون الابتسامات، وهم ينظرون إلى هواتفهم المحمولة، ولم يعرف لماذا أحسَّ بوخزة في قلبه..

---

* كاتب - المغرب.

حرمانٌ

■ عبدالكريم النملة*

أهي الصدفة، أم القدر، أم أنّ حاجتها الملحّة صاغت هذه اللحظات النادرة، في محل التصوير تحمل بعض مستندات، الشاب يعمل في خدمة آخرين سبقوها، وضعت مرفقيها على فاترينة زجاجية وأخذت تجيل بصرها في اللوحات المعلّقة على الحائط أمامها؛ صورة أطفال في بهجة عيد، وصورة رجل يسير في الصحراء تغوص قدماه في الرمال؛ وجمت فجأة أمام صورة امرأة في منتصف العمر، امرأة تكاد تعرفها، امرأة تشبه قريباتها، كان وجه المرأة حميمًا قريبًا ونظراتها أمومية حانية، صورة تطرق القلب.. توقظه وتحرث الذاكرة، لملمت مشاعرها كأنّها تعبر زمنًا، وركّزتها مجتمعة على صورة المرأة، أبصرت الشاب لا زال مشغولًا بعمله، التقطت مستنداتها وخرجت.

آمنت أن السعادة ليست إلا لمعات برق خاطف أضاء بعض أيّامها على عجل، ومضت تحمل عناء وثقل كلمات رسبت في قاع نفْسها، كلما رنّحتها الرغبة في افتضاض مكنونات صدرها ونثر ما رسب في نفسها وأخلدها إلى الأرض. لم تجد من تصبّ عنائها في صدره، الآن صحبتها صورة المرأة التي تشبه أحدًا تعرفه، بل تولّد عندها اقتناع صامت أنّ صورة المرأة لا تشبه قريباتها بل تشبهها، وربما كانت أمّها، أليسا في مدينة واحدة وصغيرة!

في الغد وحين استضحى النهار،

حملت أوراقها ومستنداتها وذهبت إلى محل التصوير. بدا وجه الشاب أليفًا، هو لا يزال مشغولًا، اطمأنت وتمنّت أن يطول اشتغاله، قلبها مبلّلٌ بالأمل، مدّت نظرها نحو الصورة لتتأكد من حدسها، نعم بكثير تأمّل رأت أنّها تشبهها تمامًا.

يلحظ الشاب وقوفها وانتظارها، تتعلّق نظراته بعينيها الخادرتين بصمت وقور، يقترب منها ويتناول مستنداتها، مختلسًا النظر إليها كل لحظة، شاع الوجوم في وجهها ولم تلتفت لنظراته، لفته أنّها تنظر إلى الصورة المعلّقة، سألته بصوت مرتعش هل هي للبيع، أومأ بالرفض وبدأ يكمل عمله في تصوير أوراقها.

ستضعها في غرفة نومها، ستبثّها تباريح نفْسها، ستتلو عليها صحائف الأحزان ومثالب الأيّام، وستتخلّص من عناء الكلمات الراسبة في صدرها، ستحكي لها طويلًا وكثيرًا، وستُفرغ داخلها لتبدأ حياتها مرّة أخرى، عاد الشاب، وقف يتأمّلها ويعود لينظر إلى صورة المرأة، انبجست من عينيه نثار نظرات مضطربة، قال لها تشبهك، شعرت فجأة برغبة في البكاء، كفكفت عبرتها وقالت بصوت متخاذل: نعم، هي أمّي، لذا طلبت منك أن تبيعني الصورة!

ابتسم الشاب مقلّبًا نظره بين الصورة ووجه الفتاة، ضحك واتسع شدقاه وسالت ابتسامة جميلة على محياه، برقت عيناه وقال: ولكنّها صورة أمّي!

شملتها هزّة دهشة وفرح وحزن معًا، همس في ذهنها بكلمة تلتئمهما تحت الصورة، شعور بالغبطة سرى في ملامحها.. ففعلت وفعل..

* قاص سعودي.

مُستطلِعًا صباحي..!

■ عمر بوقاسم*

البيتُ الذي أسكنه الآن،
انتقلت إليه، قبل عامين، تقريبا..
ومنذ انتقالي لهذا البيت الذي أسكنه الآن،
صباحاتي، أبدأها، غالبا، ما أقف لدقائق بعد أن أخطو خطوتين أمام باب البيت،
نعم، أقف بعد أن أخطو خطوتين،
وبالتحديد بالقرب من آخر البلاطات، البلاطة المكسورة،
التي تجاور مجرى ماء خاص لشجرة ريحان يعتني بها رجل جنوبي،
وهو جار للبيت الذي أسكنه،
الجنوبيون يعشقون الأشجار،
يعشقون الأشجار بجنون،
أيضا، أصدقائي الجنوبيون، الشعراء، يعشقون الأشجار بجنون،
تحدثت معه كثيرًا، ولكن لم أسأله عن اسمه،
وهو أيضا لم يسألني عن اسمي..
حتى أطفاله أجدهم أحيانًا يجلسون بالقرب من شجرة الريحان،
وفي أعينهم فخر بأن شجرة الريحان تنتمي لبيتهم، فقط، لبيتهم دون سواه..
أقف، مستطلعا صباحي..
نصف ظلي يسقط في مجرى الماء الخاص بشجرة الريحان،
إذًا، الساعة السابعة..!
طبعا، ليس لدي الفراسة لقراءة الظل لمعرفة الوقت..!
ولكن الوقت المعلن في هاتفي يكون السابعة صباحا،
حينها يكون نصف ظلي ساقط في مجرى الماء الخاص بشجرة الريحان..
.....
علبة فارغة يركلها رجل يمشي مسرعًا حتى لا تؤخره لدقيقة أو أقل من دقيقة عن دوامه،
وجوه القطط يبدو عليها الامتعاض، بعد أن أجبرها أصحاب السيارات على النزول من أسطح سياراتهم،
ثلاثة أطفال إخوة يصعدون باص المدرسة يتسابقون على المقاعد الخالية ويختفون،
ليس لديهم حماسة أطفال الأفلام وهم يصعدون باص المدرسة،
أطفال الأفلام يتسابقون على نوافذ الباص،
يتسابقون حتى مع الطريق والحمام والسحاب إلى المدرسة،
وهناك من يحمل ملابسه لمغسلة الملابس لكيها،
خطواته توحي بأنه «روبوت»..!

وآخر يترك أثرًا لعبوره بسلام،
وآخر بابتسامة ناعسة،
وآخر يعبر بتكشيرة روتينية وليست قرارًا،
وهناك مَن يطلق بوق سياراته كعادة أو أنه يريد أن يتأكد أن العالم يراه..!
.....
أتنبه أن ظلي قد سقط كاملًا في مجرى الماء الخاص بشجرة الريحان،
إذًا، عليّ إنقاذ ظلي من الغرق المؤقت..! وأن أبدأ رحلتي الصباحية وأكمل
استطلاعي الصباحي.. إلى... إلى.. إلى.. أن أصل إلى المقهى،
قليلون من يصلون، صباحا، إلى المقهى،
من يصل إلى المقهى، حتمًا، أكمل استطلاعه الصباحي..!
قليلون من يصلون، صباحًا، إلى المقهى،
سأكون وحيدا، على طاولة،
سأكون أكثر حزمًا، ولن يكون هناك مجال ُللدقائق أن تتبخر،
سيكون لي وقت للحديث إلى نفسي،
إلى ملء الفراغ،
إلى عبث،
إلى حب،
إلى كره،
إلى حزن،
.....
.. رجل على مشارف الستين،
ولكن لم تهجرني الطيور، نعم، لم تهجرني الطيور،
إلى أين..؟!
ولماذا تهجرني..؟!
لن تستطيع العيش خارجي، حين أفترض نفسي مدينتها، نعم، أنا مدينتها،
لديّ الناس، والهواء، والجبال، والأشجار، والنوافذ، والصباح، والمساء،
والهذيان..، وأيضا، لديّ سماء،
وأشياء لا تحصى،
بكيت عندما ماتت شقيقتي، نعم، رجل على مشارف الستين، يبكي..!
بكيت كثيرا..،
لو هجرتني الطيور، حتمًا، ما كنت بكيت..،
وما كنت أبدأ صباحي، وأنا أقف بعد أن أخطو خطوتين أمام باب البيت،
بالقرب من البلاطة المكسورة،
التي تجاور مجرى الماء الخاص لشجرة الريحان..!
رجل على مشارف الستين، أنا، ولكن لست مهجورًا، نعم، لست مهجورًا..!

---

* كاتب وشاعر سعودي.

بين ليلين

▪ نوره عبيري*

بين ليلين
وصباح واحد
يشقُ غسق هذه الأسئلة
وحدك يا شعرُ أنا فيك لست بمبهمة
شربت مني ومعي أقداح العذابات المُتمهلة
حتى ترنم خيط هذا الشفق
أموتُ عاشقة وإن متُ
شرف لي
أموت يا شعرُ فيك مُغرمة
تغرسُ كفك تتخلل بالحبرِ أضلعي
فيقطرُ مني الهوى متمتمةً
أنثى شغف فجرها
يتثاءبُ منه فتيل المساءات المؤجلة
وهذا الهوى جالسٌ لدلال المحبرة
تتكئ على جسدي من العطر أزمنة
واتكئ لليقين امرأةً لكل قافيةً ممكنة
شاعرةً يرتديني الراءُ ضحكةً بالغناء ملونةً
تلتحفُ صبحي الوقارُ وتكبيرات الطهرِ
من قلبي مؤذنةً
في كل ساحات البقاء أنا
قُبلتي باليقين مُعلنةً
تطوف حولي كل حكايات الهوى
أبوابه في وجه ريح الغياب
مؤصدةً
في جدائل قصيدتي
جنة شوق
ونار مؤصدة
لي فجر الذي يمدُ شفق النافذةِ نحوي
ليشقَ من بين شفتيّ
غسق في صباح واحد
قافيةً للقصيدةِ
بين ليلين
مؤبدة

---

* شاعرة سعودية.

في مسقط رأسي

تركية العمري*

١

هناك
في مسقط رأسي
وفي الطريق لبيتنا
كنت أمرُّ بوردٍ
يطل من سياجات
كان الورد
يحب بنتا صغيرة
تضحك مثلي
تلعب مثلي
بالكلمات

٢

وفي مسقط رأسي
كانت فائزة الحلوة
ترسم جدتها الحلوة
بألوان زاهية
كانت فائزة
أحب الصديقات

٣

وفي مدرستي
في مسقط رأسي
كنا نحفظ
أناشيد كالنسرين
نحيي بها القادمين
فتحيينا الطرقات

٤

في مسقط رأسي
وهبتنا أمي
طفولة من بياض
من ضحكات

٥

وبين صباحات
مسقط رأسي
صارت أمي
«حجازية» الفرح
والوهج
والأمنيات

---

* كاتبة سعودية.

دعني أراك

▪ منصور جبر*

دعني أراكَ ولا تَغِبْ عن ناظري ... يا من سكنتَ من الهوى في خاطري
الشمسُ تشرقُ إن رأيتُكَ باسمًا ... والأرضُ تنضحُ بالأريجِ العاطرِ
أو ما علمتَ بأنَّ حبكَ قد غدا ... غيثًا لقلبي كالغمامِ الماطرِ
وأراك تركضُ في فؤادي تارةً ... وتجولُ أخرى في بياض دفاتري
وتعيشُ في عينيْ وتبسمُ ضاحكًا ... وتعضُّ بالأسنان كل مشاعري
وتخبِّئُ الدنيا إذا ما جاءني ... شوقٌ إليكَ وللجمالِ الثائرِ
هل كنتَ إلا غيمةً محمولةً ... أو كنتَ إلا في جناحَيْ طائرِ
أو كنتَ قنديلًا يضيءُ سماءَنا ... أو نَغْمةً أو كِلْمةً للشاعرِ
أو زهرةً ميَّاسةً في دوحةٍ ... جاءتْ فراشتُها بلونِ شاعري
هذا الغموضُ أراهُ يفتِكُ بالقُوَى ... تاهتْ لديهِ طرائقي ومصادري
إن جاء جُنحُ الليلِ كيف تقولُ ليْ ... دَعْ عنكَ عذلي إن أردتَ تَخَاطُري
مَهْ يا جيوشَ الحبِّ هُبِّي صوبَنا ... وتجمَّعي وتآزري وتقاطَري
وترفَّقِيْ وترقَّقِيْ وتلطَّفِيْ ... وتوالدي وتناسلي وتكاثري
عيناكِ تقتلُ بالسهامِ إذا بَدَتْ ... تصطادني من دون سيفٍ شاهرِ
فأصير مرهون اللقاء وليتني ... أحظى بتقبيلٍ لجفنٍ آسرِ
أنا لست غواصًا لأركبَ زورقًا ... لكنني أرتادُ كل مخاطري
هل تجسرين لكي تخوضي رحلةً ... عيناكِ مجدافي وأنتِ محاجري
ليعود هذا الليل في سربالهِ ... يطوي السماء من الضجيج الهادرِ

---

* شاعر سعودي.

القَلْب

■ محسن علي السهيمي*

وإذَا رَأيْـــتُ عَـظِـيـمَ صُـنْـعِـكَ خَـالِـقِـي
نُـكِـسَـتْ إلَـــيَّ جَـوارِحِـي تَـتَـفَـصَّـدُ

وشَـــهِـــدْتُ أنَّـــكَ بَـــارِئٌ هَـــذِي الـدُّنَـى
ومُـــدَبِّـــرٌ مـا حَـــامَ أو يَـصَّـعَّـدُ

وعَـلِـمْـتُ أنَّـــكَ مُـــبْـــدِعٌ.. لـكِـنَّـنَـا
-حِـيـنًـا- نُـحَـاطُ بِـغَـفْـلَـةٍ تَـتَـرَصَّـدُ

هَـــذِي -وَرَبِّـــكَ- يَـا ابْـــنَ آدمَ مُـضْـغَـةٌ
شَـــهِـــدَتْ بِـــقُـــدْرةِ رَبِّـــنَـا وتُـــؤَكِّـــدُ

نَـطَـقَـتْ بِـــأنَّ اللهَ مُـــوقِـــدُ عَـزْمِـهَـا
مَـا امْـتَـدَّتِ الآجَـــالُ.. لا تَـتَـأَكْـسَـدُ

وغَـــدَتْ عَـلَـى دَرْبِ الـحَـيَـاةِ مَـنَـارَةً
كَـم أيـقَـظَـتْ مِـنْ غَـيْـهَـبٍ يَـتَـمَـدَّدُ

وغَـدت تُـــرَوِّي الـــرُّوحَ فِـي جَـنَـبَـاتِـنَـا
وتَـبُـثُّـهَـا إكْـسِـيـرَهَـا فَـتُـغَـرِّدُ

لَـو شَـاءَ ربُّـكَ لانْـطَـفَـتْ نَـبْـضَـاتُـهَـا
وغَـــدَوْتَ فِـي جَـدَثِ الـفَـنَـا تَـتَـوَسَّـدُ

وغَـــدَوتَ نَـسْـيًـا لَـيْـسَ يُـعْـرَفُ رَمْـسُـهُ
وغَـــدَوْتَ فِـي عِـقْـدِ الأوافِـــلِ تُـنْـضَـدُ

الـقَـلْـبُ نَـبْـضُ حَـيَـاتِـنَـا وَوَقُـودُهَـا
وصَـلَاحُـنَـا بِـصَـلَاحِـهِ يَـتَـحَـدَّدُ

خَـفَـقَـاتُـهُ نَـغَـمٌ.. ودَفْـقُ دِمَـائِـهِ
سِـرُّ الـحَـيَـاةِ ونَـهْـرُهَـا الـمُـتَـجَـدِّدُ

مَـهْـمَـا تَـجَـاسَـرتِ الـعُـقُـولُ نَـظُـنُّـهَـا
نَـضِـجَـتْ.. تَـظَـلُّ خَـدِيـجَـةً تَـتَـهَـدْهَـدُ

وتَـظَـلُّ تَـطْـلُـبُ فِـي الـحَـيَـاةِ كَـمَـالَـهَـا
وكَـمَـالُـهَـا إيْـمَـانُـهَـا الـمُـتَـوَقِّـدُ

يَـا أيُّـهَـا الإنْـسَـانُ قَـلْـبُـكَ آيَـةٌ
مَـا أجْـمَـلَ الآيَـاتِ حِـيـنَ تُـرَشِّـدُ!

---

* شاعر سعودي.

العاشق الأخير

▪ رشاد رداد*

البحرُ فكرة الماء
وفلسفةُ اللغةِ بين قصيدتين
متشابكتين كراقصين على الجليد
خفيفين كريشةِ طاووس
رقيقين مثل ورق الياسمين
عبقريين كنبع الماء
ساحرين كالموسيقى
حين يرسمان بصمتٍ وفرحٍ ومتعة
لحظة نجاة عصفورٍ من مكيدةِ فخ منصوب
أو تصويرِ وجعِ لغصنِ وردةٍ كسرته ريح عمياء
البحر فكرة الماء وفلسفة اللغة
من أوّلِ قطرةِ نثرٍ سالتْ من خدٍّ غيمةٍ
إلى أقصى امرأةٍ مكتنزةٍ بالشعرِ والإيقاع
أيا امرأة
حين كنت تبتسمين
كان يبزغ قمران من خدّيكِ
كافيان لإضاءة مدينةٍ مقذوفةٍ بالسواد
كم كنت أحبُّ رائحة الحطب حين يختبئ في ثوبكِ وأنت تفتحين باب الفجر على أرغفة الطابون
لم يكن التوقيت عبثيًا لعشاق الأرض
لكننا نحن عشاقٌ منهكون من الانتظار
منسيون في عرباتِ قطار العمرِ العجوز
إذًا، ماذا ينتظر العاشقُ الأخير..!
لن ينضجَ كرزُ الغياب في سلال المنافي المحايدة
لا أحد يصدّقنا
حين نقول: الطيور لا تنسى درب عودتها، لا تحتاج لبوصلة الجهات..

وكنا نعرفُ الوسْمَ من سهوة جدّي حين كان يحدّق في الأزرق البعيد
ثم يفرك مسبحته بين كفّيهِ ويناديني
تعال، ثم يحضنني
ويقول لي: أخبئك لأن الموتَ يتجوّل في المكان
وهل يُرى الموت يا جدي!؟
أجل.
لكن الشهود مصابون بالعمى
والقصيدة لم تكتمل بعد
سرقوا من خيمة الشاعر عنبَ الفكرة وسلال المجاز
وصارت الأسئلةُ مؤجلة
حين هربتْ من صندوق القافية
وسقطتْ في بئر الغياب
ماذا لو نسينا القصيدة يومين بلا ماء..
حتما سيموت الشاعر ويتلاشى في الاستعارات
دون أن تنتبهَ الفراشات الواقفة على غصن الوقت المهدور
وتسقط الأحرف حرفًا حرفا
كحبّات العنب اليابسة
فتلتقطها الطيور الجارحة
تمضغها ثم تقذفها في البحر
هل أصبح الشعر مُرّ المذاق..!
وليس ضروريًا لصلاة الحب
ولا يحمي سيدةً في الأربعين من سكتةٍ قلبية
إذًا، ثمة شيء خطأ
في الأسماء والأوسمة
لنعترف أنَّ الشعراء أفسدوا القصيدة
وباعوا قوافيها لتاجر الخردة
ورحم الله الشعراء.

---

* كاتب - الأردن.

قصائد

▪ شفيق العبادي*

لا لنْ تملَّ

لا لـن تـَمـلَّ سـلالـُه شَـجَـرُكْ ... نـايِـي الـذي مـن نَـزفِـه عـبـرَكْ
يـا غـيـمـةَ الأَسْـــرارِ مـا بَـرحـتْ ... تُـمْـلـي عـليـه فَـيـقْـتَـفـي مـطَـرُكْ
وشَـــواطِـئًـا أضْـنـاهُ نـورسُـهـا ... أبـْوابُـهـا بَـحْـرِي الـذي غَـمـرَكْ
وقَـوافِـلُ الـريـح الـتـي عَـلـقـتْ ... بِـشِـراعِـه فَـطَـوى لـهـا أثَـرَكْ
مِـنْ هَـا هُـنَـا ابْـتَـدأَتْ حِـكـايـتُـه ... شَـمْـسًـا يُـغَـازِلُ ظِـلُّـهَـا قَـمَـرَكْ

مثقلٌ

مُـثْـقـلٌ بِـسَـمـاي لا شـيءَ يُـغْـرِي ... قَـمَـري كـي يَـصُـبَّ فَـجْـرًا جَـدِيْـدا
أتْـعَـبـتْـنِـي قَـوافِـلُ الـعُـمْـرِ عَـدْوًا ... وأنـا أتْـعَـبَ الـصَـدى تَـرْديـدَا
كلَّما اجْـتـزتُ ظِـلَّـها الـطِـفـلَ خَـطَّـتْ ... فـي طَـرِيـقِـي خُـطًـى ودَرْبًـا مَـدِيـدَا

مَرُّوا سَرِيعًا

مَـرُّوا سَـرِيعًا ولـمْ نَـقْـطِـفْ لهم أثَـرا ... ما حاجةُ الغَيمِ إن لمْ يُبْدِعِ المَطَرَا
نَـوارسٌ كـانَ بَـحْـرِي يَـقْـتفي بِهِمُ ... نبضَ الشَواطِي إذا ما موجُه عثَرَا
طَارحتُهم نخبَ أيَّـامِي مُعَتَّقةً ... وذابَ عُـمْـري على أبْـوابِهِمْ سَفَـرا
ومـا سَـعيتُ لهم سَبعًا بقافِيةٍ ... إلا بِها ألفُ قَيْسٍ يَلثُم الجُـدُرَا
بَـذَرْتـُهـا فـي سُـطورِ المَـوْجِ أُغْـنِيةً ... وقلتُ يا ريح كوني النايَ والوتَـرَا
كوني لها الحِبْرَ والأوراقَ إنْ غَـدَرتْ ... بها المَـجَـازاتُ حتى غـادَرتْ خَـبَـرَا
طِـيـري بها يا حَـمام الحَـيِّ عَلَّ بِها ... مِنْ شَهْقَةِ الرُوحِ ما يَسْتَمْطِرُ الحَجَرَا
وهَـلْ غَـرسْتَ لهمْ ظِـلًا على قَمَـرٍ ... بلى حَـفَـرْتُ لهم في أَحْـرُفِي قَمَـرا
عَـبَـرْتُـه لـقـلاعِ الـعُـشْـقِ مُـرْتَـجِـلًا ... تَـغْـرِيبةَ العَـاشِقِ المَـخْـذولِ مُـنْـتَـصِرا
شَـرْواهـمُ الـطِـيـبُ إلَّا أَنَّـهـمْ نَـقَـضُـوا ... عَـهْـدَ الـهَـوى قبلَ أنْ يَـقْـضُـوا له وَطَـرَا

---

* شاعر سعودي.

تجربتي الشعريةُ

■ د. وفاء خنكار*

الشعرُ رسالةٌ خفيفةُ الوزنِ، ثمينة القيمة، قصيرة الأسطر، طويلة الأثر؛ تخاطب القلب فيستيقظ العقل، وتخاطب النفس فتنتفض وتستغفر. الشعر سهل الانسكاب، صعب الإياب؛ سهل غير ممتنع لمن دخل خيمته، وغاب ليله، واختطفه جنّ عبقر، فلم يتركه الا منهكًا من دوامات الكلمات، والخيالات، والصور، فسالت قريحته بعيون القطر، وسرى في يباب الأرض مخضرًا، مورقًا، مستقبلًا لكل طيرٍ، وكل مسافرٍ، وكل عازفٍ، وكل مهاجرٍ.

الشعر قطعة الحلوى المخبأة في جيوبنا، نتناولها في أي لحظه دون حاجة للتحضير المسبق. الشعر صنعة مُحبي الإيجاز والمجاز، والتلميحات، والتصريحات، والاستعارات المتنوّعة.

الشعر لدى الشاعر الحقيقي هو إبداع خالص كونه يأتي من العدم الخالص، بينما تشوب بقية ألوان الكتابة الأخرى شخوص الواقعية المزدحمة بالأسماء، والأحداث، والسيناريوهات التي تشكّل نسيجًا واقعيًا شائكًا وحتميًا؛ ويبقى ذلك الشاعر الكامن داخل كل متذوق للغة مهما تعددت ميوله وتخصصاته، منتظرًا لحظة خروجه الكبير.

منذ مراحل مبكرة، كانت تستهويني القراءة الأدبية سواء كانت قصصًا أم شعرًا أم روايات، وكنت أجد في دروس الإنشاء والتعبير والأدب والبلاغة متعة خاصة في التعامل مع النصوص الشعرية وفهمها وتحليلها، وكانت القراءات التي توفرها لنا المكتبات محدودة في ذلك الوقت؛ لكنها كافية لإثارة ذلك الشاعر

الكامن للقيام بمحاولات بسيطة للكتابة. لكن البداية الحقيقية لاقتحام عالم الشعر بشكل مهني أكثر كانت أثناء فترة عضويتي بنادي الطائف الأدبي؛ إذ شهدت تلك الفترة صدور أول مجموعة شعرية بعنوان (هندسة الحب) التي كانت المحاولة الأولى لجمع شتات ما تفرق من كتابات شعرية سابقة تزامنت مع مشاركة أولى في معرض الكتاب بالرياض عام ٢٠١٠م.

كان ذلك الإصدار جميلًا وخفيفًا، ويحمل بدايات رؤية شعرية ابتكارية مراوِحة بين الكلاسيكي والحداثي. لكن الانطلاقة الحقيقية كانت بصدور أهم مجموعة شعرية اعتز بها وهي ديوان (حدائق لوركا) عن نادي الطائف الأدبي٢٠١٠م والذي أعدّه الشرارة الأولى التي دعتني للاطلاع على المزيد من التجارب الحداثية في الشعر؛ فقد كانت مدرسة فيديريكو غارثيا لوركا وبابلو نيرودا ملهمة جدًا بالنسبة لي، كونها قريبة من اهتمامي بدراسة الأدب الإنجليزي في تخصصي الأكاديمي، وقد اطلع على هذا الاصدار كل من الناقد صلاح فضل والشاعر محمد أبو دومة -رحمهما الله- وعدّاها تجربة متميزة ومختلفة.

عقب ذلك، كانت لي تجربة جديدة بالشعر الوطني الذي تزامن مع ثورة الربيع العربي؛ فصدرت مجموعة (سيمفونية الربيع) التي وثّقت المشاعر العربية الجامحة التي مرت بالوطن العربي في تلك الفترة، وكثير من أحداثها ومآسيها وأحلامها وتطلعاتها للحرية والكرامة؛ فكان ديوان سيمفونية

الربيع عزفًا وطنيًا عربيًا أهديته إلى كل من يؤمن بأن الوطن هو كلمة السماء العادلة، وإلى النوتة الأولى في سيمفونية الربيع الشهيد محمد بوعزيزي والأمهات الثكالى وأطفال الحجارة التي رجمت عدوها بحجارة من سجيل، وقد حظي هذا الديوان بدعم من معالي وزير الاعلام- في حينه - الدكتور عبدالعزيز خوجة الذي شرفني برعاية أمسية وطنية تناولت الظلال الوطنية للديوان، وذلك على هامش فعاليات معرض الكتاب بالرياض عام ٢٠١٢م.

وفي العام نفسه تزامن إصدار المجموعة الشعرية الرابعة بعنوان (الحب في الأسكا) والذي استقطبت نصوصه بصفة خاصة منتديات واتا الحضارية للمترجمين العرب لترجمة نصوص منه مثل نص: حب في العصر الحجري، وحب فوق سطح القمر،

وحب في غابات الخيزران، وحب علي الطريقة الداروينية، وغيرها من النصوص

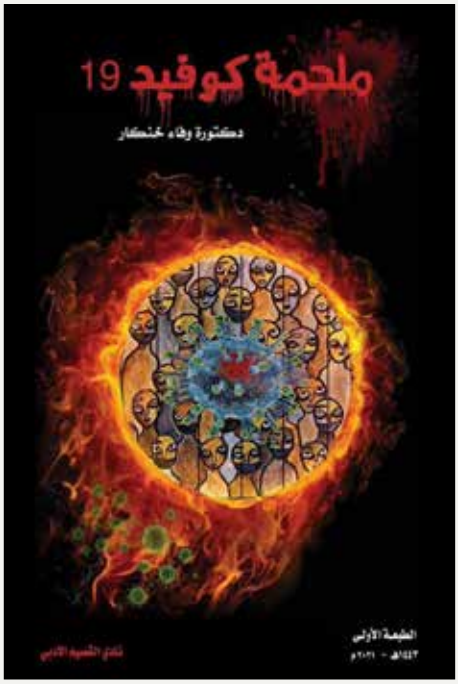

الحداثية المبتكرة، وقد تم حفل توقيع الديوان بمعرض الكتاب في بيروت ٢٠١٢م، بجناح المملكة العربية السعودية، بحضور الكثير من المهتمين والمثقفين العرب.

إن معظم النصوص الشعرية بهذه الإصدارات كانت تركز على المواضيع الإنسانية والوطنية بصفة عامة، وعلى عالم الأنثى الجميل بصفة خاصة؛ وهيمنت قصيدة النثر وتدفُق الاسترسال الشعري المباشر والمتسلسل، الذي ينقل الصور الفنية بصورة سينمائية جميلة ومبتكرة، وذات أبعاد ثقافية متنوعة، تعكس ثقافات الشعوب والبلدان والحضارات المختلفة.

وفي فترة من الزمن، توقفت عن الكتابة الأدبية، وانشغلت بالكتابة البحثية المهنية في مجال التعليم وحقوق المرأة والطفل، حتى جاءت فترة العزلة في زمن كورونا التي حفّزت قريحتي مجددًا للكتابة الشعرية، فكان صدور ملحمة شعرية بعنوان (ملحمة كوفيد ١٩) عن نادي القصيم الأدبي، والذي يمكن عدّه ملحمة شعرية فلسفية وثّقت جميع الأحداث العالمية التي مرت بالإنسانية، والدروس المستفادة منها.

تقع الملحمة في أربع مئة صفحة بها (٤٨) عنوانًا، كل عنوان أشبه ما يكون بمسرحية شعرية بدأت بنص (الكحة الأولى) التي تصف تفاصيل بداية الرعب الذي عاشته البشرية بزمن الجائحة واختتمت بنص: (سفينة نوح) التي تصف نهاية انسحاب الوباء والاستعداد للحياة من جديد.

هذا العمل الأدبي من الأعمال الوطنية التي أعتز بها؛ لأنه وثّق للعالم بصفة خاصة جهود المملكة العربية السعودية في حماية الإنسانية من الوباء، والتي استحقت عليه الريادة بلا منازع، وقد قدّم للكتاب رئيس النادي سعادة الدكتور حمد السويلم بقوله: «تحيل الكاتبة هذا الوباء من الوجود الكوني إلى الوجود الورقي، ورفعه من مستوى الواقع إلى مستوى اللغة، كي تحصن هذه الحقبة من النسيان، وتخرجها من إطارها الزمني الراهن إلى أطر مستقبلية تسهم في تجسيد هذه التجربة التي عاشها العالم بمرارة».

وعقب صدور (ملحمة كوفيد ١٩) شرّفني نادي حائل الأدبي بطباعة الإصدار الشعري السادس بعنوان (معصم أنثى) والذي أعده من أفضل تجاربي الشعرية وأكثرها تطورًا، وهي مجموعة تتناول عالم الأنثى الغامض: مشاعرها، وغضبها، وفرحها، وغضبها، وحزنها، ومعاناتها وحتى وفاتها، لتعريف القارئ بهذا الكائن الجميل الغامض كغموض ابتسامة موناليزا!

وفي عام ٢٠٢٢م أطلقت مؤسسة أدب مبادرة (مئة كتاب) برعاية صندوق الاستثمار الثقافي السعودي، وتشرفت بطباعة الإصدار الشعري السابع بعنوان (مرحبا ديسمبر) الذي جاء ضمن إصدارات الأدب الجميلة والمتميزة، حيث يتضمن الديوان وصفًا شاعريًا لأحاديث النفس وهواجسها في أجواء ديسمبر الباردة الغارقة في

التحليلات الإنسانية العميقة.

وبعد ما أطلقت المملكة مبادرة عام الشعر العربي العام المنصرم، والتي خصص لها دعما غير مسبوق على مستوى العالم؛ ما جعل القصيدة العامودية تتصدر كل المحافل والمناسبات، وخلق أجواء شعرية جديدة محفّزة لعودة الشعر العامودي للصدارة والريادة، وقد تشرفت مؤخرًا بمشاركة مع سفراء جمعية الأدب المهنية بالطائف بمناسبة اليوم الوطني بعدد من القصائد العامودية والتي ستكون ضمن اصداري القادم بمشيئة الله في تجربة شعرية جديدة.

* شاعرة سعودية.

تحليلُ الشعر
امتدادُ تاريخيٌّ وتحوّلاتٌ عميقةٌ
جان ميشال غفار - ترجمة: د. محمد محمود

■ د. أحمد اللهيب*

بين يديْه:

يسعى هذا الكتاب -الصادر بالعربية عام ٢٠٠٨م عن دار مجد وترجمة د. محمد محمود- إلى تقديم تصوّر تاريخي عن كيفية تحليل الشعر منذ العصر اليوناني حتى تاريخ تأليف الكتاب، وهو يمهّد إلى تحقيق شمولية معرفية للإجابة عن سؤال: كيف تحلّل الشعر؟ فسبر مؤلفه جان-ميشال غوفار خمس مراحل رئيسة في تحليل الشعر، من أجل إثارة فضول القارئ في الوصول إلى معرفة عامة في كيفية هذا التحليل.

الأب الروحي للشعرية

يعدّ كتاب (فن الشعر) أو (الشعرية) بحسب المترجم المصدر الرئيس لتلقي رؤية أرسطو في تحليل الشعر؛ وفي المقابل، لا بدّ من التأكيد على أنّ كتابَ أرسطو لم يتطرق إلى كلّ أنواع الإنتاج القولي في التحليل؛ فالشعر الغنائيّ الذي عُرف لاحقًا لم يكن داخلًا في حيّز الكتاب، كما أنّ بقيّة الكتاب المتعلّقة بالملهاة قد فُقد. ولعلّ سبب ذلك هو أنّ فهم أرسطو للشعر أنّه يجب أنْ يتحلى بنمطٍ تأليفيٍّ معيّن ويحقق غايةً محددة، وهذا يتمثل في (الملحمة، والشعر المأساوي، والمديح المفرط المصحوب بالعزف)، وهي كلّها من أشكال التمثيل الذي هو محفور في جِبلّة الإنسان.

والشّعرية في مفهوم أرسطو تعني (عمَلَ - بنى - ألّف) والشاعر هو (مَن يعمل، مَن يبني، مَن يؤلف) وعلى هذا فالشعر هو (فنّ التأليف)، وهو في الثقافة اليونانية يُختصر في أنواع هي (المأساة- الملهاة- الملحمة)، وهذا الاهتمام نابع من تلك الرؤية التي ينطلق منها أرسطو لمفهوم النص الشعري، إذ يجب أن يكون الشعر ذا نمط تأليفي، ويرمي إلى تحقيق غايةٍ محددة، والنمط المحدد هو (التمثيل) الذي لا يجب أن يكون مطابقًا للواقع، ولكنه يجب أن يصدر بجهد تأليفيّ؛ والغاية المحددة هي عرض وقائع وأحداث توحي بالرعب أو الشفقة. إنّ هذه المتعة التي تسببها مشاعر الشفقة والخوف هي (الشعرية) التي تشكّل الغاية الحقيقية للمأساة، في المقابل (الضحك) هو الغاية (الشعرية) التي تسببها الملهاة، وهذا يحدث تطهيرًا من الانفعالات التي يعاني منها المتلقي.

يميز أرسطو بين (كتابة الحكاية) و(صياغة التعبير)؛ فالحكاية تقوم على عرض أفعال ينبغي أن تكون موحّدة ومتماسكة، وأن الأقسام المكونة للوقائع والأحداث ينبغي أن تكون منتظمة بحيث لو غيّرنا مكان قسم أو حذفناه اهتزت بنّية العمل. ومن هنا، تتطلب (وحدة الحكاية) في نظر أرسطو جهدًا كبيرًا لنقل الوقائع؛ لتكون في نظام المحتمل والضروري. إنّ الشعر بهذه الطريقة يكتب ما يمكن حدوثه ولا يكتب ما حدث فعلا.

أما الجناح الثاني (صياغة التعبير) فإن أرسطو يوليه اهتمامًا أقلّ من (كتابة الحكاية)، فالعبارة في نظره يجب أن تكون واضحة دون ابتذال. ولكن أرسطو يهتم اهتمامًا بالغًا بالاستعارة وكيفية صنعها، وهي تعني نقل أو تحويل من خلال أساليب المشابهة. إنّ الاستعارة شديدة الفاعلية لإنجاز عرض شعري متميّزٍ يساعد على تجاوز الواقع.

المديح البياني وهج الشعرية

أمّا الشعرية في العصور القديمة فإنّها ترتبط بالمديح البياني سواء كان شعرًا أو نثرًا، وسواء كان إشادة بالأحياء أو الأموات بعيدًا عن النحيب أو التعزية، وهذا كلّه يعتمد على فنّ القول وتقنيات المحاججة، وفي موازاة المدح ظهر الهجاء والذم، وأصبح المدح والقدح وجهين لممارسة مقالية واحدة.

مع انتشار هذين النوعين ظهرت أنواع نثرية أخرى، تتمثل في (الخطاب التداولي) الهادف إلى إقناع المستمع باتخاذ رأيه تجاه قرارات معينة، فهو خطاب يتوجه نحو المستقبل؛ و(الخطاب القضائي) الذي يلقى في المحاكم للدفاع والمرافعات لإصدار حكم بالبراءة أو الإدانة، فهو خطاب يعنى بما حدث في الماضي؛ أما الثالث فهو (خطاب

الإظهار)، وفيه يلجأ الخطيب إلى إظهار موهبته، ويقدم عرضًا لامعًا، وهو خطاب يهتم بالعروض الثقافية في الوقت الحاضر. وهذه الأنواع الثلاثة تشترك بعدد من الخصائص الفنية فهي: خطاب عام يتوجه إلى مستمعٍ بهدف إقناعه باتخاذ قرار معين، أو بإدانة مُتهم معيّن أو تبرئته، أو بفضائل أو مساوئ حدث ما أو شخص ما له تأثير في الحياة العامة. كما أنّها عمليّة تحويل للواقع ليولّد إحساسًا بالجمال؛ فيكون بذلك ممتعًا؛ وهي تستند إلى الاستعارة والمقابلة فهما يحدثان فاعلية شعريّة داخل النص.

تقنيات الخطابة

في خضم ذلك حدث تحوّل لافت بظهور شيشرون الذي أحدث تغييرًا في مؤلفاته حول تقنيات الخطابة التي تساعد الخطيب على أداء دوره كاملا، وهو يدرجها في رؤية أشمل هي (الفصاحة)، وهي تعني: كلّ ممارسة للقول تهدف إلى عرض مختلفِ أوجه أي موضوع بإيضاحها وجعلها سهلة التناول من قبل المستمعين؛ ولذا، فهو يسعى إلى أن يرسم في أبحاثه إنسانا مثاليًا آخذًا بعين الاعتبار فكرة جديدة نسبيًا في زمنه. فالخطيب في رأيه عليه أن يكون خطيبًا مفوّهًا وفيلسوفًا عارفًا.

إضافة إلى ما سبق قارن شيشرون بين الخطابة والشعر، وهو ينطلق من مفهومه للطبيعة بوصفها منظّمة مرتّبةً بإحكام؛ وهذا المفهوم يصحبه حكم جماليّ، فهذا التنظيم المدهش والمحكم للكون يقدم مشهد انسجامٍ وتناسقٍ عميقٍ متصلٍ بفكرة الجميل. فشيشرون يجمع بين الفائدة والجمال لكل المكونات التي في الكون. وهذا ينسحب على النتاج المقالي؛ فالنص الكامل: هو الذي تكون جميع مكوناته مفيدة، وتكون منسقة بأفضل شكل مُمكن لتؤدي وظيفتها في بلوغ قصد المتكلم؛ ما يؤدي إلى جماليّة النص.

إن شيشرون ينطلق من حركة الكواكب وصولًا إلى العبارة الخطابية، فيستجيب كل شيء للمبدأ نفسه: إنّ أيّ نظامٍ مهما يكن يدنُ من (الكمال) حين يكون مفيدًا وجميلًا في آنٍ واحد.

من خلال هذه النظرة لدى شيشرون تجلّى مصطلح (اللياقة والأدب) بوصفه ذا عمق تاريخيّ؛ فاللياقة: جَعْلُ كلّ شخصية تتحدث باللهجة التي تنسجم مع واقعها، وهو مفهوم أرسطي؛ أما شيشرون فتتحول اللياقة إلى الملائمة؛ إذ يتطلب في الإبداع أن يكون ملائمًا، فعلى الأديب (الخطيب والشاعر) أن يبدعَ الأسلوب الملائم عند اختيار براهينه وعرضها، أو عند اختيار الموضوع المطروق في الشعر. وهذا الإدراك لجماليّة النص تكمن في إقامة التوافق بين أجزائه بهدف بلوغ ما يرمي إليه بالطريقة الأمثل، وهذا الأمر لا يصدر إلا عن عملية تفكّر، وهذا يؤدي إلى عملية إشباع للشعور وامتلاء للأحاسيس فتترك انطباعا قويا باللّذة الفنيّة الحقيقية.

وعلى الرغم من التقارب بين الشعر والخطابة، إلا أنّ شيشرون يعتقد أنّ كتابة خطبة أصعب من نظم قصيدة، لأنّ الشعر ينتظم في أوزان محددة؛ بينما الخطابة، عليها أن تختار لغة قادرة على التأثير والإمتاع. ومن هنا، تكون الخطبة أكثر شعريّة من القصيدة التي لولا الوزن لأصبحت كلامًا عاديًا، ولولا الموسيقا التي تؤثر في المتلقي، ومن دونها يكون الشعر مجرد نثر عادي! ومع هذا، فإنّ على الخطيب والشاعر أيضًا أن يبتعدَا في الاختيار عن الألفاظ الوحشية أو نادرة الاستعمال أو التي عفا عليها الزمن، وإن كانت تظهر في الشعر أكثر من الخطابة. وكذلك الحال في استعمال الاستعارة، فهي تظهر في الشعر أكثر من الخطبة، وعلى هذا فإنّ الخطيب مطالب بالاقتصاد في استعمال المجاز وسائر المحسّنات اللفظية. هذه المقارنة بين الشعر والخطابة لدى شيشرون أدت إلى أن يتوسع في مفهوم الشعر الذي ساد أوروبا في قرون طويلة.

أن يكون جميلًا مفيدًا

في ظل هذا الانتشار الواسع لأفكار شيشرون حول الخطابة والشعر، برز هوراس الذي تبنّى أهمية الملاءمة بين الموضوع المطروق والنغمية المختارة (الإيقاع)، وضرورة الترابط بين ما هو جميل وما هو مفيد. كان لهذه الأفكار التي طرحها شيشرون من قبل وتبناها هوراس أثرها البيّن في عدد من الكتب التي ظهرت بعد ذلك. هذه الكتب تستعيد الفكرة القائلة بأن خصوصيّة الشعر تقوم على محسنات الخطاب، وتقدم قوائم تطول أو تقصر لصور غايتها إضفاء بعدٍ شعريٍ على النص. وبذلك تمّت مقاربة الشعر بوصفه نتاجًا مقاليًا ذا طبيعة خطابيّة، عليه اتباع عدد من الوسائل المناسبة وفق ما جاء في فنّ الخطابة لدى شيشرون. في المقابل، انتشر الشعر الغنائي الذي يقوم على مفهوم نخبوي، إذ ظهر في أوساط النبلاء، وكان عليه أن يكون شعرًا راقيًا في مضمونه وأشكاله.

في ظلّ هذا الامتداد الشعري ظهر (تيار الأنسيّة) ومثّل انعطافًا حادًا؛ لأنّه كان ردّة فعلٍ تجاه الأساليب الموروثة في القرون الوسطى، وطالب بالعودة إلى التراث اللاتيني واليوناني القديم؛ فقد دعا هذا التيار إلى تعلم اليونانية وجمع المخطوطات بهدف إعادة قراءتها، وهكذا اكتشفت مؤلفات أساسية لشيشرون وأفلاطون كانت أساسًا لتطوير دراسة الآداب القديمة. ومن جهة أخرى، دعت (الأنسية) إلى النظر في الفكر اللغوي، وبخاصة بإعادة النظر في المنزلة التي يجب إحلال اللغات العامية؛ لأن فيها عمليات التواصل اليومية، وهي ذات صلة باللغة اليونانية الأم. كما بدا صعبًا تقبّل فكرة أنّ اللغات العامية فقيرة أو عديمة؛ لأنّ عددًا من المؤلفات الأدبيّة المهمة كتبت بلغة عاصروها بل واستعملوها.

تبنى تيّار الأنسيّة الترابط الوثيق بين الشعر والخطابة؛ فهما الركيزتان اللتان يقوم عليهما صرح اللغة، وهذا سهّل ظهور (الشعر الوصفي)، بمعنى تلك القصيدة التي تمتدح شخصًا أو شيئًا ما وغالبًا ما تكون في إطار شعر الحب وتصوير ما يجذبنا إلى الشخص المحبوب (الشَّعر، العينين، الهيئة، اليدين...)، ويمكن للقصيدة أن تظهر عيوب المرأة موضوع القصيدة فتصبح عندها وصفًا مضادًا. إضافة إلى ذلك ظهرت رغبة بالمحافظة على اللغة، وذلك بكتابة مؤلفات شعرية طموحة تدعو إلى العودة للتراث اليوناني واللاتيني، وتتبنى ما فيه من نماذج متميّزة لكتابة قصائد جديدة، إنه أشبه بمذهب الإحياء والتقليد لكل تراث جميل، ولكن ينبغي أن يكون تقليد الواقع بأفضل صورة، فهي تقوم على مقوّمات منها: إجادة الربط والانسجام، وتنسيق المعاني، وإيجاد إيقاع يتلاءم مع دلالة النص؛ لتبهج النفس وتسحر الأذن ولا تورّث الملل، وبذلك يمكن استمالة المتلقي وإقناعه بالفكرة المعروضة؛ ومن ثمّ تحقيق المغزى الأخلاقي للقصيدة. هذا المنهج الكلاسيكي أوجد ردة فعل تمثلت بظهور الشعر الرومانطيقي.

رومانسية الشعرية

انطلق الشعر الرومانطيقي من ألمانيا، وامتد أثره في أنحاء أوروبا، وكان منهجه الربط الوثيق بين التحليل الشعري والتحليل الألسني؛ فالشعر لا يملك مادة أخرى سوى اللغة، وهذه اللغة هي نتاج العقل البشري، وهي انعكاس لطريقة الإنسان في تمثّل العالم. إضافة إلى ذلك ظهرت فكرة أصل اللغة؛ فاللغة ولدت من التعبير العفوي عن المشاعر، وهذا التعبير مرتبطٌ بإقامة الصلة بين تصوّر العقل للأشياء والمتتالية الصوتية التي تشير إليه. فاللغة حركة رمزية تربط بين التصور الذهني والصورة المادية للأشياء. هذا المنطلق جعل اللغة تتطور وفق آليات الفهم، فأصبحت بذلك رموزًا منطقيّة عن العالم المحسوس مرتبطة بالفهم. وبهذا الاعتبار يمكن القول: إنّ الشعر يمتلك خصوصيّة كون اللغة مادته، وبأنّه تمثيل لغوي خارجي لتمثيل لغوي داخلي، وهنا تكون اللغة شاعرية أصلًا من خلال تحولّها الرمزي، وأن كل شعر هو شعر الشعر، فاللغة شاعرية وما يكتب من شعر هو (شعر الشعر)، فاللغة والشعر يصدران من ملكة إدراكية واحدة.

وفي المقابل، ظهر التفريق بين الشعر والعقل، فالعقل يمتلكه الجميع، ولكن كما أنّ لكل إنسان طبيعته الخاصة وحبه الخاص، فإنّ كلّ إنسان يحمل في داخله شعره الخاص، فالفاعلية العقلية تشكل ملكة تصدر عنها تأثيرات متشابهة عند الجميع، بينما الفاعلية الشعرية تولّد أشكالًا خاصة بكلّ فرد. هذا الطلاق القائم بين الشعر والعقل أوجد علاقة بين فكرتين قائمتين: الأولى: هي الربط بين الشعر واللامعقول

وحتى الجنون، والثانية: أن الشعر يعبر عن مكنونات النفس الأكثر حميميّة، وأنه يشكل خطابا فرديّا بامتياز. ومن هنا، بداية كل شعر منقطع عن العقل.

هذا التحوّل نحو الرومانطيقية أوجد عددًا من الخصائص التي ظهرت في الشعر، فالشعر أصبح موغلًا بالفردية، ذا وحدة غير قابلة للتجزئة، يمتاز بتماسك داخليّ، كما أنّه يمتاز بوحدة الأسلوب والتماسك داخل النص، وهذا يكشف عن رؤية الشاعر الخاصة للعالم. ويمكن أن نحدد التصوّرات التي حدّدت ملامح الشعر الرومانطيقي بما يلي:

- تقديس الفرد والفرديّة، وتجلّي رؤية الشاعر عن العالم.
- الترابط بين الشعر والجنون والغوص في اللامعقول.
- الغوص في الطبيعة وهي لا نهائية وهي عصيّة على الشعر.
- نقد الفنان لنتاجه الشعري.
- البحث عن لغة متحررة من الاستعمال اليومي ولغة الوضوح والفهم.
- البحث عن لغة نقية بريئة ذات بعد إنساني.

وعلى الرغم من التحوّل الذي شهده الشعر وتحليله، إلا إن الرومانطيقية ما تزال قائمة، ولكن خفت ضوؤها أمام المدّ الجديد للشعر من خلال التحليل الألسني للشعر.

اللغة حامل لواء الشعرية

ظهر بعد ذلك التحليل الألسني للشعر في القرن العشرين، حيث تبنى هذا التحليلَ اتجاهان مهمان: ١- الشكليّة الروسية و٢- البنيويّة.

أما الأول، فقد انضوت تحته جمعيتان: جمعية دراسة اللغة الشعرية وحلقة موسكو الألسنية، هاتان الجمعيتان أخذتا على عاتقهما مهمة إيجاد (علم مستقل موضوعه الأدب، انطلاقًا من المميزات الذاتيّة للمادة البنائية الأدبيّة)، وكانت الأولوية الممنوحة للمعطيات اللغوية وطريقة تشكّلها هي سبب تسميتها بالشكلانية أو الشكلية، وكان الهدف هو: توصيف منظّم للّغة على مبادئ وقوانين لا تقل مصداقية عن المسلّمات الرياضية. ويبحث عن الخصائص الذاتية للمادة البنائية الأدبيّة التي تحقق الجماليّة بعيدًا عن المناهج السياقية (التاريخي، الاجتماعي، النفسي) والتحوّل إلى (النسقية)؛ ومن هنا، كان الذي يحدد الشعر ليس كونه فكرة مجسّدة بالصور، وإنما هو خطاب ينظم الصور بطريقة خاصة. وهذا جعل شعرية النص تكمن في عرض الصور وليس في الصورة نفسها. وإضافة إلى مصطلح (النسق) الذي حوّل الكتابة إلى تراكمات تقنية هدفها تأمين تصور جمالي، ظهر مصطلح آخر هو (المنظومة)، وهو مصطلح يسمح بنسيج مترابط وثيق بين الأنساق المتنوعة الهادفة إلى ترتيب النص الأدبي، والإقرار بأن الأثر الأدبي

يشكّل منظومة، وأنّ الأدب هو الآخر يشكل منظومة. بعد ذلك تطوّر مفهوم الشكلية، فقد ظهر التصور الأكثر دقة وهو أنّ الأثر الشعري منظومة بنيوية، وهو مجموع مُرتّب ومتناسق بانتظامٍ للأساليب الفنية. وأول ما ينبغي القيام به عند تحليل القصيدة هو تركيز الانتباه على المادة البنائية اللغوية لا الحديث عن العالم، وهذا ما يسمّى بالفاعلية الشعرية الجمالية التي تبرز النص بحد ذاته، فالنص الشعري غايته في ذاته.

هذا التطور الذي حدث في تحليل الشعر كان له أثر بيّن في تطوير وظائف الخطاب التي حصرت في ثلاثية الانفعالية: (تعبير المتحدث عن نفسه)، والتأثيرية (التأثير على المرسل إليه)، والمرجعية (الخطاب الذي يركز على السياق)؛ فتطورت هذه الوظائف حيث أضيفت ثلاث وظائف جديدة هي (التنبيهية-التفاهمية) ووظيفة (ما وراء لغوية-الرمزية) أما الوظيفة السادسة فهي الوظيفة (الشعرية-الجمالية؛ وهذه الوظيفة الأخيرة -عند الشكلانيين- هي الوظيفة الغالبة؛ فهي العنصر المركزي في الأثر الفني، إنّها تحكم وتحدّد وتحوّل سائر العناصر؛ إنها الضامنة لوحدة البنية، وهي التي تساعد على الإجابة عن ذلك السؤال عن علم الأدب وموضوعه (الأدبية) بمعنى: ما الذي يجعل من أثر معيّن أثرًا أدبيًّا؟ بعدها بسنوات طرح السؤال الآتي: ما الشعر؟ وما الفرق بينه وبين الشعرية؟ هذا التمييز جعل الشعر محتوىً أدبيًّا غير ثابت ومتغيّرٍ مع الزمن، أما الشعرية فإنّها خطّة تأليفيّة لا تتغيّر في جوهرها ولها مكونات محددة ثابتة.

أما الثاني: فهو البنيوية، هذه الكلمة تعني منهجًا يهدف إلى وصف طريقة ترتيب أشياء جرى ضمّ بعضها إلى بعضها الآخر على المستوى الشكلي. وهذا يدور على وصف منظومة عن طريق تبيان العلاقات القائمة في داخلها والعناصر المحددة بهذه العلاقات، وهي الطريقة التي نُقلت إلى الشعر. كان اهتمام البنيويون متجهًا نحو ظاهرتين شعريتين هما (الإيقاع والتكرار)، إذ سلّموا بأنّ جوهر التقنية الفنية في الشعر يكمنُ في تلك الإيقاعات المتكررة، كما أنّها تركز على الإعادات اللفظيّة التي تشكل علاقات تقابليّة مبنية على محورين (الاختيار-التركيب)، وهذا جوهر الوظيفة الشعرية التي تقوم على وصف مجمل العلاقات التي تقيمها التماثلات الشكليّة بين العناصر المكونة للقصيدة؛ وهنا، يكون كل وصف غير متوقع داخل النص باختيار الأبنية اللغوية أو توزيعها أو تداخلها لتحدث المفاجأة لقارئها بما هو مدهش وغير متوقع.

هذا الامتداد التاريخي لتحليل الشعر ما يزال يدعو إلى مساحات جديدة يبحر فيها النقاد؛ لكشف المسائل الشعرية والقضايا اللغوية، التي ما تزال تتجدد وتتغير ما دام الشعر حيًّا.

---

* كاتب سعودي.

الجانبُ العاديّ للفئة غير العاديّة

■ أحمد الجميد*

في كتابه «ما أتحدث عنه حين أتحدث عن الجري» يركز هاروكي موراكامي على النشاط البدني في حياته، وهي صورة مغايرة يقدمها لنا عنه، خاصة أنه لم يتطرق لكونه روائيًا سوى في بضع جمل فحسب، إذ كان يتحدث على امتداد صفحات الكتاب عن الماراثونات التي شارك فيها، وعن الأميال الستة والثلاثين التي يقطعها بالأسبوع، كذلك عن استجابة جسده وتدريباته وتدليك عضلاته، إضافة إلى سعادته في بلوغ خط نهاية السباق، وحذائه الرياضي وكاحله، وكيف أن الجري جزءٌ من يومه لا يستطيع العيش من دونه، ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل إنه قال في أحد سياقات الكتاب: أنا أجري، إذًا أنا موجود.

ربما يحق لقارئ الكتاب ووفق تصور مسبق أن يتساءل: هاروكي موراكامي المبدع المثقف صاحب «كافكا على الشاطئ» وغيرها من الروايات العظيمة يركض مع الآخرين في الشوارع بشورتٍ قصير! إذ إن ذلك صادمٌ مقابل النمطيّة الشائعة عن المبدع والمثقف التي رُسمت في الأذهان مقترنة غالبًا بعلاماتٍ مثل العزلة والغرائبية والأسطورية، إلى جانب استنادها على اختزال المثقف والمبدع إلى حد ما بالشخص الذي يتحدث لغة غير عاميّة، تتخللها مصطلحات عصيّة، تُظهر تقييده بأفكار وقضايا وهواجس جديّة فقط لا غير، دون أن تتسع الرؤية؛ بصرف النظر عن كل شيء،

لتأخذ بالاعتبار الصورة الأشمل، والجوانب الأخرى في حياة المثقف والمبدع.

لقد قدّم هاروكي موركامي نفسه للقراء، هذه المرة، بصفته عَدّاءً، وليس كما عهدوه روائيًّا مبدعًا. أظهر صورة مخالفة لما في الأذهان، صورة المثقف والمبدع الذي يقضي وقتًا في ممارسة رياضة الجري والسباحة، وقبلهما كرة القدم.. رغم أن هذه الأخيرة لا تستهويه كثيرًا على حد وصفه. وعله ليس الوحيد في ذلك، إنما هو من الأكثر إبرازًا لهذا الجانب، أي الكتابة عن تفاصيل نشاطه البدني ورياضته الاجتماعيّة، وهذا جزء من الصورة لا يظهره الكثير من المثقفين والمبدعين إن وجد في حياتهم، أو على أقل تقدير لا يولوه مساحة أكبر في التعبير عن أنفسهم؛ ما يعزز الإشكاليّة النمطيّة الشائعة في الأذهان، ويجعل منهم شركاء في تشكيل صور ذهنيّة عنهم بلا أصالة؛ لعدم التوافق بينها وواقعهم الحقيقيّ، وبلا عناصر مشتركة في الحياة تفصح عن ملامح العفويّة والإنسانيّة في واقعهم، وربما في نهاية المطاف لا تؤدي دورًا في تخفيف الحواجز المعنويّة بينه والآخرين.

من المهم ألا يسهم المثقف والمبدع في ترسيخ الأدوار النمطيّة الجاهزة فيما يخص معاملاته وتفاعلاته مع الجوانب المختلفة الأخرى في حياته. ففي كل مجال -بما فيها المجال الثقافي- هناك أدوار جاهزة رُسمت وصُمّمت تلقائيًّا جراء محصلة سلوك أكثر السابقين في هذا المجال، وما إن يجد بعض اللاحقين في المجال تلك الأدوار معلقة على المشجب عند باب الدخول، حتى يؤدونها رغبة منهم في تسهيل عملية فرزهم والحكم عليهم، شكلًا أولًا ومضمونًا تاليًا، غير أن المثقف والمبدع أولى بخوض تجربة مختلفة المعالم، حيث لا يمكن لأحدهما إلا أن يكون نتيجة لنفسه، بعيدًا عن الأدوار الجاهزة، على مستوى الشكل والمضمون، لأنه بدونها هو دوره.

قد يُعد المثقف والمبدع على خلاف غيره منخرطًا ولو بتفاوتٍ في صراعٍ دائمًا مع محيطه المُقولب الراكد، وبالتالي فإن ذلك يسفر عن تأثيرٍ نسبيّ له في الذوات والعواطف، والعقل الجمعيّ والمخيال المجتمعيّ؛ ومن هنا، يتعين تسميته بالفئة غير العاديّة، لكنه بالوقت نفسه، وعبر جوانب أخرى، يمارس حياته مثلما يفعل الآخرون، الناس العاديون جميعًا، الذين يرتادون النوادي الرياضيّة، والأسواق والمنتزهات، والمناسبات الاجتماعيّة، وغيرها الكثير من النشاطات الاجتماعيّة والعائليّة اليوميّة التي يقتضيها واقعنا المعاش، وهذا كله تحديدًا لا ينتهي به إلا متفردًا بالوقت الذي يكون فيه ببساطة مجرد فرد آخر.

---

* كاتب سعودي.

أدبُ الذكاء الاصطناعي:
هل سيكون شات جي بي تي مؤلف روايتك المُفَضلة القادمة؟

▪ كتبها: جينيفر بيكر*
ترجمتها إلى العربية: أميرة الوصيف**

يجدر بنا القول ابتداءً إن تلك الطفرة الهائلة التي شهدها مجال الأدب المكتوب بواسطة الذكاء الاصطناعي أدت بدورها إلى إتاحة نماذج إبداعية جاهزة عديدة متنوعة، سواء في ميدان قصص الأطفال، أو روايات الخيال العلمي، أو السير الذاتية، أو الروايات الاجتماعية الرومانسية. وهنا يأتي السؤال الأبرز وهو أنه إذا كان بمقدورنا الحصول على مؤلفاتٍ كاملة أو أعمال مستقلة هائلة على هذا النحو فقط، من خلال عملية تَلقين جيدة نتمكن من خلالها من توجيه خاصية الذكاء الاصطناعي للعمل بكفاءةٍ وجودةٍ أكبر، فكيف سيتم التعامل، إذًا، مع الكتب في المستقبل؟ وما هو تصورنا لها؟ وأيضًا تُرى ما هو تأثير الشات جي بي تي على مفهومنا لمصطلح الأدب؟

ففي رواية «سيدة المتاهات» للكاتب كارل شرودر الصادرة عام ٢٠٠٥م، والتي تنتمي لأدب الخيال العلمي، يكشف الكاتب عن قدرة الذكاء الاصطناعي على تأليف ملايين القصص المكتوبة ونشرها في مختلف أنحاء العالم. هذا الكم الهائل الاستثنائي من الأعمال الأدبية الإبداعية التي لا يتمكن المرء من قراءتها كلها في حياةٍ واحدة! فهي مجموعة مدهشة ضخمة من القصص المُصاغَة بدقة واحترافية لتُناسِب كل أذواق البشرِ المتنوعة. ومنذ أن صدرت رواية «شات جي بي تي» في نوفمبر لعام ٢٠٢٢م، لم يعد هذا السناريو على وجه التحديد أمرًا مُستَبعدًا، فأن يتولى الذكاء الاصطناعي دورًا رياديًا ملموسًا، ليس توقعًا غير واردٍ في المستقبل القريب، فقد نتج عن عملية انتشار نماذج التلقين اللغوية زيادة هائلة

بالفعل في مجال المحتوى المكتوب الذي تؤلفه الآلات، هذا الميدان الذي بات يشمل النصوص الأدبية سواء تلك التي تخص الكتب الأكاديمية أو أعمال الخيال العلمي أو الجريمة أو كتب الأطفال واليافعين.

يجدر بنا الإشارة إلى أن قطاع منصات النشر الذاتي هي أحد أبرز قطاعات السوق المُتأثرة بشكلٍ مباشر بعالم منشورات الذكاء الاصطناعي، فكما نعلم جميعًا أن كل الناشرين والكُتاب يُعانون على حَدٍ سواء من التضييقات التي تُمارسها تلك القبضة الاقتصادية الخانقة؛ على الرغم من أن صناعة الكتاب نفسها تشكو من تراجُع عدد القُراء منذ فترة زمنية طويلة قبل وجود هذا الكم من الانتاج الأدبي المُعَزز بقوة الذكاء الاصطناعي، وبناءً على كل ما سَبق، فإن دور النشر لم تعد في منافسة مع بعضها بعضًا فحسب، بل أصبحت تواجه تحديًا متزايدًا من جانب أشكال جديدة لما يُعرَف بأساليب الوساطة الأدبية أو منصات النشر الرقمية التي تمكنت من تغيير خريطة الترويج للأدب، وخلقت عروضًا مُنخفضة مُغرية للمؤلفين المستقلين حول العالم.

ففي عصر منصات أمازون وجود ريدز، يواصل القُراء التعليق على مزيد من تلك الكتب التي يعكفون على قراءتها، كما أنهم يُحافظون على عادة تقييمها؛ ولهذا السبب على وجه التحديد تتأثر الأعمال الأدبية الحالية المطروحة حديثًا بتلك المُتطلبات، حتى تتمكن من ضمان نجاحها في سوق النشر فيما بعد، فلطالما كان التحليل الخوارزمي للبيانات بمثابة الوقود الذي يُحَرك تلك المنصات، كما أن تقنيات الذكاء الاصطناعي سوف تعمل باستمرار على تحسين هذا التقييم الخاص بالبيانات المُشار إليها وصقله، ويمكننا القول أن تحليل البيانات عبر الخوازميات قد أصبح إحدى الاستراتيجيات المُطَبَّقَة في الصناعة الأدبية أيضًا، أضِف إلى ذلك إلى أن استخدام الذكاء الاصطناعي بوصفه أداة جديدة قادرة على إنتاج مادة إبداعية بطريقة تلقائية طبيعية هو تحدٍّ من نوعٍ آخر، إذ إن نجاح تلك المسألة سيؤدي بدوره إلى تغيير هائل في مسألة تأليف الكتب، كما أن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في عملية الكتابة يأخذ هذا المجال المُحَدّد إلى عوالم التيار الرقمي السائد، وهذا الأمر يتضح بدوره في دمج الذكاء الاصطناعي في برامج معالجة النصوص اللغوية، فتلك البرامج.. وعلى الرغم من عدم بلوغها مرحلة متقدمة من الكفاءة والجودة، إلا إنها تشارك ولو بنسبة ضئيلة في إنتاج مزيدٍ من النصوص الأدبية وتحسين مستواها تدريجيًا، ومع ذلك كله فإن طريقة استخدام شات جي بي تي كأداة رئيسة في عملية الكتابة الإبداعية لنا كبشر، بمثابة موضوع النقاش الساخن في الفترة الزمنية الحالية، فقد تصدرت تلك المسألة أبرز عناوين الصحف العالمية، كما أعرب الكثير من المؤلفين عن استعدادهم للاستفادة من الذكاء الاصطناعي في عملياتهم الإبداعية الخاصة مثل الكاتبة اليابانية ري كودان مؤلفة رواية «طوكيو» التي حصلت على جائزة أكوتاغاوا اليابانية للكُتاب الشباب عام ٢٠٢٣م، والتي استخدمت الذكاء الاصطناعي في كتابتها لهذا العمل الذي نال إشادة جماهيرية ونقدية.

رغم كل تلك النقلة النوعية التي أحدثها الذكاء الاصطناعي في هذا المجال الإبداعي، إلا إن الشك بدأ يساورنا فيما يتعلق بوجود

تلك النماذج اللغوية الابداعية الجاهزة، فبات سؤالنا الأزليّ: تُرى هل هي مُميزة حقًا؟ هل يمكننا أن نثق بتلك النماذج غير الانسانية؟ وإذا كان الأمر كذلك فأين تكمن إذًا خصوصية العلوم الإنسانية إذا كان الشات جي بي تي قادرًا على الوصول إلى المستويات الأدبية العالية نفسها التي يصل إليها الإنسان المُبدِع؟!

السرد القصصي المُتَوَقع

لعل أحد أكبر التحديات التي تُواجه العاملين على تطوير أنظمة الذكاء الاصطناعي المُستَخدَمَة في مجال الكتابة الإبداعية، تلك التي تتعلق بكيفية إزالة عامل «الغموض» عن النماذج اللغوية الجاهزة، وذلك بغية كشف أوجه القصور الكامنة فيها من أجل فهم خلفيتها ووظائفها التقنيه بوضوحٍ أكبر، إذ إن عملية إنتاج نماذج الذكاء الاصطناعي اللغوية تمت بفضل هذا الكم الهائل من البيانات والمُدخلات التي تستخدم هندسة التلقين الفوري الدقيقة من جانب الأفراد؛ ولهذا، فعلى الرغم من مميزات خاصية شات جي بي تي، إلا إنها لا تمتلك في الفترة الراهنة معرفة عامة أو مُجَسَدَة، لكنها تعتمد على نظامٍ آلي مُحَدد يتعرف على أنماط اللغة واستخدامها ببراعة للحصول على نصوصٍ جديدة مُبتكرة.

على الرغم من أن تلك النماذج اللغوية التي يعتمدها الذكاء الاصطناعي تقدم بدورها مزيدًا من المساعدة في مجال تحسين مستوى الكتابة أو خلق القصص والروايات بشكل تدريجي، إلا إنه ما تزال هناك مشكلات قانونية تتعلق بحقوق الطبع والنشر في هذا الميدان؛ فخلال السنوات الماضية قام عدد من الجهات والمؤسسات الرسمية برفع دعاوى قضائية فيما يتعلق بهذا الخصوص؛ فعلى سبيل المثال، رفعت صحيفة نيويورك تايمز دعوى قضائية ضد شركة Open AI بخصوص حقوق الملكية الفكرية في عام ٢٠٢٣م.

ورغم التحديات والانتقادات التي تنالها موجة الذكاء الاصطناعي واستخدامه في مجالات الكتابة الإبداعية، إلا إن السنوات الأخيرة شهدت تطورًا كبيرًا فيما يخص تلك الأنظمة اللغوية الذكية التي تعمل على سرد القصص توسيعَ آفاق الحوار الأدبي؛ ففي السابق لم يكن شات جي بي تي قادرًا على تأليف قصة كاملة بشكلٍ مُتكامل، لكنه امتلك تلك الخاصية الآن بعد اخضاعه لمزيد من التحسينات التي تخص علم التلقين أو الهندسة الفورية للبيانات والمُدخلات، فقد أصبح شات جي بي تي قادرًا على خلق عمل قصصي مُتماسك من حيث البناء، وكذلك بات بمقدوره تقديم مشهدٍ تفصيليٍّ بناءً على تلك البيانات التي يقوم الفرد بادخالها لتوجيهه بشكلٍ سليم. ومع هذا كله، فما تزال جودة النتائج موضع النقاش العام، فنحن نحصل على نتائج أفضل كلما سُمِح لتلك الأنظمة الذكية أن تعمل باستقلالية أكبر، وكلما كانت عبارات التلقين المُستَخدَمَة أقصر، فحينها كانت النتائج الشاملة أفضل على كل المستويات.

---

* جينيفر بيكر، مؤلفة وباحثة ومُحَللة في الشأن الثقافي العام، مقيمة في برلين. تخصصت في الكتابة عن الظواهر الرقمية والقضايا المعاصرة والثقافة الشعبية.

** كاتبة ومترجمة – مصر.

القراءة في زمن التكنولوجيا: أسئلة وتحديات من العولمة إلى الذكاء الاصطناعي

■ إبراهيم الكراوي*

ينطوي العنوان على سؤال بأبعاد وعلائق ملتبسة، طالما أسالت الكثير من المداد. فسؤال القراءة في عصر التكنولوجيا شكّلَ مصدر قلق بالنسبة للمجتمعات في عصرنا، وهذا القلق تحوّل إلى كابوس بعد انتشار ما سمي بالذكاء الاصطناعي.

لم يكن الانفجار التكنولوجي كما نلمس من خلال الذكاء الاصطناعي، وليد اللحظة المعزولة عن سياقها التاريخي؛ فقد تميز بالابتعاد التدريجي عن الطابع الإنساني، والنزوع نحو تكريس ثقافة العولمة وهي تنقلب على الهويات الثقافية وتتبنى الهوية الكونية.

هكذا أضحت إنسانية الإنسان جزيرة معزولة، يتطلب الوصول إليها في عصرنا المرور بعقبات مرهقة من الناحية السيكولوجية، وتجاوز مراهقة عصر التكنولوجيا الذي نتفيأ إيجابياته في الوقت نفسه الذي نتبرم من سلبياته..

لقد بدأت ملامح عالم جديد منذ تَشكُل الثورة الصناعية، إلى أن عصفت بنا رياح العولمة، وحملت معها بذور التكنولوجيات والوسائط الرقمية، وصولًا إلى الذكاء الاصطناعي الذي أتى على الأخضر واليابس في عالم القراءة، فتأثرت دور النشر، وتضايق التعليم، وتأثر الإبداع من هذا الزحف التكنولوجي، وبدأت ملامح خطر إمكانية تشكل إنسان بدون هوية وذاكرة.

وبالفعل لم نفتأ نبحث في أسئلة العولمة، حتى حاصرتنا هواجس وأسئلة أشد فتكا، بأفكارنا وعواطفنا وأحلامنا، في عصر عنوانه المثير والعجيب هو التسارع التكنولوجي نحو المجهول، ومن ثَمَّ، هيأت العولمة الظروف العنيفة لابتكار نظام جديد أكثر هيمنة وسلطة من سابقيه وهو الذكاء الاصطناعي.

فهل الذكاء الاصطناعي نتاج فكر العولمة وبُعد من أبعادها؟ هل نحن بصدد استبدال إنسانية الإنسان بالإنسان الرقمي؟ هل تحقق على أرض الواقع مصطلح «الإنسان الرقمي»؟ وما هي حدود الإنساني فيه، وحدود الرقمي؟ وهل الذكاء الاصطناعي استلاب للهويات الإنسانية ولخاصيته الاجتماعية، أم حرية واستثمار في القدرات؟

يبدو لي أن كل هذه الأسئلة ستقود إلى التأكيد على التلازم بين القراءة، والذاكرة من جهة، وبينهما وبين الهوية.

ولعل تأمُّل المصطلح وحدوده وأبعاده، سيعيدنا إلى كل هذه الأسئلة. فالذكاء الاصطناعي كما يتجلى من خلال التعريف اللغوي، يتمثل في القدرة على معالجة المعلومات بالاستناد إلى الطريقة الآلية، أو الألغوريتم. ولذا، فهو يتأسس على مبدأين:

الأول: يتمثل في محاولة: محاكاة الخلايا العصبية في جسم الإنسان.

والثاني: يرتكز على مبدأ النشر وتوسيع دائرة المعلومات.

وإذا استطعنا أن نتحكم ونشخص المشكلات المعرفية التي ترتبط بالمبدأين، سنخطو نحو إيجاد بدائل ووصفات ناجعة للمعادلة.

لم يُولد ويُقحم الذكاء الاصطناعي في حياتنا اليومية والعملية بالصدفة، بل هو نتاج رهانات وهواجس واستراتيجيات متشابكة، يتداخل فيها الكوني مع الإقليمي، وتطمح في الآن نفسه إلى تجاوز رياح العولمة، وإكراهات النمو الديموغرافي، وتزايد الحاجيات الإنسانية اليومية.

يبدو لي، أن كلاً من القراءة، والذكاء الاصطناعي نحو تشكيل معادلة يستعصي إيجاد حلول فعالة لها، بسبب غياب تشخيص علمي يأخذ بعين الاعتبار أراء علماء الاجتماع، والنفس، والأنثروبولوجيا، فضلا عن التداخل الملتبس بين حدود السلبي والإيجابي، في استعمالات الذكاء الاصطناعي. ولذا، نعتقد بضرورة تشخيص علمي عاجل للظاهرة، من أجل تقديم وصفات تُبقي على الذكاء الاصطناعي دون تدمير إنسانية الإنسان، وتحويل مشاعره إلى أنقاض تجثم على صدر التاريخ.

إن استبدال القراءة بالآلة في البحث عن المعرفة؛ واكتساب التَعلُّمات، سيؤثر على الهوية وعمل الذاكرة الإنسانيين؛ ما سينتج

عنه بشكل غير مباشر، تفكك الروابط الاجتماعية، واندحار إنسانية الإنسان.

والملاحظ أن الذكاء الاصطناعي والعولمة كلاهما يشتركان في نسج خيوط ما نسميه الفكر المتوحش الجديد. وهذا ما أشار إليه الباحثان ستيفان كالا وبيرنا أوريك في كتابهما «عالم جامح: كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا». وهو عنوان يختزل البعد التراجيدي المشترك بين العولمة والذكاء الاصطناعي في حياتنا المعاصرة. فرغم نزوعنا إلى السيطرة على هذا العالم من خلال توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي «يبدو أننا نفقد السيطرة عليه. إنه عالم جامح... لقد بات العلم والتقنية معولمين أيضا» عالم جامح.. ص: ٢٠. ومن ثم، تنطوي معادلة الذكاء الاصطناعي على استغلال مجحف لسيكولوجية المستهلك الهشة، وثقافة العصر التي تميل إلى حلم الرفاهية؛ ما دفع زيجمونت باومان إلى وصف ما يحدث بالهشاشة الاجتماعية التي بدأت تنخر كيان إنسانية الإنسان المعاصر. وهكذا «يبدو أن العلاقات الافتراضية تطرد العملية الرديئة العملة الجيدة من السوق وهذا لا يسعد الرجال والنساء الذين يستسلمون للضغط، ولا يسعدهم ذلك أكثر مما أسعدتهم ممارسة العلاقات ما قبل الافتراضية فالمرء يفوز بشيء ويخسر شيئا آخر» زيجمونت باومان الحب السائل ص:٣١. ويذهب الباحثان ستيفان كالا وبيرنا كراك إلى أبعد من ذلك في كتابهما «الذكاء الاصطناعي: خطر محدق أم آفاق واعدة؟» حين يحددان خطره في قدرته اللانهائية على الانتقال إلى الإنجاز، وهذا معناه إمكانية أن تتحول الآلة إلى أداة استلاب وتتحكم في السلوكيات الإنسانية.

إن الخطر الحقيقي المتربص بمجتمعاتنا العربية في حالة الاستعمالات السلبية للذكاء الاصطناعي هو نفيه للعقل وقدرات الإنسان الإبداعية، فهو يتجاوز القراءة بوصفها فعلًا منتجا، وتمثلًا اجتماعيًا مؤسسًا على القيم الإنسانية، مشكلًا للذاكرة وللإبداع. ويمكن القول إن الثقافة بمعناها الواسع تشكل أحد الحلول الممكنة إذا استطعنا أن نحتفظ لها ببعدها الإنساني؛ فلا أحد باستطاعته أن يناقش ويدخل في جدل فلسفي مع أسئلة الذكاء الاصطناعي، سوى الثقافة إذا انطلقت من حقل الأنثروبولوجيا.

وفي هذا الإطار، يذهب الأنثروبولوجي دافيد لوبور طون إلى أن التكنولوجيا كما يظهر من خلال الذكاء الاصطناعي، حالت دون نشأة علاقات متميزة مع الآخرين، والأكثر من ذلك أنها ألقت بالفرد في جزيرة نائية عن المجتمع، أصبح يحس معها بالاغتراب. فالأدوات التكنولوجية التي نستعملها بما فيها الذكاء الاصطناعي «هي وسائل لإطفاء أنوار المدينة، ولوضع حضور الآخرين بين قوسين» أنثروبولوجيا الوجوه.

دافيد لبورطون. المركز الثقافي للكتاب ٢٠٢٣م.

هكذا يرى أغلب المفكرين والعلماء أن الذكاء الاصطناعي يشكل الخطر المحدق بإنسانية الإنسان، وتأثيره واضح على بعض السلوكيات، والممارسات الإنسانية، كما نستشف من خلال القراءة.

بيد أن تأثيره لا يتجلى فقط أفقيًا من خلال العزوف عن القراءة، والإرتكان إلى الآلة؛ بل إن خطرًا آخر يبدو محدقًا بالذات الإنسانية؛ وهويتها ومستوى التعلمات التي يجب أن تكتسبه في مرحلة معينة، وذلك هو ما نسميه المستوى العمودي.

إن عملية القراءة ترتبط بالإنتاجية والإبداع داخل هذا المستوى، أي حين يكون الاتصال عن طريق بعض الحواس، اللمس، البصر، الحس، والإدراك. والاتصال المباشر يمنح الإنسان القدرة على التحليل وتطوير ملكات القراءة، والإنتاج. فاستبدال القراءة الأفقية بالعمودية، هو انتقال من مستوى الإنتاج والتفكير إلى مستوى تقل معه القدرات، وقد يتعطل الفكر بصورة أو بأخرى؛ ما يؤدي إلى تعطل إنسانية الإنسان.

يبدو أن العالم يعيش مخاضًا على صعيد عدة جبهات وكلها تهدد الثقافة بالمعنى الواسع للكلمة، باعتبار أن دور النشر التي ترعى القراءة، ستعرف كسادًا مهولا، وعليها التكيف مع وضع آخر قوامه المنافسة غير المتكافئة. فسواء تحدثنا عن الحروب الدامية، أو العولمة في صورتها الاستعمارية الجديدة، فالأمران سيان من حيث السؤال الثقافي وإنتاج المعرفة.

إن الذكاء الاصطناعي سيمثل بحق تهديدًا للإبداع ولسلطة الإنسانية، والقيم كما سيشكل أفقًا لانتشار ثقافة الاستهلاك بصورة بشعة، وتعطيل الفكر. ولعل مجرد التفكير في قضية التعليم والتعلم، والذكاء الاصطناعي في وطننا العربي، يقود إلى إحساس بالألم. كيف ستعيش وتتطور التَّعلمات في الأجيال القادمة في ظل الذكاء الاصطناعي، دون وضع خطة واضحة المعالم.

لن يخدم الذكاء الاصطناعي بالصورة الذي نعاينه اليوم سوى فئة محددة، وسيؤدي بالعكس إلى تزايد خطاب الهيمنة والسيطرة. وهذا لا يعني إيقاف حركة مجرى النهر العنيفة، بقدر ما يعني البحث عن طرق للتحكم، في إيقاع جريان النهر حتى لا يجرف معه الأخضر واليابس، كما نشاهد اليوم في بعض الأفلام السينمائية؛ إذ تحوّلت الآلة إلى خطر يهدد الحياة البشرية بعدما عجز عن التحكم في جريان هذه النهر.

إذا لم نحسن التفكير في كيفية استثمار تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، فسيظهر خطر إبادة العقل البشري. وما الذي يتبقى

بعد إبادة العقل سوى نهاية التاريخ بتعبير فوكو ياما، أفليست هذه نهاية التاريخ التي تحدث عنها فوكو ياما؟ أليست نهاية العقل والعاطفة الإنسانيين هي نهاية الإنسانية وتاريخها على سطح الكرة الأرضية. هل بإمكان الذكاء الاصطناعي أن يؤسس ذاكرة؟ وأن يحيل على هوية؟ وأن يقوم بإنتاج قيم إنسانية؟

في زمن مضى، كان الشعر بوصفه أحد مظاهر القراءة - حاملًا للقيم الإنسانية، بينما اليوم أصبحنا نعاين احتقارًا وتبخيسا للقيم، فتراجع الشعر، وكل ما يجسد روحانية الإنسان؛ لأن الآلة ستنوب عنا في كل شيء، حتى في محاكاة المشاعر، وهذا هو جوهر الإشكالية.

فلم يعد اليوم موقع للشعراء في «مدينتنا التكنولوجية الفاضلة؟» ببساطة؛ لأنها مدينة تؤمن بالقوة والحرب، والآلات العسكرية والهيمنة، والحروب الطاحنة اليوم. فالذكاء الاصطناعي بدل أن يشتغل على إطفاء الحروب؛ يزيد من إشعال فتيلها حتى بدأت رقعة الحرب اليوم تتسع من منطقة لأخرى، ومن قارة إلى أخرى بتحريض من الذكاء الاصطناعي.

إن سؤال الذكاء الاصطناعي حين يعلن موت الإنسان واستبداله بالآلة، يعيدنا إلى سؤال طُرح مع الفكر البنيوي حول موت المؤلَّف والمؤلِّف. وحين طَرحت البنيوية مع رولان بارث مسألة موت المؤلف، واكتشفت إمكانية تمزيق الذات الإنسانية، وإقصاء ذاكرتها بموت هذا المؤلف، لم تتوانَ في تدارك الأمر، واستعادة الفردوس المفقود للذات، في بعدها الإنساني انطلاقا من نقد موضوعي وتفكيك، وتشخيص شامل للظاهرة كما تتجلى في بيئتها.

وهكذا، سرعان ما بادر رواد الفكر البنيوي بفحص المشكل كما نعاين مع نظريات القراءة مع إيزر وياوس، وتوغل الباحثون في إنسانية الإنسان من خلال «سيمائيات الأهواء». نعم كان كريماس يفكر في المنهج وطريقة الولوج إلى النص؛ ولكن كان حاملًا هاجسًا أكبر من النص ومن المنهج، وهو حضور الإنسان بكل كيانه، وتفاصيله التي تحيل على الذات والثقافة والهوية.

إن البحث عن بدائل وطرق جديدة لاستخدامات الذكاء الاصطناعي، أصبح ضرورة ملحّة من أجل تجاوز مشكل تدني وتراجع القراءة كمًّا وكيفا. ويبدو لي أن النقاش يجب أن ينحصر في ساحة الأنثروبولوجيا وعلمَيْ الاجتماع والنفس من أجل استعادة إنسانية الإنسان دون توقف عجلة التطور والبحث، ذلك أن الأنثروبولوجيا العلم الوحيد القادر على احتواء هذا النقاش بموضوعية ودون تحيّز.

---

* كاتب - المغرب.

التحديقُ في حقيقة الموت
وقراءة في كتاب «عن الأسى والتأسي»

■ صفية الجفري*

ظللت طول حياتي أهرب من التفكير في الموت، موتي وموت أحبابي، واجهني الموت في أحبتي مرّات، أجدادي رجالا ونساء، بعض خالاتي وقراباتي، أبناء عمومتي، أحباب أحبّتي-رحمهم الله جميعا- لكنّي كنت أصرف عقلي عن الحضور التام، أنشغل بالدعاء والذكر والمواساة؛ لكن كل ذلك في مستوى لا ينفذ إلى أحشائي، إلى أن اختار الله أن تغيب ابتهاج - رحمها الله - ابنة خالي عن دنيانا في إبريل ٢٠٢٤م وهي في التاسعة والعشرين من عمرها.

ابتهاج حاضرة في خاطري، سخيّة النفس واليد، وذكية، ومثابرة، وخفيفة الروح؛ ضحكتها تشرح القلب، أنعم الله عليها بتدين أصيل غير متكلف. لقد كان آخر اجتماعي بها -حسّا- في بيت جدي، قبل أن يشتد عليها المرض الذي لم نعلم أنه كان مرض الموت. طلبت ابتهاج للجميع عشاء وحلا على حسابها، وتناقشنا حول حقوق المرأة في الإسلام، وسهرنا نشاهد مسلسلًا تركيًا لطيفًا يتناول فكرة الانتقال عبر الزمن. ولعل هذه المقالة تكون بعض تكريم لذكراها، وسببًا لدعوة صالحة تؤنسها، وثوابًا ممتدًا في ميزان حسناتها.

لقد ظللت أراوغ فكرة الموت، لا أسمح لنفسي بالتفكير العميق فيها، أشعر حقًا أنّي لا أطيق مواجهتها، حتى رأيت ابتهاج -رحمها الله- عيانًا، رأيت في وجهها معنى التماهي بين الموت والحياة، رأيت في وجهها اتحادهما،

واجهت حقيقة إيماني بالحياة الآخرة؛ لأني شعرت وأنا أهمس لها في مسجّاها أنها تسمعني حقًا، وأن الأمر أكبر من محدودية الجسد، الذي يؤدي دوره في زمن معيّن؛ ليغادر بعدها ويترك جوهرنا الإنساني، الروح التي هي حقيقتنا الخالصة.

تدريب وجودي

ما أزال أهرب من مواجهة التفكير في موتي إلا من حيث كونه فكرة مجرّدة، لكنّ موت ابتهاج جعل فكرة الموت حاضرة أمامي كل يوم، تشكّل جزءًا مهمًا من بواعث قراراتي، مع شجن استقر في قلبي لا أظنه سينقضي، لقد كنت أفهم حديث النبي ﷺ: ﴿أكثروا من ذكر هادم اللذات﴾[1] على أنه حثّ على الاستقامة بتذكر العاقبة: الموت، لكني اليوم صرت أفهم أن في الحديث أيضا معنىً أوسع، وهو مساعدة قلوبنا على التأسي والتصبّر، وربّما الرضا وكمالاته عند مواجهة مصيبة الموت في أنفسنا ومن نحب، الحديث الشريف هو تدريب وجودي يساعدنا على التماسك أمام مصيبة الموت ومقدّماتها، أو يحمينا من شتات الجزع الذي قد يسلب صاحبه تصبّر الإيمان.

نعم، ألم الفقد هو من شؤون القلب، التي لها وقعها الخاص الذي يختلف من إنسان إلى آخر، لكن حضور المعنى أمامنا، وتذكير أنفسنا به، يجسّر الفجوة بين العقل والقلب، فيعضد العقل القلب، وينوّر القلب العقل بنور الرحمة.

في كتاب «التحديق في الشمس» يقول إرفين د. يالوم إن فكرة الموت تنقذنا؛ لأن حضور فكرة الفناء أمامنا يجعلنا نركّز على أن نعيش حياة مسؤولة، نتحقق فيها بهويتنا القيمية، ونحيي فيها معاني الرحمة والتعاطف.

وهذا المعنى الذي ذكره د. إرفين أرى فيه تجليا آخر من تجليات الحديث الشريف «أكثروا من ذكر هادم اللذات». حضور «الموت» أمامنا، هو تجربة يقظة كما يقول إرفين د. يالوم تحررنا، وترتّب دواخلنا.

الموت والفقد والغضب

يتصل بلاء الموت ببلاء كليّ أوسع هو بلاء الفقد والنقص، يقول الله تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٥)، وينبّه كتاب «عن الأسى والتأسي» إلى أن الألم المتصل بالحزن على موت مَن نحب هو ألم مركّب من مشاعر فقدٍ متداخلة، فقد الحضور الجسدي، وفقد كل دور في حياتنا كان يقوم به من غابوا عنّا، وفقد كل معنى كان يمثله لنا حضورهم في حياتنا، ونحن نحتاج إلى أن نتوقف مع كل معنى يمثله أحبابنا لنا، وأن نعطيه حقه في الإحساس به وعدم تجاهله أو إنكاره.

وقد نقاسي الفقد في صورة مختلفة حين نختار أن نغادر زواجًا أو صداقةً أو جيرة، وحينها يعترينا أسىً من نوع خاص، لا نأسى

على الأشخاص فنحن لا نفارق غالبًا إلا بعد أن يفارقنا العشم فيهم، لكنّنا نأسى على حسن ظننا فيهم، ونأسى على فوات العمر في علاقات استنزفت أرواحنا، وعلى بعثرة القلب ووجعه، وعلى علاقات نحبها متصلة بهم لم نعد قادرين على وصلها، وعلى معانٍ ارتبطت بهم قد يظهر لنا صعوبة تحصيلها مع غيرهم، وهذا النوع من الفقد قد يشعل في القلب نار الغضب، غضب الشعور بالفوات والعجز. لقد أرشدنا الشرع الحكيم إلى الصبر والتصبّر، وحدثنا عن ثواب الصابرين، والشرع في مجمله نسيج معرفي متماسك يؤكّد على إلغاز الأقدار في حياتنا، ويطلب منّا قبول هذا الإلغاز، والتعامل معه كحقيقة مطلقة تتصل بحقيقة أن خالق الأقدار حكيم رحيم لا يُسأل عما يفعل.

الإشكال الذي يقع فيه بعضنا هو الارتباك حيال شعور الغضب الذي يتملكه؛ فإذا ما شارك مشاعره بعض أهل التديّن فإنهم يشعرونه بالعار والخزي لأنه لم يتأدّب مع أقدار الله عز وجل، ويكررون الحديث عن الصبر، ويتوهمون أن الصبر إنما يكون على مشاعر الألم وحدها؛ لأنها في تصورهم هي المشاعر الوحيدة التي ترتبط بألم الفقد (موتًا أو مفارقة، حسًا أو معنى)، وقد نبّه الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين إلى ارتباط الغضب بألم الفقد[٢]، وإلى أن الصبر رحلة مستمرة يذكّر المسلم فيها نفسه بثواب الصبر، وحتميّة الموت، ورحمة الرحمن، وأن اللقاء آتٍ ولو بعد حين؛ لينتقل المسلم بالتصبّر إلى الترقي في منازل الصبر ثم الرضا.

ويتدرّج المسلم في مكابدة الألم وما يتصل به من مشاعر الغضب أو الرغبة في الانعزال أو الاكتئاب إلى أن يصل إلى التعايش مع الألم تعايشًا يتجاور فيه الألم مع سائر المشاعر التي تعترينا ونحن نتقلّب في معايشنا وعلاقاتنا وحياتنا.

ونجد في كتاب الفروق للإمام القرافي تنبيها نفيسًا إلى الفرق بين الرضا بالقضاء وعدم الرضا بالمقضي به؛ فيذكر أن الرضا بالقضاء فرض وهو شرط إيمان، وهذا لا يستلزم أن يشعر المؤمن أنه راضٍ بالمقضي، قال الإمام القرافي: والفرق بين القضاء والمقضي، والقدر والمقدور، أن الطبيب إذا وصف للعليل دواء مرًّا أو قطع يده المتآكلة، فإن قال المريض: بئس ترتيب الطبيب ومعالجته، فهو تسخط بقضاء الطبيب وأذيّة له، وإن قال هذا دواء مرّ قاسيت منه شدائد، وقطع اليد حصل لي منها آلام عظيمة مبرحة، فهذا تسخط بالمقضي الذي هو الدواء والقطع لا القضاء الذي هو ترتيب الطبيب ومعالجته، فهذا ليس قدحا في الطبيب. فنحن مأمورون بالرضا بالقضاء ولا نتعرّض لجهة ربنا إلا بالإجلال والتعظيم، ولا نعترض عليه في

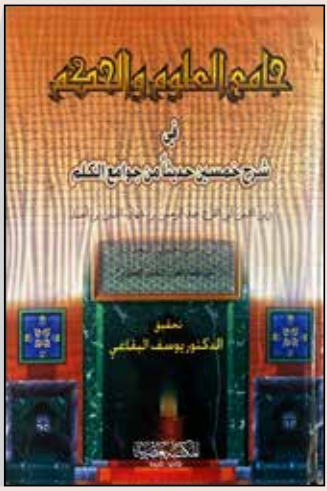

ملكه [٣]، وهو القادر الحكيم الرحيم.

إن الصبر على مصيبة الفقد، هو رحلة لتقبّل المقضي به، وهو أمر منفصل عن تسليم المؤمن لربّه بقضائه وأنّه سبحانه قادر حكيم.

فإذا وردت على القلب واردات التحيّر والغضب، ذكّر الإنسان نفسه بأن التسليم هو مدار الإيمان، وأن الله لا يقضي في ملكه إلا الحكمة، ظهرت لنا هذه الحكمة أم لم تظهر، فيصبح المؤمن متعلقًا بمشاعره، يعترف بالمشاعر التي تنهكه وصلتها بالمقضي أو الابتلاء الذي قّدره الله عليه، وأن هذه المشاعر من عدم الرضا بالمقضي هي جزء من طبيعته الإنسانية، لا يلام عليها، ويذكّر نفسه بموقفه الإيماني من القدر، وأن إيمانه بقدرة الله لا ينفك عن إيمانه بحكمته ورحمته، ويكون الفرق بين الرضا بالقضاء والرضا بالمقضي حاضرًا في قلبه؛ فإذا تحرر له الفهم، واستقام، قطع طريق التصبّر على بصيرة.

لدينا هنا إذًا منزلة ثابتة يشترك فيها أهل الصبر مع أهل الرضا، وهي منزلة الرضا بالقضاء، ثم يفارق أهل الصبر أهل الرضا في أن أهل الرضا يقبلون الألم قبولًا تامًا بحيث لا يتمنّى أحدهم غير ما هو عليه من شدّة ورخاء[٤]، وهذه منزلة غير واجبة، لكن أهل الصبر يكابدون مشاعر الألم بكل تجلياتها من غضب ونحوه، ويتدرجون في منازل الصبر إلى أن يفضي بهم التصبّر إلى التعايش السلس مع الألم.

أسى شخصي

اختتم كل من إليزابيث كوبلر روس وديفيد كيسلر كتاب « عن الأسى والتأسّي» بصفحات عن ذكر الأسى الشخصي لكل منهما، وشكر مترجم الكتاب شادي عبدالعزيز في آخر صفحة من الكتاب أصدقاءه في سطور ذكر

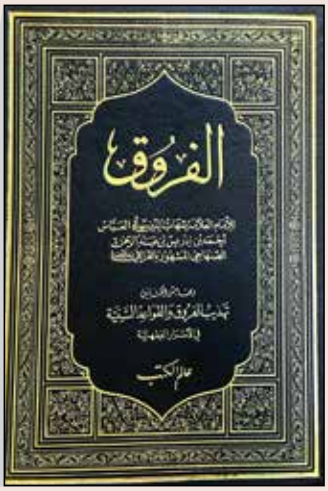

فيها أن ترجمة هذا الكتاب هو نتيجة رحلة لفهم أساه الشخصي، وأن النجاة الفرديّة ثبت أنها مستحيلة، واحترمت هذه المزاوجة بين الشخصي والعام؛ لأن الحديث عن الموت هو مسألة شخصية أولا.

يقع كتاب «عن الأسى والتأسي» في ٢٧٩ صفحة، وهو من إصدارات «ديوان» في عام ٢٠٢٤م، ونشر الكتاب بالإنجليزية لأول مرة في عام ٢٠٠٥م.

«عن الأسى والتأسي» كتاب يعلّمنا كيف نتصبّر، يشرح الكتاب المشاعر التي يمر بها من أصابته مصيبة الفقد، ويذكر لنا أن هذه المشاعر تمر غالبًا في خمس مراحل: الإنكار، والغضب، والمساومة، والاكتئاب، والتقبّل. وينبّه على أن هذه المراحل الخمس ليس القصد منها حشر العواطف الفوضوية في أطر أنيقة، وإنما هي أدوات لمساعدتنا على تأطير ما قد نشعر به، والتعرّف عليه، لكنها ليست محطات ضمن مسار زمني خطّي للأسى، فلكل إنسان أساه الخاص به، وسيرورة هذا الأسى تختلف من إنسان إلى آخر، وهذه المراحل إنما هي أشبه بتضاريس للأسى تساعدنا على أن نكون أكثر جاهزيّة للتأقلم مع الحياة والفقد.

في سعينا للتعامل مع ألم الفقد، قد تأخذنا مشتتات (الإنكار، والغضب، والمساومة) لتجنبنا الانغماس في الحزن – الاكتئاب، يقول المؤلفان عن الاكتئاب: «فهو يبطئنا، ويسمح لنا أن نتأمل الفقد حقًا، وهو يجعلنا نعيد بناء أنفسنا... ويصحبنا إلى مكان أعمق في روحنا ليس من عادتنا اكتشافه».

استوقفني حديث الكتاب عن مرحلة الغضب، وأن شعور الغضب غالبًا ما يكون مرتبطًا بمشاعر أعمق من شعور الفقد، وأن تجاوز الغضب قد يحتاج إلى رحلة تتصل

باكتشاف «علّة» قديمة في النفس، فإذا داوينا هذه العلّة، هدأت النفس، وسكنت: «إذا تتبعت مشاعرك إلى أصولها ستجد إحساسًا بخطأ ما يصاحبك طيلة عمرك، وقد يتيح الأسى لك الفرصة لتعافً أكبر بكثير».

يشرح لنا الكتاب كيف نتعامل مع كل مرحلة من هذه المراحل، لنصل إلى التقبّل، وفيه لا ننكر مشاعرنا بل ننصت إلى احتياجاتنا: نتحرك ونتغير وننمو، وربما لا ينطوي الوصول إلى التقبّل إلا على أن تكون أيامنا الطيبة أكثر من أيامنا السيئة. في التقبّل نجد العزاء في خضم الألم، ويظل الألم حاضرًا مع بقيّة مشاعرنا، يجاورها، جيرة تزكية ورشد أو يقظة كما يعبّر إرفين د. يالوم.

الأطفال والتأسّي

حكى معالج نفسي متخصص في الأسى عن جانيس التي يبلغ عمرها سبع سنوات، والتي توفيت أمها بالسرطان، أن حزنها لم يفارقها رغم مرور السنوات، وكلما سألها أحد: لماذا أنت حزينة إلى هذه الدرجة؟ قالت: أمي ماتت. وكان ذلك سببًا كافيًا لدى أغلب الناس، وأبيها، الذي اعتقد أنها ستتجاوز ألمها مع مرور الوقت.

وفي الصف الأول ثانوي، وعندما كان المعلم يتحدث في درس مادة الفلك عن النجوم التي تشكّل كوكبة السرطان، بدأت جانيس تدمع، لاحظ المدرس ذلك، وسأل جانيس عن بكائها بعد انتهاء الدرس فقالت: أنا من مواليد برج السرطان وأمي ماتت بسببي.

لقد عاشت جانيس ثمانية سنوات وهي محمّلة بعبء ذنب غير عقلاني.

ينبّهنا الكتاب إلى أهمية أن لا ننسى ونحن في خضم الأسى أن نتحدّث مع أطفالنا عن تجربة الفقد التي يمرّون بها معنا، وكما نمضي وقتًا كبيرًا في تعليم أطفالنا شؤون الحياة، فلا ينبغي أن نغفل أن نعلمهم شؤون الموت.

يذكر الكتاب عدة أمثلة تتناول هذا الموضوع، لكنّي لا أجدها كافية، كيف أتحدث مع ابنتي في الثانية عشرة عن موضوع الموت، كيف أفعل ذلك بدون أن أثير فزعها، ربما يكون الطريق عبر التحدث عن جدّها لأبيها رحمه الله، ما أريد أن أقوله هنا هو أننا بحاجة إلى عالم نفس مسلم بصير يشرح لنا كأمهات وكآباء كيف نحدّث أطفالنا عن الموت وشؤونه.

في معرض الكتاب في جدّة في ديسمبر ٢٠٢٤م طفت بين دور النشر المتخصصة بأدب الطفل، أبحث عن كتب تتناول قضيّة الفقد، ووجدت كتبًا تتناول الفقد بعد حدوثه لا قبله، هل تعد كافية في تناول الموضوع؟ لا أظن.

تناولت هذه الكتب مسألة الفقد في قالب

قصصي، وحظيت بإخراج جيّد وبعضه فاخر، والقصّة التي اشتريتها لابنتي إذ وجدت أنها تناولت الموضوع بذكاء وعمق أكثر من غيرها، هي قصة: أنا والوحش، تأليف: عائشة الحارثي وهي كاتبة عمانية، ورسوم: براء العاوور، ونشرتها في إخراج فاخر دار أشجار الإمارتية.

كيف نساعد؟

يقص علينا الكتاب حكاية امرأة كانت تبكي في مكالمة هاتفية مع والديها بعد أن فقدت زوجها. وعندما سمعت الأم نحيبها، قالت: علينا أن ننهي المكالمة الآن. ولحسن الحظ، هرع الأب إليها قائلا: لا، سأظل على الخط حتى لو ظلّت تبكي.

وردت هذه الحكاية في سياق الحديث عن أن «البكاء في العلن» هو مسألة ثقافية، وأن المجتمع الغربي يعد الدموع ضعفًا، والوجه الجامد قوة.

في نموذجنا المعرفي، يعلّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن البكاء علنًا هو من علامات رحمة القلب، يروي أنس بن مالك رضي الله عنه: «...ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة»[٥]

نرتبك أحيانا أمام بكاء أحبتنا، وقد يكون ما يحتاجونه منّا هو أن يشعروا أننا مستعدّون لمجالستهم صامتين وأننا نرحّب بذلك، ولا يثقلنا أن نشاركهم أوقات الحزن ولا صمته، وأن الوقت الذي يمضي معهم هو تعبير صادق عن محبتنا لهم، ومساندة منّا هي واجب علينا لا منّة فيها ولا تفضّل.

قد يساعد تشجيع أحبتنا على التحدث على أن ينظموا مشاعرهم، وربما تواسيهم كلمة حكيمة يوفقنا الله إليها، نحن لا نعلم ذلك إن لم نسألهم، خوفنا من أن «نزيد ألمهم» يجعلنا نتجاهل أي حديث معهم عنه، ونغفل أن ألم الفقد لا يغادرهم، ولا يزيده سؤالنا، نحن فقط بحاجة إلى أن نتعرّف على ما يحتاجه منّا أحبابنا، وألا نفرض عليهم طريقة مقولبة للتعامل مع أساهم؛ ربما يناسبهم الصمت معنا والحديث مع غيرنا، وربما يناسبهم أن نقول لهم إننا نذكر من فقدناه بالدعاء ونتصدق عنه ونذكّر أنفسنا بالأوقات الطيبة معه فندعو له.

لقد قصّرت مع كثير ممن أحبهم؛ لأني لم يكن لديّ هذا الوعي بهذه الطريقة من طرق المواساة والتعاضد، وتعلّمت من كتاب: «عن الأسى والتأسّي» أن الحديث الحكيم عن الفقد يساعد ولا يؤذي.

ونبهني إرفين د. يالوم في كتابه «التحديق في الشمس» إلى أن المواساة فعل «محدود» رغم أهمية أن يكون مستمرًا مع من نحبهم، نحن أحيانا نفتقر إلى التواضع عندما نعتقد

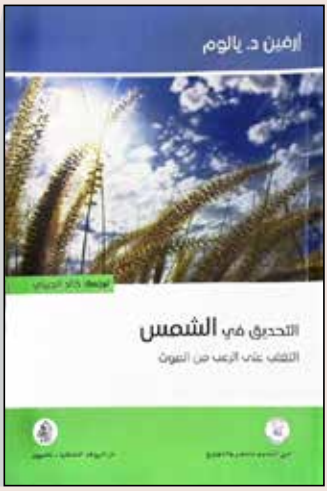

أن المواساة كافية للتحرير من الألم، وفي المقابل فإن مَن يمر بتجربة الفقد قد تلتبس عليه مشاعره، فيشعر أنه لا يرتوي من مواساة؛ لعجزٍ فيه، وحقيقة الأمر هو أن ألم الفقد ليس مرضًا لنرتجي الشفاء منه، إنه شعور أصيل لا يفارق شعورنا بمحبة من فقدناهم، وأعلى ما نرتجيه في التعامل مع ألم الفقد هو تقبّله جارًا طيبًا ومنقذًا ومحرّرا.

يتحدّث إرفين د. يالوم عن رحلته العلاجية مع أرملة تبلغ الستين من عمرها، يقول: «فقد فهمَت... حدود ما يمكنها الحصول عليه من الآخرين. ومع أن التواصل يخفف الألم، فإنه لا يستطيع أن يكبت الجوانب الأكثر إيلامًا في الحالة الإنسانية. وقد اكتسبَت قوّة من هذه الفكرة، القوة التي يمكنها أن تحملها معها إلى أي مكان تختار أن تعيش فيه».

في الكتاب تفاصيل كثيرة تعلّمنا كيف نستعد لتقلبات الأقدار، وتساعدنا لنفهم ما قد يمر به أحبتنا من أطياف مشاعر الفقد، وتساعدنا لكي لا نؤذيهم من حيث لا نشعر، وقد تعلمت أننا نحتاج أحيانا إلى أن نتعلّم كيف نكون رحماء، وهذا الكتاب فيه رحمة وحكمة.

---

* باحثة في شئون المرأة والأسرة.

(١) رواه الترمذي.

(٢) إحياء علوم الدين، كتاب الصبر، مج ٧/ ص٢٢٦.

(٣) الفروق، قاعدة الفرق بين الرضا بالقضاء وبين قاعدة عدم الرضا بالمقضي، مج٣-٤، ج٤، ص٢٢٨.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، شرح الحديث التاسع عشر، ص ٢١١.

(٥) رواه البخاري.

عام الإبل في السعودية:
تراثٌ يتجدد ورمزٌ يزدهر

■ منى حسن*

مدخل:

قيل عن الإبل في التراث العربي: « ما خلق الله شيئا من الدواب خيرا من الإبل. إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت، وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت. وجاء في الحديث: « الإبل عز لأهلها والغنم بركة، والخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة»، وهي من الحيوان العجيب، وقد سخّرها الله للآدمي، وهي مراكب البر، ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال: «وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» ولما كانت مراكب البر والبر فيه ما ماؤه قليل، وما ماؤه كثير، جعل الله تعالى لها صبرًا على العطش حتى قيل: إنه يرتع ظمؤها إلى عشر. وفي الحديث: «لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى، أي مما يوسع به على الناس». حكاه ابن سيده.

وقيل إن الإبل كانت تُسَمّى بالمال عند العرب، فكانت تدفع في الديات وتقدم المهور، وتعظم بها الهدايا، وحتى وقت غير بعيد كان عز القبيلة وقوتها يقاسان بعدد الإبل التي تملكها، وكلما كثرت ثروة القبيلة من الإبل، كلما علا شأنها، لذلك قال النبي صل الله عليه وسلم إن «الإبل عز لأهلها».

أهمية استلهام التراث واستدامته

يشكل التراث جزءًا أساسًا من الهوية الثقافية والاجتماعية للشعوب، حيث يعكس تاريخها وقيمها وتقاليدها. ويتجلى في الممارسات اليومية والعادات والتقاليد التي تُورَّثُ من جيل إلى آخر، ويشكل مصدرًا حيويًا للتضامن والوعي الثقافي. إضافة

إلى دوره المهم في تحديد الهوية الفردية وتوجيه سلوكيات الأفراد والمجتمعات. فهو ما يحافظ البشر من خلاله على ارتباطهم مع ماضيهم، ويستنبطون منه رؤية واضحة حول أوجه التشابه والاختلاف بينهم وبين بعضهم بعضًا، وينقلون عبره إلى أطفالهم ما يستحق أن يكون جزءًا من المستقبل. والتراث ليس مجرد ماضٍ نتركه خلفنا، بل هو ضوء يرشد كل واحد منا إلى ذاته بشكل يومي. وهو مصدر قوي وملهم للإجابات الشافية حول ماذا كنا، وماذا نريد أن نكون، ما يجب علينا ارتداؤه، ليس من ملبس فقط، بل من أخلاق ومبادئ وحكم، وماذا نأكل، وكيف نتصرف، وماذا نستخلص من تجارب من سبقونا في خوض معارك هذه الحياة. التراث هو إحدى الطرق التي نميز بها الصواب من الخطأ، والجميل من القبيح، وما إلى ذلك من تفاصيل. إن هذه المفاضلات في ما نفكر به، ونقوله، ونفعله هي لبنات بناء مهمة للمجتمعات والدول. وحين تكون واعيًا لتراثك، فإن ذلك يساعد في تحديد مصيرك ومصير أحفادك!

وهنا يبرز تساؤل مهم، حول قيمة التراث الثقافي وأهميته؟

التراث الثقافي مهم لعدة أسباب

أولًا، يسهم في التنمية الاقتصادية للاقتصادات المحلية والإقليمية.

ثانيًا، يلعب التراث الثقافي دورًا حاسمًا في الحفاظ على هوية السكان وجذورهم، وخلق الوعي، وتعزيز الشعور بالانتماء. إضافة إلى ذلك، يعد التراث الثقافي بمثابة رافد أساس للسياحة والعلامات التجارية للدول، فهو يجذب الزوار وينعش الاقتصاد. علاوة على ذلك، يشمل التراث الثقافي أشكال الماضي المادية وغير المادية، بما في ذلك الأشياء الثقافية والمناظر الطبيعية والثروات الحيوانية، والمواقع التاريخية والذكريات والسرد التاريخي، والتي تعد ضرورية لفهم التاريخ وتحسين رفاهية الأفراد والمجتمع. وأخيرًا، يتمتع التراث الثقافي بالقدرة على دعم المجتمع وتعزيزه من خلال بلورة القيم الجماعية أو المحلية أو الوطنية أو العالمية، ومن خلال توفير الشعور بالاستمرارية والاتصال بالماضي.

الإبل في التراث الثقافي للمملكة العربية السعودية

للإبل مكانة بارزة في الثقافة السعودية خاصة، وفي الثقافة العربية بصورة عامة، إذ تُعد رمزًا للترحال والصبر وقوة التحمل. وتجسد العلاقة العميقة بين الإنسان والإبل جزءًا من الهوية والتراث العربي.

ومنذ الأزل، كانت الإبل رفيقة العربي في حله وترحاله، وملهمة شعره وحدائه ورمزا للكرم والضيافة والشجاعة والصبر.

ويعد الحفاظ والاعتزاز بالتراث في المملكة العربية السعودية عنصرًا لا يتجزأ من الهوية الوطنية، فهو يعبر عن موروث غني بالتقاليد والقيم الاجتماعية والأخلاقية التي رافقت حياة الناس في هذه البلاد عبر العصور.

وتمثل الإبل أحد الرموز البارزة في هذا التراث، وعنصرا حيويًا ومهمًا لتاريخ وحياة البدو في المنطقة العربية بشكل عام؛ إذ يرجع تاريخ وجودها في هذه المنطقة إلى آلاف السنين، وتوثق الآثار القديمة والنصوص التاريخية العديد من الاستخدامات المختلفة للإبل، بما في ذلك الرحلات التجارية عبر الصحاري واستخدامها في الحروب والمعارك. وكوسيلة رئيسة للتنقل والبحث عن المياه والمراعي في الصحاري الشاسعة.

واشتهر في المنطقة العربية على مر عصور التاريخ الجمل ذو السنام الواحد، الذي يعرف باسم الجمل العربي، والذي يتميز بقوة التحمل، ويستطيع أن ينقل حملًا يصل إلى ٥٠٠ رطل، لمسافة تصل إلى أربعين كيلو مترا، وأن يسير لمدة ثلاثة أيام دون أن يحتاج لشرب الماء، وهو الأكثر وجودًا وانتشارًا في دول الوطن العربي، مع وجود محدود للجمل ذي السنامين. « وتشير معظم الدلائل إلى أن الموطن الأصلي للإبل العربية - (ذات السنام الواحد) هو شبه الجزيرة العربية على الساحل الشرقي وشمال شرقي الحجاز، وهذا يعطي دلالة على مدى ارتباط العرب البدو بالإبل منذ عهد قديم جدًا، فقد ارتبطت حياتهم بالإبل

سواء البادية أو الحاضرة، فدونوها على نقوشهم الحجرية وذكروها في كتاباتهم وأشعارهم؛ فالبدوي في الصحراء يقوم برعايتها وتربيتها وتنقية الأجناس الجيدة منها، والاستفادة من ذلك في جميع شئون حياته، والحضري يستخدم الإبل في سقي زراعته وجلب ما يحتاجه في شؤون الزراعة على ظهور الإبل، والتاجر العربي نقل معظم بضائعه على ظهور الإبل من بلد إلى آخر، واستخدم الإبل نفسها كسلعة رابحة لذلك، حظيت الإبل برعاية وعناية من العربي خاصة. إذ إن الشعوب الأخرى تتخذ الإبل كوسيلة للنقل وحمل الأثقال مثلها في نظرهم مثل بقية الدواب الأخرى كالبغال والحمير». وعلى مر عقود طويلة، اكتسبت الإبل مكانة مميزة في الحياة العربية، نظرًا لقدرتها على التعايش مع قسوة الصحراء، بما حباها به الله به من بساطة في الخلق ومميزات تعينها على ذلك.

وتعكس علاقة الإبل العميقة بالإنسان العربي تجربة الناس في البقاء والتكيف في بيئة صحراوية قاسية. ومع استمرار تطور المجتمع وتغير الظروف وظهور التكنولوجيا ووسائل النقل الحديثة، فإن تربية الإبل ظلت تحافظ على مكانتها كركيزة مستدامة للتراث في المملكة العربية السعودية، تسهم في تعزيز الاقتصاد المحلي والحفاظ على التنوع البيولوجي في المنطقة. ويتأتى ذلك عبر الاهتمام الكبير الذي توليه المملكة وقيادتها للإبل، والتزامهم بالحفاظ على هذا التراث وتعزيزه، والذي يتجلى في الحفاظ عليها، وتشجيع تربيتها وتطوير سلالاتها المميزة وانتخابها. إضافة إلى رعاية سباقات الهجن، التي أصبحت عنصرًا أساسًا في التراث الثقافي للدولة، وليس انتهاء بتسمية العام ٢٠٢٤ عام الإبل احتفاء ووفاء لسفينة الصحراء ورفيقة الأجداد ورمز التراث الثقافي والاجتماعي الخالد. والذي يعكس توجيهات القيادة في الحفاظ على تراث البلاد الثقافي والاجتماعي وتعزيزه، وتوارث ما يرتبط به من قيم عبر الأجيال كجزء من الجهود الوطنية لتعزيز الوعي الثقافي وتقدير هذه القيمة التراثية. ويسعى هذا العام إلى الاحتفاء بالإبل ودورها في التاريخ السعودي؛ ما يجسد الانتماء والفخر الوطني والارتباط المتين بالتراث.

وتهدف هذه المبادرات إلى إبراز أهمية الإبل في الحياة اليومية والتقاليد السعودية.

يتضمن عام الإبل فعاليات وأنشطة تُسلط الضوء على الدور الثقافي والاجتماعي للإبل؛ ما يعزز الوعي الجماهيري ويعكس ارتباط المجتمع بجذوره الثقافية.

أهم المراجع

- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي.
- كتاب «الإبل»، علي محمد الحبرتي.
- المكتبة الشاملة على الإنترنت.
- الإبل في التراث العربي والإسلامي، دراسات إسلامية، الأستاذ صلاح عبدالستار محمد الشهاوي.

* كاتبة – السودان.

محمد زايد الألمعي
١٣٧٧ - ١٤٤٥هـ/ ١٩٥٨ - ٢٠٢٣م

■ محمد عبدالرزاق القشعمي*

عرفتُ الشاعر محمد بن زايد الألمعي مع بداية مهرجان الجنادرية الثقافي بالرياض، ومع صدور مجلة (النص الجديد) ودوره الحيوي فيها؛ وإضافة لمسؤليته في التحرير، يشارك بما تيسر له، وأمامي العدد الوحيد (التاسع والعاشر) يونيو ٢٠٠٠م وله فيه مجموعة قصائد لمحمد زايد الألمعي (تحديق. وحدة. سيد الليل. الخطى) ص٩٣-٩٥.

وقبلها اشتهر بصدور العدد الأول من مجلة (بيادر) التي أصدرها النادي الأدبي بأبها ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م. (ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي) وكان الألمعي أحد من ينسبون إلى الحداثة، وله فيه قصيدة (توسلات لموت آخر).

بدأ القصيدة بقوله:

فديتك يا سيدًا ماثلًا في دمائي.
أفاصلك الآن في نظراتي.. وأقسم ألاّ
سواك يمزقني.
حين آوي إلى جبهتي البادرة.
أنت مني..
سوى أنني نافر منك عني..
ومن ذا يرى نافرًا من دمه؟
أمزق وجهي عليك..
ولكنني حين أدنو أراك
تتابع ما أحطلي
ثم تشنقني بالتعاويذ
والدمع والتمتمات..
تُرى كم سكنّا قبب البكاء؟
وكم ننحني فوق فكرتنا الجاحدة؟
ثم نأوي إلى حلم قبل أن يكتمل..
لا قوانا تراخت، ولا نحن نستعجل المائدة.
بيد أنا نُسائل إذ يقطر الملح.. والحبر
.. والدم من يا ترى ترتجيه الليالي
الكئيبة؟
إنها قطرة للتراب..

الخ ص٣٨ - ٤٠.

والألمعي واحد من محرري مجلة (النص الجديد) التي كانت تصدر من دار الخشرمي للنشر والتوزيع بقبرص، وقد بدأ يتأخر صدورها. فأذكر أنه في أحد اللقاءات اقترح لو يتولى إعداد كل عدد منها أحد أعضاء هيئة التحرير، حتى لا يكون العبء على محرر بعينه.

له في العدد (التاسع والعاشر) قصائد نختار منها:

وحدة
بعد عشر سنين
وبضع قصائد، سوف يعود
ولن يتكلف صنن العتاب.
وسوف يرتب في سجنه
ذكرياته
وموت حياته
وسوف ينام وحيدًا
ولن يلتقي قط
من يتلقى صباح صلاته
سوف يأتي
ويقسو على من يحب
فلا يشتهي أغنياته!

أذكر مع بداية عملي بمكتبة الملك فهد الوطنية أن زرت مدينة جدة للتسجيل مع بعض الأدباء، وكنت أقيم مع الصديق عبدالسلام الوائل عندما كان طالبًا بجامعة الملك عبدالعزيز، فزارنا الأخ محمد، وكنا على موعد مع الأستاذ عزيز ضياء للتسجيل معه في برنامج التاريخ الشفهي مساء ١٤١٦/١١/٢٣هـ وفرح وأصر على مرافقتنا له وحضر التسجيل على مدى ثلاث ساعات، وكان فرحًا ومنتشيًا بما سمع من ذكريات مهمة يرويها أبو ضياء، وكيف كانت الحياة الاجتماعية في المدينة ومكة وغيرها.

أصبحنا نلتقي بالقاهرة أثناء إقامة معرض الكتاب، وتعرف على من كان يزورنا قادمًا من الإسكندرية، ومنهم حسين شاهين وابنه الصغير حازم الذي سريعًا ما كبر وأصبح مطربًا ومغنيًا للشعر الحديث وللقصائد الوطنية؛ فأصبحت علاقته بالابن بعد وفاة الأب وثيقة، فاحتضنه وقدّره. وسمعت أنه قد أسهم مع أحد أصدقائه بتأسيس دار نشر ربما اسمها (دار متون). وجدته بمعرض القاهرة للكتاب وهو يختار الكتب الحديثة لتزويد مكتبة النادي الأدبي بأبها، وكنت على علم بانتخابه رئيسًا لمجلس الإدارة رغم معارضة المتشددين من أعضاء النادي وغيرهم، فهم

من منعوا استمرار مجلة (بيادر) على النهج الذي كان، وغيره من الحداثيين وأعادوها كما يريدون.

وزارني وكان متحمسًا لبداية نشاط ثقافي مميز، وقد ذكر لي أسماء من رموز الحداثة في داخل المملكة وخارجها. وعندما عرف بعلاقتي بالدكتورة ثريا التركي رئيسة قسم الاجتماع (الانثربولوجيا) بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وهي من بنات المملكة، وأنها تزور عائلتها بجدة بين وقت وآخر وتستضيفها جامعة الملك عبدالعزيز وجامعة الملك سعود لإلقاء بعض المحاضرات، أصر على دعوتها للمشاركة في موسم النادي. فاتصلت بها ورحبت بزيارتنا لها في منزلها، فذهبت لها برفقة الأخ محمد، ومعنا الأستاذ محمد السيف اتفق معها على ما يمكن أن تتحدث عنه، وأنه سيقترح اسمها مع غيرها. ولكنه لم يمكث بإدارته للنادي، إذ تحركت الأيادي الخفية والقوى الضاغطة لعزله من رئاسته.

جاء كالمعتاد لحضور المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية عام ٢٠٠٨م، فدعوته لزيارة مكتبة الملك فهد الوطنية والتسجيل معه في برنامج التاريخ الشفوي وفعلًا حضر، وكان اللقاء ظهر السبت ١٤٢٩/٢/٣٠هـ الموافق ٢٠٠٨/٣/٨م.. تحدث واسترسل في الطفولة والتعليم بالقرية برجال ألمع، ثم انتقاله إلى مدينة أبها للدراسة والتدريس، وإلى جدة للدراسة الجامعية والتي لم تتم، وللكتابة في الصفحات الثقافية، وتحدث عن بدايته مع الشعر وعن القبيلة وأحلافها وعن المشاكل التي تحصل، والتي أودت بحياة والده، وقد تأثر كثيرًا بذلك، وتحدث عن علاقته بالنادي الأدبي بأبها وعن إصداره للعدد الأول من مجلته (بيادر)، وتصديه للقوى المعطلة لكل تقدم، وانتصارهم على عزله من إدارة المجلة، ثم إقرار انتخابات مجلس النادي، فانتخب رئيسًا للنادي، ورغم ذلك ثم تحويله إلى عضو لمجلس الإدارة بضغط من المتطرفين. وتحدث عن ظروف تأسيس جريدة الوطن واختياره لرئاسة القسم الأدبي ثم فصله، وتحدث عن عودته للعمل بوزارة الزراعة، وعن إصدار مجلة النص الجديد وأسباب توقفها.

اختاره الدكتور عبدالله المعيقل من جيل التحديث، واختار له في (موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث) المجلد الثاني. الشعر، قصيدة (يتهجى الطفل مراثيه) ص٥١٣/ ٥١٧ وهي من أطول قصائده.

وترجم له في (معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين) مج٤، واختيرت له قصيدة طويلة بعنوان (من قصيدة: نرجسة الخيلاء) نختار منها قوله:

«فيا أيها المستريب ببعضك
هلا تيقنت أن الذي في ملامحك..
الآن ليس بوجهك.
لكنه وجه من أطعمك!
وهذا خلاصك
فوق سراط الحقيقة
هذا خلاصك فارجع
فما عاد في العمر متسع
كي تميل إلى ضده أو إليه
لك الآن أن تتراجع عن موتك المعدني.
فإن القبور سواء.. ولكنها ميتة.. سوف تحييك.. أو تقتلك.. الخ». ص٤٠٦/ ٤١٧.

وترجم له عبدالرحمن المحسني في (قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية)ج١. قال عنه: «.. عمل رئيسًا لنادي أبها الأدبي، وعضوًا فاعلًا فيه، كما شارك في عدد من اللجان والمطبوعات الثقافية، وحصل

على عدد من الدورات التدريبية في الصحافة، وشارك في عدد من الأمسيات الشعرية والندوات داخل البلاد وخارجها.

يعد من رواد حركة التجديد في القصيدة في المملكة العربية السعودية إبداعًا وتنظيرًا، شاعر في روحه ونصه، يتمتع نصه بثراء فني في بنياته اللغوية، وعطاءاته الدلالية، وفي تجربته حركة دائبة لإنتاج عمل مختلف.. له نصوص شعرية كثيرة غير مجموعة..» ص٧٩.

ترجم له في (موسوعة الشخصيات السعودية) لمؤسسة عكاظ للصحافة والنشر ج١، ط٢، ورد فيها: «.. عمل مدرسًا بوزارة المعارف ١٩٨٠م لمدة أربعة أعوام، ثم محررًا ثقافيًا بجريدة البلاد ١٤٠٨ - ١٤١٠هـ ثم مديرًا لوكالة آراب للإعلان مدة عامين، ثم سكرتيرًا لمجلس إدارة مصلحة المياه والصرف الصحي بمنطقة عسير، وهو عضو ومقرر جائزة أبها الثقافية.. حصل على شهادات التقدير من مكتب التربية لدول الخليج العربية ١٩٨٤م، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت والمهرجان الوطني للتراث والثقافة - الجنادرية - بالرياض).

بعد وفاته، رحمه الله، أصدرت مجلة اليمامة في عدد ٢٧٩٠ ليوم الخميس ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٣م. ملحقًا بعنوان (محمد زايد الألمعي.. رحيل الكلمة الصادقة) شارك فيه عدد من الكتاب والأدباء منهم الدكتور محمد بن علي آل مريع، رئيس نادي أبها الأدبي، والشاعر عبدالرحمن موكلي، والشاعر عبدالمحسن يوسف، والشاعر علي خرمي، وأحمد السروي، والشاعران محمد إبراهيم يعقوب وجاسم الصحيح، والدكتور حسن النعمي، والشاعر إبراهيم طالع الألمعي. وإبراهيم مضواح

الالمعي

الألمعي، وعادل الحوشان، وعبدالله ثابت، والدكتور أحمد التيهاني، والدكتور محمد صالح الشنطي، وأحمد الدويحي، وعلي الأمير، وحامد عقيل، وحسن آل عامر، وصالح الديواني. وقد اختارت المجلة مقاطع من قصائده بدأتها بقصيدة الصبي:

حين كنت صبيًا
توهمت أن السماء سألمسها بعصاي
إذا ما علوت الجبل،
كان جدي يصدقني
ويزين لي كذبي
فاخترعت أساطير طيشي.. وقلت:
بأني علوت الجبل
وأني تلمستها بعصاي
وأيقظت نجمًا بسرتها يختبي!
وها أنا
مذ رحل الأهل،
في حبة الكهل،
وحدي
أردد أسطورتي
وأصدق ذاك الصبي!

توفي رحمه الله في السابع عشر من ديسمبر ٢٠٢٣م في أحد مستشفيات القاهرة ونقل جثمانه إلى المملكة حيث دفن.

---

* باحث سعودي.

إنجاز دراسة داخلية عن الاحتياجات التنموية لمنطقة الجوف

ضمن برنامج دعم الأبحاث بمركز عبدالرحمن السديري الثقافي

■ كتب محمد صوانة

يسعى برنامج دعم الأبحاث منذ إطلاقه في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي ضمن أهدافه إلى تشجيع البحث العلمي في الموضوعات التي تهم منطقة خدمات المركز في الجوف، وتحفيز الباحثين على دراستها، بهدف توفير دراسات وبحوث علمية تخدم قطاعات التنمية والاستثمار في منطقة الجوف بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية.

ومن الدراسات التي أُنجزت مؤخرا ضمن برنامج دعم الأبحاث، دراسة داخلية بعنوان: "الاحتياجات التنموية لمنطقة الجوف دراسة ميدانية"، هدفت إلى التعرّف على واقع الاحتياجات التنموية، وتحديد أنسب السبل المقترحة لتحسين مستوى جودة الحياة للمستفيدين وتطويرها، وقد أشرف على الدراسة الباحثان الأستاذ عبداللطيف بن غصاب الضويحي، ود. إبراهيم إسماعيل.

وفي مقابلة مع الأستاذ عبداللطيف الضويحي قال إن الدراسة اعتمدت على منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة؛ إذ طبقت على عينة شملت كافة شرائح المجتمع من المواطنين السعوديين في منطقة الجوف، وقد بلغ عدد الاستبانات الموزعة عليهم (٥٣٦) استبانة. كما أوضح الأستاذ الضويحي أن فريق الدراسة أجرى مقابلات متعمقة مع مسئولين يعملون في مختلف القطاعات ذات الصلة بالاحتياجات التي شملتها الدراسة؛ بهدف الإلمام بمختلف القضايا المتعلقة بموضوع الدراسة، والوقوف على آراء المسئولين الرسميين، إلى جانب ما استطاع فريق البحث الحصول عليه من المعلومات

المستخلصة من الاستبانات التي وزعت على مختلف شرائح مجتمع منطقة الجوف.

وأضاف الأستاذ الضويحي أن هذه الدراسة تتماهى مع السياسات العامة للمملكة العربية السعودية على المستوى المحلي، لاسيما ما يتعلق برؤية المملكة ٢٠٣٠، وكذلك مع التوجهّات التنموية العالمية على المستوى الدولي؛ فقضية إشباع الاحتياجات التنموية في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، تحظى باهتمام كبير سواء على مستوى الشعوب أو الحكومات. وتعد المملكة العربية السعودية في مقدمة الدول التي تحرص باستمرار على توفير الاحتياجات التنموية للمستفيدين في كافة المناطق بما فيها منطقة الجوف.

وقال إن تحديد مدى الرضا عن الاحتياجات التنموية الكمِّيِّةِ والنوعيَّةِ من الخدمات والمرافق والمشاريع بمنطقة الجوف، من شأنه أن يُساعد المخططين في وضع الخطط التنموية وبناء الإستراتيجيات الطموحة، التي تستند إلى مؤشرات واقعية ملموسة، تتلافى أي معوقات، وبما يُمكِّن الجهات الرسمية ذات العلاقة في منطقة الجوف وسائر المؤسسات مستقبلاً من أداء أدوارها على الوجه الأكمل، استنادًا إلى مُخرجات هذه الدراسة ونتائجها، وكذلك أي دراسة مماثلة تنفذ في المنطقة؛ لأن أي تخطيط ناجح لأي مشاريع تنموية ينبغي أن يستند إلى دراسة دقيقة لواقع المنطقة واحتياجاتها الفعلية، ومعرفة الإمكانات والفرص المتاحة في المنطقة. وإن تحديد

الباحث أ. عبداللطيف الضويحي

احتياجات المجتمع التنموية بمنطقة الجوف هو عملية تسهم في توفير المعلومات والبيانات اللازمة للمخططين وواضعي السياسات التنموية، وإن إشراك المجتمع المحلي في تحديد احتياجاته التنموية؛ يساعد المخططين للإسهام في تحسين جودة الحياة للأفراد والمجتمع بشكل عام.

وأكد الأستاذ الضويحي أن هذه الدراسة تعد أنموذجاً يمكن الاستفادة منه ومحاكاته مستقبلاً في بقية مناطق المملكة، وهي تعد من الدراسات الوصفية التحليلية التي تقوم على تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف محدد، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها؛ تمهيدًا لتحقيق الأهداف المحددة والمرتبطة أساساً بتحديد الاحتياجات التنموية المجتمعية لمنطقة الجوف.

وقد بُنيت استبانة جمع المعلومات في هذه الدراسة على فقرات شملت مختلف

احتياجات المستفيدين في المجتمع المحلي لمنطقة الجوف: (التعليم العام والجامعي والمهني، والخدمات الصحية، والموارد البشرية والتنمية الاجتماعية، والخدمات الأساسية وتشمل المياه والكهرباء ووسائل النقل العامة والطرق، والأنشطة الثقافية والسياحية، وخدمات الأسرة والطفولة، والخدمات الحكومية والتعاملات الإلكترونية، وجذب الاستثمارات).

أبرز نتائج الدراسة

وقد أظهرت نتائج الدراسة فيما يتعلق بآراء المواطنين حول واقع الاحتياجات التنموية بمنطقة الجوف ومدى كفايتها، أن الدولة توفر معاشات ضمان اجتماعي شهرية للمستحقين من المواطنين في المنطقة، كما تدعم برامج الأسر المنتجة في المنطقة، وأن الخدمات الإلكترونية أصبحت واسعة الاستخدام في كافة الأجهزة والدوائر الحكومية والعامة، ما ساعد على تجاوز طول الإجراءات في الحصول على الخدمات في المنطقة. وفي مجال الرعاية الاجتماعية، كشفت الدراسة أنه يتم توفير مساعدات مادية للفئات المستحقة للضمان الاجتماعي في المنطقة تشمل الحالات ذوات الدخل المتدني، ومن لا عائل لها، لتوفير حياة كريمة لهم؛ وفي المجال الصحي، أظهرت الدراسة أن الجهات الحكومية الصحية تقوم بأدوارها المتوقعة منها في مكافحة الأوبئة وتوفير العلاجات المناسبة.

بحيرة دومة الجندل مرشحة لمزيد من الاستثمارات السياحية

وأشارت نتائج الدراسة كذلك إلى ان منطقة الجوف تتمتع بكفاية المدارس لاحتياجات السكان التعليمية لمراحل ما قبل الجامعة، وأن توزيعها شامل لكل شرائح المجتمع، مع توافر تنوّع للفرص التعلمية في الجامعة بما يتوافق مع غالبية احتياجات المنطقة وبرامج رؤية المملكة ٢٠٣٠؛ كما تتوافر فرص للتدريب التقني والمهني بجميع محافظات المنطقة، وأوضحت الدراسة أنه يجري بين فترة وأخرى رفع الطاقة الاستيعابية لاحتواء أكبر عدد من المتدربين. كما بينت النتائج أن المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية الأولية كافية وموزعة حسب المعايير الأساسية لوزارة الصحة؛ من حيث عدد السكان، والخدمات الصحية الأساسية، والتوزيع الجغرافي.

أما فيما يتعلق بجودة الحياة، فمن بين أهم المقترحات التي أشارت إليها نتائج الدراسة الرغبة في أن تكون جامعة الجوف حاضنة مُمكّنة فعلياً للأفكار والابتكارات الاستثمارية الواعدة.

من المؤمل أن تكون جامعة الجوف حاضنة للأفكار والابتكارات الاستثمارية

وأكد الأستاذ الضويحي على أهمية توظيف نقاط القوة لمنطقة الجوف واستثمارها، مثل: الموقع، والطبيعة، والمناخ، والموارد الموجودة؛ للتغلب على التحديات الحالية والمستقبلية، بما في ذلك خلق الفرص الاستثمارية والوظيفية، إلى جانب تفعيل كافة مستهدفات رؤية المملكة ٢٠٣٠، وإتاحة الفرصة لمشاركة القطاع الخاص.

وفيما يتصل بأنسب السبل للارتقاء بمستوى جودة الحياة وإشباع الاحتياجات التنموية في المنطقة، من وجهة نظر المسؤولين، فقد أظهرت الدراسة رغبة المبحوثين في زيادة عدد مدارس الطفولة المبكرة في المنطقة، والتخلّص من المباني المستأجرة، وإحداث مدارس رياض أطفال عصرية بدلا منها.

كما أوضحت الدراسة الحاجة لتبنّي نموذج الرعاية الصحية الجديد، والإسراع في عمليات التحوّل الصحي والاهتمام بتطبيق معايير الرعاية الصحية المبنية على القيمة. كما أبرزت الدراسة أهمية إيجاد منتجات سياحية توظّف مقوّمات المنطقة وعناصر القوة المتاحة، مع تحفيز مُنظّمي الرحلات وتشجيعهم لإيجاد حزم تسويقية جاذبة لزيارة المنطقة، وإيجاد روزنامة فعاليات سياحية متنوعة، على أن يتوازى ذلك مع خلق هويّة بصرية للمنطقة (تسويقية، زراعية، غذائية، سياحية، ثقافية)، والدفع بالاستثمارات السياحية استنادا إلى ما تتميز به المنطقة من مقوِّمات، والنظر في تشكيل لجنة من الجهات ذات العلاقة بالمستثمر يكون دورها استقبال المستثمرين وإنجاز كافة المعاملات الخاصة بهم من بداية استلام الموقع حتى التشغيل، والرفع للجهات ذات العلاقة لإعطاء مميزات تفضيلية بموجب التشريعات والأنظمة التي تختص بها المناطق الحدودية على وجه الخصوص.

الكتاب: رواية رجل: كلاوس كلامب

المؤلف: جونسالو م. تافاريس، ترجمة: رولا عادل

الناشر: مصر العربية، ٢٠٢٤

■ **اعداد: طاهر الباهي - مصر**

ختام مسلسلة مجموعة روايات، تدور أحداث الرواية في بلد لا نعرف اسمه، ربما مكان ما في أوروبا الوسطى بناء على أسماء الأبطال، وكعادة جونسالو، توجد حرب في الرواية، وهنا كواحدة من سلسلة روايات للمؤلف، فالحرب أكثر دموية وأكثر عنفا، والسكان ولا سيما الإناث، اللائي يبدو أن معظمهن يتعرضن للعنف، يتأثرن أكثر، ولكن مقاومتهن لا تزال ضئيلة. البطل كلاوس كلامب من عائلة ثرية، يحب القراءة ويكره العمل، ورغم دوره في المقاومة الذي كلفه الاعتقال لبعض الوقت، إلا إنه يعود بعد نهاية الحرب لشركة العائلة يديرها بعد موت والده، ويبدأ في جني الأموال هو الآخر. تتغير الحياة بعد نهاية الحرب، لأن ما يفعله الإنسان بدافع الخوف أثناء الحرب يفعله للحفاظ على حياته ومن قبيل الرفاهية بعدها فهل تُغيّر الحرب شيئًا أم أن القوة هي التي تحرك كل شيء وأي شيء في الاتجاه الذي تريده.

الكتاب: لماذا يتقاتل البشر؟

المؤلف: برتراند رسل، ترجمة د. عبداللطيف الصديقي

الناشر: دار نشر التكوين

لماذا يتقاتل البشر؟ هل لأنهم يحبون القتال؟ أم أن القتال غريزة أو طبيعة في النفس البشرية؟ وهل القتال شر لا بد منه؟ هل هو دفاع عن الوجود؟ أم محاولة للاعتداء على الآخرين والاستيلاء على ممتلكاتهم؟ هل هناك عوامل ثقافية وحضارية تجعل فئة من البشر تقاتل فئة أو فئات أخرى غيرها؟ أم يُكتفى بقراءة العوامل الاقتصادية والجيوسياسية لتفسير التقاتل والصراع بين البشر؟

هذه الأسئلة وغيرها يتناولها الفيلسوف البريطاني «برتراند رسل» بمنهجيته الصارمة، وأدواته المعرفية التي تعمل كمشرط الجراح للوقوف على ما وراء ظاهرة التقاتل بين البشر، وبيان العوامل الثقافية والحضارية والتاريخية والنفسية الكامنة خلف هذه الظاهرة البشرية، فهو لا يكتفي بقراءة ما يظهر للعيان، أو وصف سلوك الأفراد أثناء القتال، بل يذهب إلى تبيان آثار الحروب على البشر والمجتمعات، متوقفًا عند مناهج التعليم، وقد آن الأوان للتخلص من هذه الآثار لبناء عالم يسوده العدل والسلام.

الكتاب: شوكولاتة دارك (رواية)

المؤلف: دينا توفيق

الناشر: دار كتبنا للنشر والتوزيع

رواية تجمع بين العقل والعاطفة، عن نساء لا تكسرها التجارب الفاشلة، تقع.. لكنها تنهض من جديد، ثم تناضل بكل قواها، تقول المؤلفة إنها عندما فكرت في كتابة الرواية التي استغرقت منها وقتًا طويلًا، كان كل همها هو التعبير عن كل امرأة مرت في حياتها بتجارب مؤلمة، قبل أن تتمكن من مواجهتها بقوة وشجاعة لا تعترف باليأس أو الإحباط الذي قد تسببه لها الصدمة، وهي تؤكد على كون كل امرأة لم تكتشف مدى قوتها إلا بعد أن وجدت نفسها مضطرة أن تصمد وتقاوم حتى لا تنهار؛ أي ما يعرف بصمود الضرورة، لأنها لا تملك رفاهية الانهيار والاستسلام لواقعها المرير الذي وجدت نفسها فيه ولم تعرفه قبل اليوم؛ لذا حاولت المؤلفة الغوص في أعماق عالم المرأة ومحاولة تشريح عواطفها واحتياجاتها بمشرط المتعاطف، والتعرف على كل ما تشعر به نساء حواء من أفراح وأحزان، ونجاحات وإخفاقات، لقد عاشت مع «زينة» بطلة روايتها التي تصفها ب «أقوى امرأة ضعيفة» في كثير من النساء اللاتي كان لها حظ اللقاء بهن بحكم عملها صحفية.. نساء لا تكسرها التجارب الفاشلة، قد تقع لكنها تنهض من جديد، ثم تناضل بكل قواها لتدافع عن حقها في الحياة.

الرواية تجمع بين العقل والعاطفة، والقوة والضعف، وأحداث واقعية، أبطالها يعيشون بيننا.

الكتاب: فن الخيال: تطور السينما المصرية إلى العصر الرقمي

المؤلف: دكتورة مرفت أبو عوف

الناشر: دار كيان للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤

في هذا الكتاب المرجعي تدعوك الدكتورة مرفت أبو عوف للدخول إلى عالم السينما المصرية الآسر بتراثها الثمين؛ لتنغمس في سرد يمتزج فيه التاريخ والثقافة والتعبير السينمائي بسلاسة ومتعة؛ ما يرسم صورا شاملة لتطور هذا الفن الخلّاب في مصر. رصد المؤلف مسار صناعة السينما في مصر، وروى قصة فن الخيال، الأيام الأولى لإطلالة فن السينما وحتى العصر الرقمي الحديث، مسلطا الضوء على التأثير العميق للسينما المصرية على خيالنا وواقعنا وتطلعاتنا، وسواء كنت صانع أفلام أو مؤرخًا أو عاشقًا لفن السينما، ستجد في «فن الخيال» بوابتك لذلك العالم الشيّق.

تشدد المؤلفة على أهمية أن يكون الفن بابًا للأمل، وترفض وجود أي عمل فني لا يبث هذا الأمل في نفس متابعيه، وتقول: «لأني أعزف عن مشاهدة أي عمل، لا يبث أي بصيص من الأمل»، وحتى لو كان العمل تشاؤميًا أو ينقل الواقع، وينتمي لمدرسته، لكن عليه صناعه إيصال بعض الرسائل المتفائلة من خلال سرديته وقصته.

يناقش الكتاب تاريخ السينما المصرية منذ نشأتها عام ١٨٩٦م، وحتى عام ٢٠٢٤، وكل التحولات التي مرت بها، شاملًا كل التفاصيل المتعلقة بهذه الصناعة، ما يجعل من هذا الكتاب مرجعًا مهمًا لكل الباحثين والدارسين والمهتمين بكل تفاصيل السينما المصرية.

..البؤساء: التحليق الحُر

هناء جابر

وقفتُ ذات يومٍ والحيرة تنهشُ رأسي. ثمّة رغبة مُبهمة تدفعني لقراءة ذلك المجلّد الضخم الذي يضم خمسة كتبٍ رديئة الطباعة، وسيئة الجودة، وطبقات الغبار المتراكمة فوقها تُهيّج حساسية أنفي! كان يتسيّد الرف العلوي في مكتبة أختي الكبرى -التي كانت شغوفة بقراءة الروايات- وتجاوزت الرائحة المُزكمة، وسحبت الكتاب الأول؛ فقرأتُ العنوان على الغلاف: (البؤساء) فيكتور هيجو، ترجمة منير البعلبكي.

تردَّدتُ طويلًا، لم يكُن مبعث ترددي ضخامة المجلد، سمعت الكثير عن الرواية، وتابعت حلقات من مسلسل الرسوم المتحركة المقتبس عنها. «أقرأها، لا، لن أقرأها، ولكن ماذا لو حاولت؟» كان صوتي هو الصوت الوحيد الذي يوجّهني في ذلك القرار. ولأن رغبتي واندفاعي كانا أقوى من ترددي، عزمت على قراءة ذلك العمل، ففعلت.

قرأتُها على الرغم من طول الحكاية، وتعدد سياقاتها، وتقنية الوصف الدقيق فيها. كانت رحلة طويلة ومجهدة مع ملحمة الحب والحرب والثورة، وماذا أعرف حينها عن أيٍ من هذه القيم الكُبرى؟ بل ماذا أعرف عن الحياة بأكملها وأسئلتها الوجودية العالقة في رؤوس المفكرين منذ الأزل؟ وما الذي أفهمه من قيم الوجود ومعانيه؟ ورغمًا عن طراوة عودي الثقافي وقتئذ، وبراءة أفكاري عندها، وفهمي السطحي للمعاني الكبرى كالحرية مثلًا، إلا إنها كانت ممتعة للغاية، حتى أنني أكملتُ قراءة المجلّد خلال أشهر قليلة. وحتى هذه اللحظة ما تزال شخصية جان فالجان العظيمة من أكثر الشخصيات الروائية تأثيرًا بالنسبة لي.

كان عمري آنذاك، لمّا قرأتُ هذه الرائعة من الأدب الكلاسيكي-بنسختها الكاملة، وليست المختصرة، ولا المختصرة عن المختصرة- ١٥ عامًا فقط.

أستعيد ذكرى هذه التجربة كلّما توقّفتُ عند تصنيفات الكتب: مبتدئ، متوسط، متقدّم. أو كتب للقارئ العادي وأخرى للقارئ النخبوي. وأفكّر: ما هي الحدود الفاصلة بين هذه التصنيفات؟ هل هناك حدود بالفعل؟ أم هي حدود غير واضحة واعتباطيّة؟ ثم أمتعض وأنا أرى كتبًا رديئة المحتوى، لا تغذي عقلًا ولا وجدانًا، ولا يستمد منها إلا هشاشة التفكير وسطحية المعرفة، في قوائم الكتب المصنفة للقارئ المبتدئ. هل القارئ المبتدئ هو قارئ تافه أو بليد بالضرورة؟!

أعتقد أننا نسقط بجيل الشباب ثقافيًا حين نحدّد محتوى قرائي لهم، فهذا لا يسهم في إخراج جيل غير ناضج من القرّاء فحسب، بل يشجّع بعض الكُتّاب على تلميع التفاهة والإسفاف، ونشر مؤلفات رديئة بذريعة أنها موجّهة إلى القارئ البسيط أو المبتدئ أو جيل اليافعين.

والحقيقة التي أؤمن بها هي أن توجيه الشباب في قراءاتهم يخلق شيئًا من الاعتمادية، وتراجعًا في مهارات البحث والاطّلاع والاختيار، وهي المهارات التي يشكّل بها صاحبها هويّة القارئ الشخصية. ولا أفهمُ ما الضير في أن يُترك لجيل الشباب -ما فوق ١٥ عامًا- حرية اختيار الكتب، بحسب ما يتناسب مع الحاجة والفهم والإدراك، فكل قراءة لها وقتها. لقد قرأتُ رواية البؤساء في عمر مبكّر لأن أحدًا لم يخبرني بأن قارئًا مبتدئًا مثلي لن يكون قادرًا على قراءتها أو فهم معانيها، ثم قادتني هذه القراءة لقراءات أخرى في ذات المستوى والعمق. وقرأ آخرون في سنٍ مُبكرة روايات نجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس، فلم يصب أيًا منهم بلوثة في العقل، ولم تتسبب تلك الكُتب في إحجامهم عن القراءة بوصفها فعلًا ثقافيًا نطمح إلى تعزيزه في نفوس النشء. إنه لمن الأسلم لنا إذا أردنا أن نخلق جيلًا واعيًا مهتمًا بالقراءة، وقادرًا على تحقيق المشاركة الثقافية الفاعلة في مجتمعنا أن نتوقف عن خلق تصنيفات للكتب وفق خبرات القراءة واستعدادهم القرائي. وإلا، فإن القارئ سيظل حبيسًا للقراءة الأولى، ويسبح في فلك التفاهة والسطحية إلى الأبد.

* كاتبة وروائية.

من إصدارات الجوبة

من إصدارات برنامج النشر في
مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

صدر حديثًا

صدر حديثًا

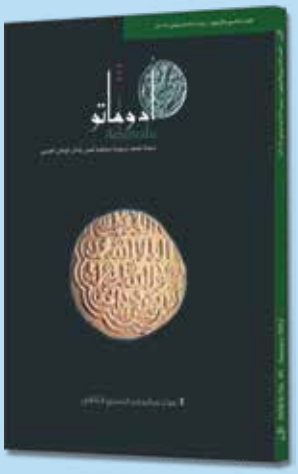

مركز عبدالرحمن السديري الثقافي
الجوف: ص. ب: 854 هاتف 014 6245992
الرياض: ص.ب 94781 الرياض 11614 هاتف 011 4999946
الغاط: ص. ب 63 – دار الرحمانية هاتف 016 4422497
www.alsudairy.org.sa | info@alsudairy.org.sa
0553308853 Alsudairy1385

9 77131 92566 6 08